ردّ الهجوم عن شعائر الإمام الحسين المظلوم عليه السلام

(البكاء والتطبير)

ردّ الهجوم
عن
شعائر الإمام الحسين المظلوم عليه السلام

(البكاء والتطبير)

بحث فقهي إستدلالي يتناول موضوع

التطبير والإشكالات عليه

تصنيف

آية الله المحقق الشيخ محمَّد جميل حَمُّود العَامِليّ

(دام ظله الوارف)

الطبعة الأولى: ٢١رجب ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٠٠٤/٩/٧م / دار النجاة للطباعة والنشر/ بيروت ـ لبنان
الطبعة الثانية: ٢١ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ، الموافق ٢٤ تموز ٢٠١٩ / دار المحجة البيضاء/بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ (الكهف/١٦) .

﴿واتلُ عليهم نبأ نوحٍ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلتُ فأَجمِعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمرُكم عليكم غُمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تُنظِرون، فإنْ تولّيتم فما سألتكم من أجرٍ إنْ أجري إلاّ على الله وأُمِرتُ أنْ أكون من المسلمين﴾ (يونس/٧١ ـ ٧٢) .

﴿الّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشَون أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيباً﴾ (الأحزاب/٣٩) .

وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
تراب أقدام أهل البيت عليهم السّلام
العبد محمَّد

إهداء . . .

سيّدي ومولاي يا حجّة الله على خلقه يا حسين بن عليّ، عليك وعلى آبائك وأبنائك المطهرين مني آلاف التحيّة والسَّلام..يا دمعة كلِّ عارفٍ ومستوحش من مبغضيك..يا سند كلِّ مظلوم يا ذخر المستضعفين وأمل المحرومين والمضطهدين..سيّدي أيها الوتر الموتور..لقد ظلموك في حياتك فلم ينصروك..ولا يزال الظلم يحيط بقضيتك الكبرى لينفثَ السمومَ بشعائرك المقدَّسة ليميت وهجك المتوقد من شعاع القدس الإلهي..إلى عليائك أيها الإمام القائد الفذ الملْهَم والملْهِم، أهدي كتابي هذا دفاعاً عن محبيك ومريديك الّذين أصبغوا رؤوسهم وصدورهم بدمائهم تذكيراً بعاشورائك الدامية والحزينة..فكن لي ولهم ـ يا سندي ومددي ـ يومَ تشخص الأبصار وتنخلع فيه الأفئدة والعقول، شفيعاً ومعيناً، وانصرنا على مبغضيك في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد..مولاي يا قبلة الله تعالى..أسألك أنْ تدنيني من قربك أكثر فأكثر لأكون مجنوناً بحبك، مُتَيَّماً بوصال قُدسك..يا من عليه جيوب القدس تتوقد..أرجوك إقبلني لأُكَّر في رجعتك لأنتقم لك يا أسير الكربات يا حبيبي يا حسين..

عبدك بفنائك يقرع باب إحسانك

محمَّد

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ الخلائق أجمعين، والصّلاة والسلام على أشرف الكائنات ــ سيّدنا محمّد وآله الغرّ الميامين ــ واللعنة الدائمة السرمدية على أعدائهم أعداء الله من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدّين...

وبعد...

في أوّل شهر محرّم[*] من أواخر كلّ عام تبدأ الحملات المسعورة من قِبَل العامّة وأذنابهم من الشيعة ضدّ عاشوراء وما تختزنه من مشاعر وعواطف قلّ نظيرها في بقيّة المناسبات، بغية تشويهها، وتشكيك القواعد الشيعيّة بمضامينها عبر إثارة الشبهات حولها بدءاً بالبكاء وانتهاءاً بالتطبير والضرب بالسلاسل واللطم، فتبدأ المحاضرات وإلقاء الخطب هنا وهناك ليشككوا بكل شيء يمتّ إلى عاشوراء، ويُكَشِّر الصحفيون المنافقون ذوو المطامع والمطامح عن أنيابهم كلّ سنة ليفترسوا بأقلامهم المأجورة وألسنتهم

---

[*] شهر محرَّم ليس رأس السنة الهجريّة كما يعتقد المخالفون، بل هو الشهر الحادي عشر من شهور العام الهجري؛ لأنّ هجرة النبي صلى الله عليه وآله كانت في أوّل ربيع أوّل باتفاق المحقِّقين من علماء الإماميّة، فحرّف بنو أميّة التاريخ الهجري الصحيح وجعلوه في أوّل محرّم فرحاً وسروراً وشماتةً بمقتل الإمام الحسين عليه السلام ونكايةً بالشيعة الّذين يقيمون شعائر الحزن في محرَّم، وقد انطلت اللعبة الأمويّة على البسطاء من أهل العِلْم أو الّذين في قلوبهم مرضٌ فصاروا يسايرون العامّة بما يعتقدون، وإليهم يميلون.

الحُداد الشحيحة تلكم المراسم العاشورائيّة البريئة والعذراء، فيحاولون افتضاضها واغتصابها لينفّسوا عن شهواتهم ونزواتهم التي طالما اختزنوها لشهر محرّم الحرام، فليس ثمّة منكر أو فساد في محرَّم سوى مراسم عاشوراء، إذ ليس وراء عبادان قرية...

فلا يعجبهم شيء من شعائر عاشوراء، فلا قارئ العزاء ولا الخطيب المفوّه... ولا الباحث النحرير يروق لهم أو يستريحون لأفكاره... لِمَ؟ ألأنه يدافع عن مراسم الطف الشجيَّة ويربط الناس بأشرف قضيّة وأعظم رزيّة ألا وهي كربلاء مولى الأحرار الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، فلماذا كلّ هذا الكيد بل النصب والعداوة لمراسم عاشوراء؟ ألأنّها قتلت آباءهم واختلست أموالهم؟ كلاّ، وإنما لأنها تنتمي للإمام الحسين (عليه السلام) فأرعبت قلوبهم وصَعَقَتْ عقولهم، فلم يستطيعوا أنْ يحاربوا الإمام الحسين (عليه السلام) مباشرةً كما حاربه أعداء عصره، فحاربوا المراسم والشعائر الملتصقة به، ولو كانوا صادقين بمحبتهم للإمام الحسين (عليه السلام) لَمَا حاربوا مراسمه وشعائره التي تقرّب الناس إلى أهدافه، وتشدّهم إلى الإنتساب إليه (عليه السلام)، ومَن أحبّ شخصاً أحبَّ كلّ ما ينتسب إليه، من هنا قيل شعراً عن مجنون ليلى:

وما حبّ الديار شغف قلبي ولكن حبّ مَن في الديار

إنّ مظلوميّة الإمام الحسين (عليه السلام) هي في منتهى درجات المظلوميّة وأقصى مراتبها، تتضاءل أمامها كلّ مظلوميّة، فذكرها يثير العواطف والأشجان والعبرات، وتخلع الأفئدة وتهزّ المشاعر والمدارك، ولو أنّ أمّة الإسلام أحبَّتْ الإمام الحسين (عليه السلام) ــ كما تدّعي ــ لاستطاعَتْ عبر ذكراه العَطِرة من بسط مفاهيم الإسلام ونشر رحمته وعدله على العالَمين ولَتَحرَّرَتْ من نير المستعمرين، ولا أعني بالمستعمرين الإفرنج فحسب بمقدار ما يشمل هذا المصطلح كلّ مَن يريد للباطل أنْ يهيمن وينتشر، وهل ثمّة باطل أعظم من

أنْ يتحكّم بنا ــ نحن الشيعة ــ عصابةٌ من المخالفين لا يرحمون صغيرنا ولا يوقِّرون كبيرنا، ولا حرمة لأعراضنا وأموالنا لديهم، فنحن بنظرهم طائفة من اليهود تستباح أموالنا وأعرضنا ودماؤنا على حدّ تعبير إبن تيميّة وأذنابه اليوم؟!! وهل ثمّة ظالم غاشم كأولئك الّذين هدموا قبور أئمتنا عليهم السلام في بقيع المدينة وحاولوا هدم قبورهم في العراق في الآونة الأخيرة وبالضبط في أيام محرّم الحرام من العام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م؟!!

كلّ ذلك من أجل أنّ قبور ائمتنا عليهم السلام منارات تنير دروب الحيارى في صحراء المادة، ولأنّ هاتيك المقابر الشريفة شعار إلهيٌّ يقضّ مضاجع أولئك الظالمين، فراحوا يجنّدون كلّ طاقاتهم، ويحشدون عملائهم لضرب الشعائر الحسينيّة وكلّ ما يمتّ إلى أئمتنا عليهم السلام بصلة، لكنّ جهودهم باءت بالفشل الذريع بفضل تماسك الموالين وجهود العلماء العاملين العارفين بأمر آل البيت عليهم السلام لا الّذين يزحفون على بطونهم إلى المخالفين وما أكثرهم اليوم حيث باتوا يعزفون على وتر آخر وهو تشويه مظلوميّة الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم خلف شعار نسبة الشيعة إلى العنف والقسوة، وهو سلاحٌ فتّاك ذو حدَّيْن، فهو من جهة ينخر في مفاهيمنا ليهشمها شيئاً فشيئاً بنفث الشبهات والتشكيكات حولها لا سيّما ما يتناول الجانب المأساوي الّذي تعرّض له أئمتنا عليهم السلام من قِبَل طواغيت عصرهم، ومن جانب آخر ينعت القواعد الشيعيّة بالتخلف عن مواكبة الحداثة وترويج الفتاوى الترخيصيّة التي تحرر المسلم من ربقة الإنقياد والإنصياع للحكم الشرعي الداعي إلى تقييد النزوة والشهوة والإسترسال في الإباحة، وكأنّ الحداثة بنظر هذا الفريق وذاك هو أنْ تخلع عن نفسك كلَّ قديم سوآء أكان حكماً أم شعاراً وتقليداً أقرته الأعراف والشرائع، ويتماشى مع أصول الأديان والأحكام، والأعجب من ذلك أنّ قبولهم لكلِّ جديدٍ طبقاً لمفهوم الحداثة عندهم هو أنّ بعض مراسم عاشوراء

ليس قديماً جدّاً ومع هذا يرفضونه لأنه يتوافق مع توجهات ورغبات المخالفين المعادين لمواكب عاشوراء، لذا فإنّ هذه القوارض البشريّة في ثغاء مستمر، وثغِمٍ لا ينقطع، ما دامت الشعائر والمراسم...

لكلّ رسول ووصي إمتداد بعده، فامتداد الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن المعجزة، وامتداد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهجه الّذي رسمه لنا وبطولاته ومواقفه المشرّفة، وامتداد سيّدة النساء بصرختها الكبرى بوجه الظالم المستبد، وامتداد الإمام الحسن عليه السلام بحفظه لمصالح المؤمنين وشفقته على عامّة المستضعفين، وامتداد الإمام الحسين عليه السلام إنما كان بثورته على الظالمين، فدوره عليه السلام يختلف عن أدوار مَن سبقه من الأولياء الطاهرين بشكل عام، حيث كان دوره العظيم في الإنقضاض المبارَك على المبادئ الفاسدة والمفاهيم البائرة المترسخة في مجتمع الجزيرة العربيّة، فدوره ثورة، وهي بحاجة إلى إحياء بكلّ أبعادها ومرافقها في واقع الحياة، ولا يمكن أنْ تحيا بالحفلات والقصائد والخطب لأنّ ذلك يصلح أنْ يكون ممسكاً لإنتاج عطاء الذكرى ولا تصلح لأن تخلق شعلةً ثوريّةً هي في الواقع إمتداد للثورة الأم، فالشعلة هي الوحيدة القادرة على أنْ تموّج الحياة وتزلزل الأرض بعروش المستكبرين ولو كانوا بعمائم رجال دين، وتنفض عنها التيجان الجائرة، وتنتزع القيادات من الأيدي القذرة، لتضعها في أيدي الّذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، والكفيل بذلك ثورة الإمام الحسين عليه السلام من خلال الإمتداد الواقعي لها وهو مجموع ما يفعله الشيعة الكرام في بلادهم ايام عاشوراء من المراسم الحسينيّة المتنوعة كالتطبير واللّدم واللطم وما شاكل ذلك من الأمور التي تعيد إلى الأذهان واقع المأساة التي عاشها غريب كربلاء عليه السلام، فمواكب عاشوراء بكلّ ضجيجها وتوترها

وانفعالها هي الوحيدة التي تنقلنا من أجوائنا المعقَّدة والهزيلة إلى جوّ الثورة التي عاشها غريب الطف عليه السلام في صحراء العراق.

والثورة الحسينيّة بما تملكه من زخم عقيدي لا يمكن أنْ تزعزعها جهة سياسيّة أو تنظيم اجتماعي، مهما كانت هذه الجهة وهذا التنظيم يختزنان أفكاراً وتوجهات، ولا يمكن أن تقف جهةٌ بوجه المدّ الثوري الحسيني، من هنا خشيها الأعداء والأقرباء الأدعياء، ولو كانت ـ هذه الثورة ـ لبقيّة الأمم لاستدرت منها طاقات تؤهلها للسيطرة على الأرض، لكنّ الأمّة الإسلاميّة تبخسها حقها لهبوط مستوى الوعي لدى قيادتها، فلا تستفيد منها بالمقدار الممكن الّذي يريده منا أهل البيت عليهم السلام من خلال إحياء الذكرى.

فعلى المخلصين من أفراد الأمّة أنْ يصعّدوا درجة الإخلاص إلى مراسم هذه الثورة لعلّ عامّة الأفراد يؤوبون إلى رشدهم يوماً ما ليبنوا كيانهم من جديد، ولو أنّ الأمّة تغافلت أو تناست ثورة الإمام الحسين عليه السلام أو فرّطَتْ في مراسمه المقدَّسة لحكمت على نفسها ومستقبلها بالموت الرّوحي والنفسي والفكري، إذ قد تكون قد سدّت على الأجيال الطالعة أغزر مواردها، ولو استيقظت يوماً من الأيام فلا تقدر على النهوض إذ لا تجد حينئذٍ مقوّمات النهوض والصّمود.

علينا أنْ نحافظ على ثورة الإمام الحسين عليه السلام وامتدادها الحقيقي لكونها أمانة كبرى امتحننا الله تعالى بها، فكما إنّ أجدادنا وأسلافنا حافَظوا عليها بالأضاحي والقرابين الكثيرة حتى تناقلتها أجيالٌ فأجيال إلى أنْ وصلَتْ إلى جيلنا المنكوس الملغوم، فيجب على هذا الجيل أنْ يحافظ عليها بكلّ ما أوتي من قوّة ليمكنه أنْ يسلِّمها إلى الأجيال بعده.

وقد حاول الأعداء أنْ يخرّبوا على مفاهيم ثورة الإمام الحسين عليه السلام بإلقاء الشكوك حولها فلم يفلحوا، فغيّروا طريقتهم في المحارَبة، فحاموا حول المراسم لكنهم أيضاً باءوا بالفشل الذريع، لأنّ حربهم كانت من ندٍّ إلى ندٍّ آخر، فكانت خسارتهم مضمونة النتائج، لذا ارتأوا أنْ تكون الحرب هذه المرّة من داخل الصف الشيعي ليحارب الشعائر بدلاً عنهم، وخير بديل لهم هو أنْ يخترعوا مرجعيات خاصّة بهم أو أحزاب ومنظمات تحقق أهدافهم، وكان الّذي أرادوا، فتحركت هذه المرجعيات والقيادات التنظيميّة لضرب مراسم عاشوراء بكلّ مصاديقها وتنوعّها تحت ظلال حجج واهية كبيت العنكبوت.

لقد اعتقد المخالفون "بأنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي الصخرة الوحيدة في سبيل تقدّم الإسلام بل هي القلعة الوحيدة الصامدة التي تمنع انحسار الإسلام وتقدّم الإستعمار، والأحزاب التي تتلقى الإيحاء والأموال من المستعمرين ــ بلا واسطة أو مع واسطة ــ لا يمكن أنْ تخالف الإيحاء ما دامت تحاذر أنْ تنقطع عنها الأموال، وحيث إنّ هذه الأحزاب لا تحارب ثورة الإمام الحسين عليه السلام لعقيدة تناقضها ــ كما تفعل الأحزاب الإلحاديّة ــ وإنما تحاول تنفيذ إرادة المستعمرين فيها لتقبض عمولتها، لا تستند في حربها إلى دليل معين، وإنما تنتهز كلّ حق وباطل لضرب هذه الثورة المقدَّسة، فمرّة تستدل بالآراء الشاذة لبعض المؤلفين، بينما هي لا تعترف بأولئك المؤلفين ولا بالمراجع الكبار إلاّ للتستّر بأسمائهم فحسب، وطوراً تتذرع بأنّ الأعداء يضحكون منا، فيما هي لا تحذر أن يضحك منها الأعداء والأصدقاء عندما جعلت من نفسها أصابع طيعة للإستعمار... إنّ موقفنا من الشعائر الحسينيّة يتركز على قاعدة فكريّة وطيدة، ليس لنا الإنحراف عنها، وإنْ تظاهرتْ قوى العالَم ضدّها، وهل نكفّ ضحك الأعداء

علينا بالتخلي عن واقعنا أو بإستعراض فضائحهم حتى ينكمشوا على مخازيهم ولا يتطاولوا على مقدّساتنا؟ وهل لنا أنْ نأخذ بما يريده الأعداء أو بما يمليه علينا واقعنا؟ ثمّ هل الأعداء أقوى تنكيراً أم أبطال الإسلام؟ ولماذا يضطرب موقفنا بمجرّد ضحك الأعداء؟ وإذا كانت ثقتنا بالأعداء أكبر من ثقتنا بأئمتنا عليهم السلام فعلينا إذن أنْ ننبذ الإسلام كلّه، ونعتنق مبادئ الأعداء؟!! وإنْ كنا نؤمن بأئمتنا عليهم السلام أكثر من أعدائنا فلماذا نتبع أفعال أعدائنا؟ ولماذا لا نتمسّك بتعاليم أئمتنا عليهم السلام؟؟؟ علينا أنْ نعلَم أنّ الأعداء يتربّصون بنا فيشجعون التوافه ويضحكون على العظائم حتى نترك العظائم ونعيش التوافه، والأعداء عندما يضحكون من شيء فإنما يضحكون بعقولهم لا بعواطفهم، فلا يضحكون أبداً على نقاط الضعف لأنهم لا يخافون منها، وإنما يضحكون دائماً على نقاط القوّة لأنهم يهابونها، فيحاولون القضاء عليها، فعلينا متى أردنا السيادة أنْ نستلهم واقعنا بنظرة مستقلة تعي مكاسبها وخسائرها، ولا تلتفت مطلقاً إلى ما يفعله الأعداء" [١].

في وسط مجتمعنا فئة لها خلفيات عامية، تسعى دائماً لتحطيم القيم الدينية والثوابت التاريخية تحت شعارات برّاقة ينخدع بها جيل اليوم، وتحت ظلّ هذه الشعارات يسهل التربّع على سدّة القيادة والمرجعيّة التي اصطنعوها لأنفسهم لإحداث تغيير جذريٍ في الأمّة بتغيير مفاهيمها وعقائدها إلى مفاهيم وعقائد غريبة عن التشيع، بل هي في الواقع مفاهيم أشعريّة تطمح إلى إنشاء حكومة قوميّة، ترفع شعار الإسلام بيدٍ، والمنجل بيدٍ أخرى لتحصد كلّ مخالفٍ لها أو مشاكسٍ لتوجهاتها.

إنّ علينا إزاء المواقف المتشنجة على المراسم العاشورائيّة ومفاهيمنا الدينية واجب الصمود المرتكز على الولاء الحقيقي لأهل بيت العصمة (عليهم السلام)، مع التأكيد على عنصر البرائة من أعدائهم.

كما لا يفوتنا أنْ نعلَم أنّ رضا الله تعالى لا يكون إلاّ بمقدار تعلقنا بآل البيت (عليهم السلام) والذود عنهم، وإنّ تحريم شيء لأجل إرضاء الغير مهزلة وحرام، وأنّ مَن قدّم رضا المخلوق على سخط الخالق هو ملعون.

وعليه فمَن تصوّر أنّ التطبير حرام لأجل أنه سبب لتوهين المذهب وإساءةً لسمعته مخطئ، ويجب أنْ يراجع تصوراته التي بنى عليها دليله على الحرمة، فإنّ الإعتراف بالخطأ فضيلة، والإنصياع للحق مكرمة، لأنّ مَن زهد بالحق، زواه الله تعالى عن الجنة فأدخله النار وبئس القرار.

ومن هنا جاءت هذه الدّراسة العلميّة لتعالج موضوعاً هاماً ألا وهو المراسم الحسينيّة وبالأخصّ التطبير الّذي يدور حوله جدال من قِبَل جهاتٍ محدودة، لذا مست الحاجة إلى معالجة الموضوع بطريقةٍ استدلاليةٍ تميط اللثام عن حقيقة الحكم الشرعي للتطبير من خلال الأدلّة المعتبرة لدى الشيعة لاستجلاء الحكم الشرعي على موضوع من الموضوعات.

ونأمل من القارئ الكريم أنْ يطالع الكتاب بدقّة وأنْ يجعله مصدراً له حينما تعييه المذاهب للإستدلال على موضوع البحث، وذلك لتميزه بإستعراض الأدلة الفقهيّة على المسألة سلباً وإيجاباً والرّدّ على ما لا يتوافق مع المنهج الفقهي الإستدلالي الّذي يعتمده فقهاء الإماميّة قديماً وحديثاً، لذا جاءت الدّراسة فريدة في نهجها العلمي وسيرها

الإستدلالي الفِقهي ولله المنّة والحمد، ولأوليائه الشكر الجزيل الّذين منهم نستمدّ وعنهم نذود ولأجلهم نحيا ونموت، وقد جاءت ضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: حول عرض الأخبار الدالة على البكاء والمناشئ المحفِّزة له.

الفصل الثاني: حول مشروعيّة البكاء.

الفصل الثالث: حول مشروعيّة التطبير، وأدلّة المجوِّزين، ودعاوى المحرِّمين ومناقشتها.

اللهمّ اجعلني من جندكَ فإنّ جندك هم الغالبون، واجعلني من حزبكَ فإنّ حزبكَ هم المفلِحون، واجعلني من أوليائكَ فإنّ أولياءكَ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهمّ فلا تجعلني ممن صرَفْتَ عنه وجهك وحجبه سهوه عن عفوك، إلهي هَبْ لي كمال الإنقطاع إليك وأَنِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلَّقة بعزّ قدسك، إلهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سِرّاً وعمل لك جهراً. **اللهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد وعجِّلْ فَرَجَهم والعن أعداءهم.**

بيروت: ١/١٢/محرَّم/١٤٢٤هـ

محمّد جميل حمّود العاملي

الفَصْلُ الأَوَّل

عرض الأخبار الدالة على البكاء والمناشئ المحفِّزة له

ونبحث فيه حول أمرين مهمين:

الأمر الأول: عرض الأخبار الدالة على حصول البكاء من أعاظم الأنبياء والمرسلين على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

الأمر الثاني: فلسفة البكاء ووجوه الحُسن فيه.

أمّا الأمر الأوّل: فقد دلّت الأخبار التي بلغت حدّ التواتر بمرات على أنّ كلّ خلق الله تعالى قد بكاه بعد شهادته عليه السلام، وهذا أمر مسلّم به من الناحية التاريخيّة،كما قد بكاه قبل موته عليه السلام ثلّة من خلق الله تعالى هم الملائكة والأنبياء.

نستعرض قسماً من هذه الأخبار توثيقاً لمسألة البكاء على مولانا الإمام الحسين عليه السلام دفعاً للتصوّرات الخاطئة والتشكيكات الصّادرة من جهات لها خلفيّات عاميّة،من هذه الأخبار ما أورده الفقيه المؤرّخ أبو القاسم جعفر بن قولويه القمّي في أبواب من كتابه كامل الزيارات.

الرواية الأولى:

عن محمّد بن جعفر الرزاز القرشي الكوفي، قال: حدّثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمّد بن سنان، عن سعيد ابن يسار أو غيره، قال:سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

لما ان هبط جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الحسين عليه السلام أخذ بيد علي فخلا به مليّاً من النهار،فغلبتهما العبرة فلم يتفرقا حتّى هبط عليهما جبرائيل عليه السلام ــ أو قال: رسول رب العالمين ــ فقال لهما:ربكما يقرؤكما السلام ويقول:قد عزمت عليكما لما صبرتما، قال:فصبرا[٢].

الرواية الثانية:

حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى،عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي سلمة سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لما حملت فاطمة بالحسين جاء جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ فاطمة ستلد ولداً تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هل رأيتم في الدنيا أمّاً تلد غلاماً فتكرهه،ولكنها كرهته لأنّها علمت أنه سيُقتل، قال: وفيه نزلت هذه الآية ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسناً حملته أمُّه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ (الأحقاف/١٥)[٣].

الرواية الثالثة:

حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن حماد،عن أخيه أحمد بن حماد،عن محمّد بن عبد الله،عن ابيه،قال: سمعت أبا عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

أتى جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: السلام عليك يا محمّد ألا أبشرك بغلام تقتله أمتك من بعدك، فقال:لا حاجة لي فيه، قال:فانقض إلى السماء ثم عاد إليه الثانية فقال له مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فانعرج إلى السماء ثمّ انقض إليه الثالثة فقال مثل ذلك،فقال: لا حاجة لي فيه، فقال:ان ربك جاعل الوصيه في عقبه،فقال: نعم،ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل على فاطمة (عليها السلام) فقال لها:ان جبرائيل عليه السلام أتاني فبشرني بغلام تقتله أمتي من بعدي،فقالت: لا حاجة لي فيه، فقال لها: ان ربي جاعل الوصية في عقبه، فقالت: نعم اذن، قال: فانزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية:﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهَاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهَاً**﴾ لموضع إعلام جبرائيل إياها بقتله، فحملته كرهاً بأنه مقتول، ووضعته كرهاً لأنّه مقتول(٤).

الرواية الرابعة:

وحدثني محمّد بن جعفر الرزاز،قال:حدثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب،عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيّات، قال: حدثني رجل من أصحابنا،عن أبي عبد الله عليه السلام:

إن جبرائيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمّد إن الله يقرأ عليك السَّلام ويبشرك بمولود يولد من فاطمة (عليها السلام) تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرائيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله امتي من بعدي،قال:فعرج جبرائيل عليه السلام إلى السماء، ثم هبط فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرائيل وعلى ربّي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي. فعرج جبرائيل إلى السماء ثم هبط فقال له:يا محمد ان ربك يقرؤك السلام ويبشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال:قد رضيت.

ثم أرسل إلى فاطمة (عليها السلام) ان الله يبشّرني بمولود يولد منك تقتله امتي من بعدي،فارسلت إليه ان لا حاجة لي في مولود يولد مني تقتله امتك من بعدك،فارسل اليها إنّ الله جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية،فارسلت اليه أني قد رضيت، " فحملته كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتّى اذا بلغ اشدّه وبلغ أربعين سنة، قال: رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وأن اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي"، فلو أنه قال: اصلح لي ذريتي، لكانت ذريته كلهم أئمة.

ولم يرضع الحسين من فاطمة ولا من انثى لكنه كان يؤتى به النبي (صلى الله عليه وآله) فيضع ابهامه [إصبعه: خ ل] في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين (عليه السلام) من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودمه من دمه، ولم يولد مولود لستة أشهر إلاّ عيسى بن مريم والحسين بن علي (عليه السلام)[٥].

ملاحظة هامة:

لا يخفى على الخبير في أخبار آل محمّد (عليهم السلام) أن هذه النصوص مستفيضة، وهي بحسب ما اصطلح عليه الرجاليون حُجَّة لا يجوز ردّها، إلا إذا اصطدمنا بمدلولها كغيرها من الاخبار المتعارضة التي قد لا يتفق بعضها مع البعض الآخر، ففي هذه الحال لا بد من علاجها، ويتمّ ذلك عبر أمور:

إمّا بطرحها هي ومخالفها، وإمّا بترجيح إحداها على الأخرى، وإمّا بالأخذ بتلكم الروايات المتخالفة معاً.

أما الأمر الأول فلا يجوز طرح كل هذه الأخبار لاستلزامه طرح أخبارهم الصادرة عنهم وهي مخالفة قطعية لما صدر منهم، **وأما الأمر الثاني** فلا يصح أيضاً إذ إن

الترجيح بلا مرجح قبيح، ضرورة ان ترجيح إحدى الطائفتين على الأخرى لا بد أن يكون بميزان وأمرٍ راجحٍ؛ فإن تمّ ففيه الرشاد وإلاّ فلا يصح .

أمّا الأمر الثالث يجب العمل به في حال كان التخالف بين مُثْبِت ونافٍ، أما في حال كان بين مثبتات،فلا يصح بل لا يجوز الطرح ما دمنا قادرين على الجمع بتأويلٍ أو بردّ العام إلى الخاص وما شابه ذلك من وجوه الجمع المقرّرة بحسب الأصول الترجيحيّة.

وفي هذه الحال يجب العمل بالأمر الثالث دون الأولين، وذلك لأنّ الأمر الأول يستلزم طرح أخبار الطائفتين معاً وهو بدوره يقتضي طرحَ أخبارهم عليهم السلام المنجَّز بعضُها في حقِّنا، وردها منهيٌ عنه كتاباً وسُنَّةً.

وأمّا الأمر الثاني وهو ترجيح إحدى الطائفتين على الأخرى إنّما يصح في حال كان الترجيح بدليل معتبر أو قرينة تعيّن المطلوب،وفي مقامنا هنا، فإنّ تقديم الأخبار الدّالة على عدم جهلهم أوفر حظّاً من التي تنسب إليهم الجهل ــ كالأخبار التي سقنا قسماً منها ــ فتلك مقدّمة على هذه ،مضافاً إلى أنّ هذه الأخبار مخالِفة للإطلاقات القرآنيّة ـ لا سيّما آية التطهير ـ الدّالة على طهارتهم من الرجس، والجهل من أبرز مصاديق الرجس.

كلُّ ما قدَّمناه مشروطٌ بعدم القدرة على تأويل الطائفة النافية والمتعارضة مع الأخبار المثبتة أو بالعكس، ولكننا قادرون على تأويلها ـ كما سوف ترون ـ بما يتناسب والمقررات الشرعيّة فيجب المصير إلى الأمر الثالث وهو المطلوب.

التأويل الصحيح في تأويل الرواية الرابعة:

النظرةُ البَدْوية إلى الأخبار المتقدِّمة ـ بغضّ النظر عن تأويلنا القادم لها، وكلّ من كتب عنه تلقفه منَّا ـ تحتم علينا طرحَ الرواية الرابعة، وذلك للأمور التالية:

(**الأول**): إن ذاك الخبر يُثْبِت رفض النبيّ وابنته الصّدّيقة لقضاء الله وحكمه وهو خلاف التسليم والعصمة اللّذين يتصفان بهما.

(**الثاني**): عدم معرفتهما بما سيجري على الإمام الحسين عليه السلام حتى جاء جبرائيل وأخبرهما، فيصبح جبرائيل أعلم منهما، وقد قامت الآيات والأخبار على أعلميتهما من الملائكة أجمعين ومنهم جبرائيل عليه السلام .

(**الثالث**): تكذيب ما ورد عنهما وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وولديهما والذرية من صلب الإمام الحسين عليه السلام من كونهم أول خلق الله كانوا يسبّحون ويهلّلون ويكبّرون ويعلّمون الملائكة كيفية العروج،فردّهما لمولود سيُقتل يُعتبر تكذيباً لتلكم النصوص الصريحة القطعية المتواترة.

مضافاً إلى أنّ وجود الإمام الحسين عليه السلام مع الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام في العوالم الأولى يستلزم معرفة الصدّيقة فاطمة عليها السلام بولدها الإمام الحسين عليه السلام قبل ولادته الجسمانيّة في الأرض، وهذه المعرفة المدلول عليها بالخبر المتواتر تتعارض مع ذاك الخبر المستفيض الدال على عدم معرفتها بوجود ولدٍ لها هو الإمام الحسين، وعند التعارض لا بدّ من تقديم الأخبار المتظافرة بل المتواترة الدالة على كونهم عليهم السلام أنواراً حول عرش الله عز وجل يعلّمون الملائكة كيفيّة السير إليه تعالى.

هذه القرائن الثلاث تأخذ بأعناقنا لولا وجود قرينة في ضمن هذه الأخبار تصرف تلكم القرائن عن النظر البدوي الّذي يستدعي طرح ذلك الخبر.

وهذه القرينة هي:وجوب ايجاده لأجل الإمامة والولاية وخروج الأئمة من صلبه، فلولا الإمامة والأئمة لا حاجة لهما فيه، فيكون وجوده واجباً بشرط شيء وهو الذرية والامامة، وعدم الحاجة فيه بشرط لا أي بشرط عدم الذرية والولاية، فيكون النفي على

نحو عدم وجود المشروط، والقبول والتسليم على نحو الشرط اللازم المتحقق بوجود المشروط، فلولا المشروط لا يمكن ايجاد الشرط وتحققه. وبعبارة فنية أخرى: قولهما " لا حاجة لي فيه" على نحو السالبة بانتفاء الموضوع،أي لا حاجة لنا فيه إنْ لم تكن له ذرية صالحة للإمامة، لكنّ الإمامة لازمة له ولعقبه، إذاً لا بدّ من وجوده والتسليم به، من هنا ورد في الخبر الثالث والرابع قوله صلى الله عليه وآله لما قال له جبرائيل: إن ربّك جاعل الوصية في عقبه،فقال: نعم، وكذا قالت السيّدة المعظَّمة فاطمة عليها السلام: نعم قد رضيت.

وهذا ما أشار إليه أيضاً مولانا الإمام الصادق عليه السلام في خبر عبد الرحمان بن كثير الهاشمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل قال له صلى الله عليه وآله:

"إنه يكون فيه وفي ولده الامامة والوراثة والخزانة"وقوله صلى الله عليه وآله لإبنته الصدّيقة الطاهرة:"لا بد من أن يكون ويكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة فقالت له:"رضيت عن الله"[٦].

دَفْعُ وهْمٍ:

ورد في تلكم الأخبار أنّ الصديقة الطاهرة عليها السلام حملته كرهاً ووضعته كرهاً طبقاً لما ورد بقوله تعالى : "وحملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً" فتكون الآية الشريفة مؤكِّدة لتلكم الأخبار الدالّة على كراهة ولادة سيّدة النساء له عليه السلام لعلمها أنه سيُقتل، فعلمها بشهادته يكون سبباً وعلّةً تامّة لكراهة ولادته.

لكنّه تصوّر خاطىء بل غير جائز في حق مولاتنا الطاهرة لكون كراهتها لولادته بسبب ما سوف يترتب عليه من القتل وهي ــ أي الكراهة ــ خلاف التسليم لقضاء الله تعالى، وعدم التسليم رجس نزّهها عزّ وجلّ عنه بنصّ آية التطهير فيحرم الأخذ بظاهر هذا القول اللهم إلاّ إذا قلنا أنها كرهت ما سيلحقه من الأعداء من الظلم وهضم الحقوق، فيكون هناك تقدير مضاف :أي كرهت الظلم الذي سيلحقه.

قد يُدَّعى: إنّ معنى ﴿**حملته كرهاً**﴾ أي حزناً عليه... لكنّه مردود لكون هذا التفسير على خلاف ما جاء في الأخبار الدالة على أنها عليها السلام لم تقبل به...ثمّ قَبِلَت به لما أعلمها أبوها صلى الله عليه وآله بأنّ الوصاية والوراثة ستكونان من صلب إبنها الإمام عليه السلام.

إن قيل: ان هذه الأخبار لا دلالة فيها على حصول البكاء باستثناء الخبر الأوّل، فكيف تستدلون بها على جواز البكاء عليه ــ فديته بنفسي ــ؟

قلنا: صحيح ما أفاده الاشكال، حيث إنّ كراهتها لولادته تمنع من البكاء عليه، لكنّ أخباراً أخرى من سنخ تلكم الأخبار أوردها إبن قولويه في نفس الباب من كتاب كامل الزيارات وقد دلَّتْ على بكاء سيّدة نساء العالَمين عليها السلام على إبنها عليه السلام وهي حاملٌ به، لا سيّما ما جاء في صحيحة عبد الله بن بكير عن بعض أصحابنا عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: دخلت فاطمة على رسول الله وعيناه تدمع، فسألته ــ وسؤالها لا من جهل بل تجاهل لتعليم الآخرين ــ ما لك؟ فقال:

إن جبرائيل أخبرني ــ ولا ملازمة بين إخبار جبرائيل ونسبة الجهل إلى رسول الله ــ ان امتي تقتل حسيناً،فجزعت وشقّ عليها،فأخبرها بمن يملك من ولدها ،فطابت نفسها وسكنت(٧).

الرواية الخامسة:

عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد،عن سعد بن عبد الله،عن محمّد بن عيسى،عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر،عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام،قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

زارنا رسول الله عليه السلام وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدمنا منه، فأكل ثم قام إلى زاوية البيت، فصلى ركعات، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاء شديداً، فلم

يسأله أحد منّا إجلالاً وإعظاماً له، فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره، فقال: يا أبه لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك ثم بكيت بكاء غمّنا، فما أبكاك؟، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:يا بني أتاني جبرائيل عليه السلام آنفاً فأخبرني انكم قتلى وأنّ مصارعكم شتى.

فقال: يا أبه فما لمن يزور قبورنا على تشتّتها؟، فقال: يا بني أولئك طوائف من أمّتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ ان اتيهم يوم القيامة حتّى أخلّصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنّة[٨].

الرواية السادسة:

حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد،قال: حدثني محمد بن أبي القاسم ماجيلويه، عن محمّد بن علي القرشي، عن عبيد بن يحيى الثوري،عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين،عن أبيه،عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام،قال:

زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقدمنا إليه طعاماً واهدت إلينا أمّ أيمن صحفة من تمر وقعباً من لبن وزبد،فقدمنا اليه،فأكل منه،فلما فرغ قمت وسكبت على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء، فلما غسل يديه مسح وجهه ولحيته ببلة يديه، ثم قام إلى المسجد في جانب البيت وصلّى وخرّ ساجداً فبكى وأطال البكاء، ثم رفع رأسه، فما اجترى منّا أهل البيت أحد يسأله عن شيء.

فقام الحسين عليه السلام يدرج حتّى صعد على فخذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ برأسه ووضع ذقنه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: يا أبه ما يبكيك؟، فقال له: يا بني إني نظرت اليكم اليوم فسررت بكم سروراً لم أُسَرَّ مثله قط، فهبط إليّ جبرائيل فأخبرني أنكم قتلى وان مصارعكم شتّى، فحمدت الله على ذلك وسألت لكم الخيرة.

فقال له: يا ابه فمن يزور قبورنا ويتعاهدها على تشتتها،قال: طوائف من أمتي يريدون بذلك برّي وصلتي، أتعاهدهم في الموقف وأخذ بأعضادهم فانجيهم من أهواله وشدائده(٩).

ملاحظة هامّة حول معنى تعاهد قبورهم الشريفة:

مفهوم التعاهد لقبورهم الشريفة ذو مصاديق متعدّدة منها: أنْ يحافظ المؤمن على زيارتها من بعيد أو قريب، ومنها: الحفاظ عليها من طروء النجاسة فيها فلا يدخلها متنجس الثوب والبدن والفؤاد إلاّ للتوبة، ومنها: الدفاع عنها واحترامها بتشييدها ورفع مناراتها، ولو سألنا أنفسنا نحن الشيعة هل دافعنا عن تلكم المشاهد الشريفة والعتبات المنيفة في بقيعنا الحزين مع ما نملك من قدرات وطاقات مادية ومعنويّة وجمعيات ومؤسَّسات وأحزاب وتنظيمات ووو... هل رفعنا عنها الضيم والهتك الّذي أصابها منذ نشأت الدولة الوهابيّة في الحجاز؟!! وهل أنّ المطالبة باسترداد جزء يسير من أرض فلسطين أو قرى شبعا أهم وأولى من تكرار المناشدة وصيحات الإستنكار على تلك العصابة في صحراء الحجاز؟ وهل إنفاق ملايين الدولارات من أجل تحرير قرية أو مدينة من رجس صدّام حسين في جنوب إيران أهم وأوجب من استنكار بسيط أو اعتراض كبير في محفل دولي على تلك الجماعة التي لا تعرف قيمة للمقدَّسات وعالَم المثُل؟!! ولتكن قبور أئمتنا عليهم السلام كمثل ضريح الجندي المجهول الّذي توضع عليه الزهور وتقف عليه الرجال بتواضع وخشوع، فلا قبورهم محترمة ولا ثمّة مَن يطالب باحترامها ومساواتها بضريح الجندي المجهول، فاين الشيعة إذن؟ وإلى أين هم صائرون؟ اللهمّ عجّلْ فَرَجَه وأهْلِك أعداءه.

الرواية السابعة:

حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر،عن عبد الكريم بن نصر،عن عبد الكريم ابن عمرو،عن المعلى بن خنيس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح صباحاً فرأته فاطمة باكياً حزيناً، فقالت: ما لك يا رسول الله، فأبى أن يخبرها، فقالت: لا آكل ولا أشرب حتّى تخبرني، فقال: إن جبرائيل عليه السلام أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يحمل به بعد، ولم تكن يحمل الحسين عليه السلام وهذه تربته(١٠).

الرواية الثامنة:

حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن محمد بن سنان، عن أبي سعيد القماط،عن ابن أبي يعفور،عن أبي عبد الله عليه السلام،قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد ان العلي الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة،وقال لي : يا محمد أتحب الحسين عليه السلام، فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمد ــ ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام ــ بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، لعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه،أما أنّه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة ــ وذكر الحديث(١١).

ملاحظة هامّة: كيف يترائى العليّ الأعلى للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؟

المراد من ترائي العلي الأعلى أمور: إمّا أنْ يكون جبرائيل وإما أنْ يكون كناية عن غاية الظهور العلمي، وإمّا كناية عن إفاضة الرّحمة، لا سبيل إلى الأمر الأوّل بقرينة ما جاء في

نفس الرّواية من أنّ البركات والصلوات والرّحمات...واللعنات والعذاب والنكال أساسه القدرة الإلهيّة وليس جبرائيل لكونه عبداً مأموراً بإنزال الرّحمة والعذاب على مستحقيهما.

فالأرجح هو الأمر الثاني والثالث لموافقتهما للأدلّة والبراهين عندنا، ومخالفة الأول لها إذ لا يترائى الله تعالى لأيٍّ كان مهما علا شأنه؛ لأنّ الترائي الحسي في الواقع الفلسفي عندنا نحن الإماميّة هو تجسيم للذات الإلهيّة، وقد قامت الأدلّة القطعيّة على بطلانه، مضافاً إلى ذلك ثمة مانع عقلي من الرؤية البصريّة في الدنيا والآخرة، وما ادّعاه الأشاعرة من جواز الرؤية البصريّة يعتبر باطلاً جملةً وتفصيلاً حسبما أشرنا إلى ذلك في بعض كتبنا فلتراجع(*).

الرواية التاسعة:

حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم،عن محمد بن خالد،عن عبد الله بن حماد البصري،عن عبد الله بن عبد الرحمان الاصم،عن مسمع بن عبد الملك،عن أبي عبد الله عليه السلام، قال كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله،فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك،وحكم الله بيني وبين من اعان عليك،فقالت فاطمة: يا ابه أي شيء تقول، فقال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي،وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا ابه وأين هذا الموضع الذي تصف،قال: موضع يقال له كربلاء،وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة،يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أنّ أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيهم

(*) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:١٢٦/١ الطبعة الثانية.

وهم المخلدون في النار، قالت:يا أبه فيقتل، قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحدٌ من قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس،وتأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، بهم ينزل الغيث ــ وذكر الحديث بطوله[١٢].

إشارة هامّة حول علم الإمام المعظَّم الحسين عليه السلام بشهادته في كربلاء:

في الحديث إشارة هامّة إلى عِلْم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته في كربلاء، لذا لما ذهب إلى العراق لم يكن قاصداً الكوفة حسبما تصوّر ذلك بعض السذج، وإنما كانت كربلاء غايته وهدفه، وكيف يقصد الكوفة وقد علم بخيانة أهلها وغدرهم من ناحيتين:

الأولى: ما فعلوه بأبيه وأخيه وابن عمّه مسلم بن عقيل حيث علم بشهادته تأكيداً بعد التاسع من ذي الحجة بأيام على أقصى الأقوال، مضافاً لعدم توفر الظروف الموضوعيّة التي تساعد على الذهاب إلى الكوفة.

الثانية: عِلْم الغيب الّذي حباه به علاّم الغيوب، إذ لا بدّ من التأكيد على هذا الجانب الغيبي لدى حجّة الله الإمام الحسين عليه السلام، فنحن عندما نعتقد بأنّ الإمام المعصوم عليه السلام حجّة الله تعالى على خلقه وخليفته في بلاده لا بدّ لنا من الإعتقاد بتوافر الوسائل الغيبية التي تقوده إلى أحسن النتائج لئلاّ يكون غيره حجّةً عليه في تصرّفاته ومنطلقاته وأفعاله، مضافاً إلى علمه عليه السلام الوراثي على أبعد تقدير، فلا يجوز

حينئذٍ إبعاد هذه النواحي والعناصر الغيبيّة عن حياة حجج الله على خلقه عليهم السلام، ولمزيد من البحث فليراجع ما حققناه في هذا الشأن(*).

الرواية العاشرة:

حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى،عن ابيه،عن الحسن بن محبوب،عن علي بن شجرة،عن سلام الجعفي، عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل الحسين عليه السلام جذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام:أمسكه،ثمّ يقع عليه فيقبّله ويبكي يقول:يا أبه لِمَ تبكي؟ فيقول: يا بني اقبّل موضع السيوف منك وابكي، قال: يا أبه وأُقتل، قال: أي والله وأبوك وأخوك وأنت، قال: يا أبه فمصارعنا شتى، قال: نعم يا بني، قال: فمن يزورنا من أمتك، قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلاّ الصّدّيقون من أمتي(١٣).

الرواية الحادية عشرة: قال إبن قولويه: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد ابن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما لكم لا تأتونه ــ يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام ــ فإنّ أربعة آلآف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة(١٤).

الرواية الثانية عشرة: عن محمّد بن جعفر الرزاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن أبان الكلبي، عن أبان بن تغلب، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أربعة آلآف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام، لم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الإستيذان فهبطوا وقد قتل

(*) كتاب شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام بنفسه في التهلكة ودحضها.

الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: المنصور(١٥).

الرواية الثالثة عشرة: عن إبن قولويه القمي عن والده رحمه الله وجماعة من مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن الفضيل بن يسار، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: ما لكم لا تأتونه ــ يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام ــ فإنّ أربعة آلآف ملك يبكون عنده إلى يوم القيامة(١٦).

الرواية الرابعة عشرة: عن محمّد بن جعفر الرزاز، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن أبي إسماعيل السرّاج، عن يحيى بن معمّر العطار، عن أبي بصير، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام، قال: أربعة آلآف مَلَك شعث غُبُر يبكونه إلى يوم القيامة(١٧).

الرواية الخامسة عشرة: عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله وعن عليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: وكّل الله تعالى بالإمام الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم شُعُثاً غُبُراً منذ يوم قُتِل عليه السلام إلى ما شاء الله ــ يعني بذلك قيام القائم عليه السلام(١٨).

الرواية السادسة عشرة: عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن إبن فضال، عن ثعلبة، عن مبارك العطار، عن محمّد بن قيس، قال: قال لي ابو عبد الله عليه السلام: عند قبر الإمام الحسين عليه السلام اربعة آلآف ملك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة(١٩).

الرواية السابعة عشرة: عن إبن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله ومحمّد بن الحسن وعليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن

سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إ براهيم، عن هارون، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: وَكَّلَ الله به أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة[٢٠].

الرواية الثامنة عشرة: عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن صفوان بن يحيى، عن حريز، عن الفضيل، عن أحدهما عليهما السلام، قال: إنّ على قبر الحسين عليه السلام أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة، قال محمّد بن مسلم: يحرسونه[٢١].

الرواية التاسعة عشرة: عن إبن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله تعالى، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشهداء، فقال: أليس أفضل الشهداء عندكم، والذي نفسي بيده إنّ حوله أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر يبكونه إلى يوم القيامة[٢٢].

الرواية العشرون: عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف بإسناده مثله[٢٣].

الرواية الحادية والعشرون:

عن محمّد بن جعفر الرزاز، قال: حدثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي إسماعيل السراج، عن يحيى بن معمّر العطار، عن أبي بصير، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر يبكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلاّ استقبلوه، ولا يمرض أحد إلاّ عادوه، ولا يموت أحد إلاّ شهدوه[٢٤].

الرواية الثانية والعشرون:

عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان، عن أبي حمزة الثمالي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله وَكَّلَ بقبر الإمام الحسين عليه السلام أربعة آلآف ملك شُعُث غُبُر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلآف مَلَك وصعد أربعة آلآف مَلَك، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر ـ وذكر الحديث[٢٥].

الرواية الثالثة والعشرون:

عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله ومحمّد بن عبد الله، عن عبد الله إبن جعفر الحميري، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن مهزيار، عن أبي القاسم، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟، فقال: إنّ الحسين عليه السلام لما أُصيب، بَكَتْهُ حتى البلاد، فوكل الله به أربعة آلآف مَلَك شُعُثاً غُبُراً يبكونه إلى يوم القيامة ـ وذكر الحديث[٢٦].

الرواية الرابعة والعشرون:

عن إبن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله تعالى، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد إبن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن صباح الحذّاء، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: زوروا الحسين عليه السلام ولو كلّ سنة، فإنّ كلّ مَن أتاه عارفاً بحقه غير جاحدٍ لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل، إنّ الله وكلّ بقبر الحسين بن عليّ عليه السلام أربعة آلآف مَلَك كلّهم يبكونه ويشيّعون مَن زاره إلى أهله، فإنْ مرض عادوه، وإنْ مات شهدوا جنازته بالإستغفار له والترحّم عليه[٢٧].

الرواية الخامسة والعشرون:

عن حسن بن عبد الله بن محمّد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب بإسناده مثله[٢٨].

الرواية السّادسة والعشرون: عن إبن قولويه القمّي عن أبيه (رحمه الله)، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد إبن عيسى، عن أبيه، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

وكّل الله بقبر الإمام الحسين (عليه السلام) سبعين ألف مَلَك شُعُثاً غُبُراً يبكونه إلى يوم القيامة يصلّون عنده، الصّلاة الواحدة من صلاتهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب صلاتهم وأجر ذلك لمن زار قبره (عليه السلام)[٢٩].

الرواية السّابعة والعشرون:

عن محمّد بن جعفر الرزّاز، عن محمّد بن الحسين إبن أبي الخطّاب، عن صفوان بن يحيى، عن حنان بن سدير، عن مالك الجهني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إنّ الله وكّل بالإمام الحسين (عليه السلام) مَلَكاً في أربعة آلآف مَلَك، يبكونه ويستغفرون لزوّاره ويدعون الله لهم[٣٠].

الرواية الثامنة والعشرون:

عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحِمْيَري، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، قال: حدثنا الهيثم بن واقد، عن عبد الملك بن مقرن، عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

إذا زرتم أبا عبد الله (عليه السلام) فالزموا الصّمت إلاّ من خير، وإنّ ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس، وحتى ينور الفجر، ثمّ يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء،

فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، فإنما شغلهم بكم إذا نطقتم. قلت: جُعِلْتُ فداك وما الذي يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر؟، قال عليه السلام: أهل الحائر يسألون الحَفَظَة، لأنّ أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد .

قلتُ: فما تُرى يسألونهم عنه؟!، قال عليه السلام: إنهم يمرّون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء، فربّما وافقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده فاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام، مَن مضى منهم، فيسألونهم عن أشياء وعمّن حضر منكم الحائر ويقولون: بشّروهم بدعائكم، فتقول الحَفَظَة: كيف نبشّرهم وهم لا يسمعون كلامنا، فيقولون عليهم السلام لهم: بارِكوا عليهم وادعوا لهم عنا، فهي البشارة منا، فإذا انصرفوا فحفّوهم بأجنحتكم، حتى يحسّوا مكانكم، وإنّا نستودعهم الذي لا تضيع ودائعه.

ولو يعلموا ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لاقتتلوا على زيارته بالسيوف، ولباعوا أموالهم في إتيانه، وإنّ فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها الف نبيّ وألف صدّيق وألف شهيد ومن الكرّوبيين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وإنها لتشهق شهقة، فلا يبقى في السماوات مَلَك إلاّ بكى رحمة لصوتها، وما تسكن حتى يأتيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: يا بنيّة قد أبكيتِ أهل السّماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفّي حتى يقدِّسوا، فإنّ الله بالغ أمره، وإنها لتنظر إلى مَن حضر منكم، فتسأل الله لهم من كلّ خير، ولا تزهدوا في إتيانه، فإنّ الخير في إتيانه أكثر من أنْ يُحْصَى(٣١).

الرواية التاسعة والعشرون:

عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحِمْيَري، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري، عن عبد الله بن عبد الرّحمان الأصمّ، قال:

حدّثنا ابو عبيدة البزاز، عن حريز، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ له: جُعِلْتُ فداك ما أقلّ بقاؤكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم، فقال عليه السلام:

إنّ لكلّ واحدٍ منّا صحيفة فيها ما يُحْتَاجُ إليه أنْ يُعْمَل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أُمِرَ به عر ف أنّ أجَلَه قد حضر، وأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله، وأنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعْطِيْها وفسّر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقضِ، فخرج إلى القتال. فكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته، فأَذِنَ لهم، فمكثت تستعدّ للقتال وتأهّبَتْ لذلك حتى قُتِلَ عليه السلام، فنزلت الملائكة وقد انقطعت مدّته وقُتِل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا ربّ أذِنْتَ لنا بالإنحدار وأذِنْتَ لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبّته حتى ترونه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خُصِصْتُم بنصرته والبكاء عليه عليه السلام، فبكت الملائكة حزناً وجَزَعاً على ما فاتهم من نصرة الحسين عليه السلام، فإذا خرج عليه السلام يكونون أنصاره(٣٢).

تنبيه هام: "إنّ لكلّ منا صحيفة فيها ما يُحتاج إليه أنْ يُعمل به في مدته".

قوله عليه السلام: "إنّ لكلّ منا صحيفة فيها ما يُحتاج إليه أنْ يُعمل به في مدته" إشارة إلى أنّ وظائفهم ومهامهم موكلة إليهم من قبله عزّ وجلّ لا يمكن أن يتخطوا مدّتها، من هنا كانوا يقدمون على الأكل من الطعام المسموم مع علمهم بذلك، ويشهد له أمران:

الأوّل: إنّ الله عزّ اسمه أمرهم بذلك لعلل كثيرة، **منها**: عدم وجود أنصار يذودون عنهم الخصوم والأعداء، **ومنها**: دفع شبهة الغلو عنهم، **ومنها**: فضح أعدائهم وإظهار سرائرهم.

الثاني: إنّ لكلّ إمام مدّة وأجَل لا يمكن أنْ يتخطاه لمبررات موضوعيّة خاصّة بأهل زمانهم، ولإفساح المجال للإمام اللاحق العمل بما أمره الله به بعد شهادة السابق، إذ لو

كان من المصلحة بقاء السابق لما كان ثمّة مبرر لموته بل حينئذٍ تقتضي الحكمة الإلهيّة بقاءه والحفاظ عليه عبر المعجزة ــ كما هو حاصل بالنسبة لمولانا الإمام صاحب الزمان المهدي عليه السلام إذ إنّ الهدف إذا كان عظيماً وراجحاً لا بدّ للحكمة الإلهيّة أن تحافظ على مقدماته والأسباب التي تحقق وجوده.

هذا وقد أورد إبن قولويه القمّي في كتابه "كامل الزيارات" باباً آخر حول بكاء السّماء والأرض على قتل الإمام الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريّا عليه السلام، ونحن هنا نورده كاملاً لإثبات المطْلَب، وهو كالآتي:

الرّواية الأولى:عن إبن قولويه القمّي، عن أبيه رحمه الله تعالى، وجماعة من مشايخنا، عليّ بن الحسين ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن أحمد إبن الحسن الهيثمي، عن عليّ الأزرق، عن الحسَن بن الحَكَم النخعي، عن رجل، قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول في الرّحبة، وهو يتلو هذه الآية: ﴿**فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا مُنْظَرين**﴾، وخرج عليه الحسين عليه السلام من بعض أبواب المسجد، فقال : أمَا إنّ هذا سيُقْتَل وتبكي عليه السّماء والأرض(٣٣).

الرّواية الثانية:عن محمّد بن جعفر الرزّاز عن محمّد بن الحسين، عن الحَكَم بن مسكين، عن داود بن عيسى الأنصاري، عن محمّد بن عبد الرّحمان بن أبي ليلى، عن إبراهيم النخعي، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين عليه السلام حتى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: يا بنيّ إنّ الله عبر أقواماً بالقرآن، فقال: ﴿**فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا مُنْظَرين**﴾، وأيم الله ليقتلنّك بعدي ثمّ تبكيك السّماء والأرض(٣٤).

الرّواية الثالثة: عن إبن قولويه القمّي عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين إبن أبي الخطّاب بإسناده مثله(٣٥).

الرّواية الرّابعة:عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن الحسين، عن وهيب بن حفص النخّاس، عن أبي بصير، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الحسين عليه السلام بكى لقتله السّماء والأرض واحمرّتا، ولم تبكيا على أحدٍ قطّ إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ عليهما السلام(٣٦).

الرّواية الخامسة:عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد إبن الحسين بإسناده مثله(٣٧).

الرّواية السّادسة:عن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه وغيره، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسَن بن عليّ بن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، وعن عبد الله بن هلال، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ السّماء بكت على الحسين بن عليّ عليه السلام ويحيى بن زكريّا عليه السلام، ولم تبكِ على أحدٍ غيرهما، قلت: وما بكاؤهما؟، قال: مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة، قلت: فذاك بكاؤهما؟، قال عليه السلام: نعم(٣٨).

الرواية السّابعة:عن إبن قولويه القمّي، عن أبيه رحمه الله تعالى، عن سعد بن عبد الله، عن عبد الله إبن أحمد، عن عمر بن سهل، عن عليّ بن مسهر القرشي، قال: حدثتني جدّتي أنها أدركَتْ الحسين بن عليّ عليه السلام حين قُتِل، قالت: فمكثنا سنةً وتسعة أشهر والسّماء مثل العَلَقة، مثل الدّم، ما ترى الشّمس(٣٩).

الرّواية الثامنة:عن عليّ بن الحسين بن موسى، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن إبن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد بن عليّ الحلبي، عن مولانا الإمام أبي

عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا مُنْظَرين**﴾، قال (عليه السلام): لم تبكِ السّماء على أحدٍ منذ قُتِل يحيى بن زكريّا (عليه السلام) حتى قُتِل الإمام الحسين (عليه السلام)، فبكت عليه(٤٠).

الرّواية التّاسعة:عن محمّد بن جعفر الرّزاز القرشي، قال: حدثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إحمرَّتْ السّماء حين قُتِلَ الحسين (عليه السلام) سنة ويحيى بن زكريّا، وحمرتها بكاؤها(٤١).

الرّواية العاشرة:عن إبن قولويه القمّي عن أبيه (رحمه الله) تعالى، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد إبن محمّد بن عيسى، عن الحسَن بن عليّ بن فضّال، عن إبن بكير، عن زرارة، عن عبد الخالق بن عبد ربُّه، قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ﴿**لم يجعلْ له من قبل سميّاً**﴾ الحسين بن عليّ (عليه السلام)، لم يكن له من قبل سميّاً، ويحيى بن زكريّا (عليه السلام) لم يكن له من قبل سميّاً، ولم تبكِ السّماء إلاّ عليهما أربعين صباحاً، قال: قلتُ: ما بكاؤها؟، قال (عليه السلام): كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء(٤٢).

الرّواية الحادية عشرة: عن عليّ بن الحسين بن موسى، عن عليّ بن إبراهيم وسعد بن عبد الله جميعاً، عن إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن فضّال، عن أبي جميلة، عن جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر (عليه السلام)، قال: ما بكت السّماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلاّ على الحسين بن عليّ (عليه السلام)، فإنها بكت عليه أربعين يوماً(٤٣).

الرّواية الثانية عشرة: عن محمّد بن جعفر الرزّاز الكوفي، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:لم تبكِ السّماء إلاّ على الحسين بن عليّ ويحيى بن زكريّا (عليهما السلام)(٤٤).

الرواية الثالثة عشرة:وعنه، عن محمّد بن الحسين، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن محمّد بن سَلَمة، عمّن حدَّثَه قال: لما قُتِلَ الحسين بن عليّ عليهما السلام أمطرت السّماء تراباً أحمراً[٤٥].

الرّواية الرّابعة عشرة: عن حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطّاب، عن محمّد بن أبي عمير، عن الحسين بن عيسى، عن اسلم بن القاسم، قال: أخبرنا عمرو بن ثبيت، عن أبيه، عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: إنّ السّماء لم تبكِ منذ وُضِعَتْ إلاّ على يحيى بن زكريّا عليه السلام والحسين بن عليّ عليهما السلام، قلت: أيّ شيء كان بكاؤها؟، قال: كانت إذا استقبلت بثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدّم[٤٦].

الرّواية الخامسة عشرة:عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله وعليّ بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن موسى بن الفضل، عن حنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فإنه بلغنا عن بعضهم انها تعدل حجة وعمرة، قال: لا تعجب ما أصاب من يقول هذا كلّه، ولكن زره ولا تجفه، فإنه سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة وشبيه يحيى بن زكريّا، وعليهما بكت السّماء والأرض[٤٧].

الرّواية السّادسة عشرة:عن إبن قولويه القمّي عن أبيه ومحمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن عبد الصّمد بن محمّد، عن حنان بن سدير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله سواء[٤٨].

الرّواية السّابعة عشرة:عن إبن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل إبن بزيع، عن حنان بن سدير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله(٤٩).

الرّواية الثامنة عشرة وبهذا الإسناد عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن غير واحد، عن جعفر بن بشير، عن حمّاد، عن عامر بن معقل، عن الحسن بن زياد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال:

كان قاتل يحيى بن زكريّا عليه السلام ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، ولم تبكِ السّماء على أحد إلاّ عليهما، قال: قلت: وكيف تبكي؟، قال عليه السلام: تطلع الشّمس في حمرة وتغيب في حمرة(٥٠).

الرّواية التاسعة عشرة: عن محمّد بن جعفر القرشي، عن محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير بإسناده مثله(٥١).

الرّواية العشرون: عن إبن قولويه القمّي عن أبيه وعليّ بن الحسين رحمهما الله جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الله بن هلال، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول:إنّ السّماء بكت على الإمام الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريّا عليه السلام ولم تبكِ على أحدٍ غيرهما، قلتُ: وما بكاؤهما؟، قال عليه السلام: مكثوا أربعين يوماً تطلع الشّمس بحمرة وتغرب بحمرة، قلتُ: فذاك بكاؤها؟، قال عليه السلام: نعم(٥٢).

الرّواية الحادية والعشرون:وعنهما، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن البرقي محمّد بن خالد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الحسن إبن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب الحارثي، قال:

بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في الرحبة إذ طلع الحسين (عليه السلام) عليه، فضحك عليّ (عليه السلام) ضحكاً حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: إنّ الله ذكر قوماً وقال: ﴿**فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾، والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السّماء والأرض(٥٣).

الرّواية الثانية والعشرون:عن إبن قولويه عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد إبن محمّد، عن البرقي، عن عبد العظيم، عن الحسن، عن أبي سلمة، قال: قال جعفر بن محمّد (عليهما السلام): ما بكت السماء والأرض إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين (عليهما السلام)(٥٤).

الرّواية الثالثة والعشرون:عن إبن قولويه عن أبيه رحمهما الله، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى جميعاً، عن العمركي بن عليّ البوفكي، قال:
حدّثنا يحيى ــ وكان في خدمة أبي جعفر الثاني (عليه السلام) ــ عن عليّ، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

سالته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة، فقلت: يابن رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً منكسراً، فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي، قلت: فما الّذي تسمع؟، قال: إبتهال الملائكة إلى الله (عزّ وجلّ) على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين (عليهما السلام)، ونَوْح الجنّ وبكاء الملائكة الّذين حوله وشدّة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم ــ وذكر الحديث(٥٥).

الرّواية الرّابعة والعشرون: عن إبن قولويه عن أبيه رحمهما الله، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن

خالد البرقي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني العلوي، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب، قال:

بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرّحبة إذ طلع الحسين عليه السلام، قال: فضحك عليّ عليه السلام حتّى بدت نواجده، ثمّ قالك إنّ الله ذكر قوماً، فقال: ﴿**فما بكت عليهم السَّماء والأرض وما كانوا منظَرين**﴾،والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السّماء والأرض(٥٦).

الرّواية الخامسة والعشرون:عن نصر بن مزاحم، عن عمر [عمرو] بن سعد، قال: حدّثني أبو معشر، عن الزّهري، قال: لما قُتِلَ الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً(٥٧).

الرّواية السّادسة والعشرون:عن عمر [عمرو] بن سعد: وحدّثني أبو معشر، عن الزّهري، قال: لما قُتِلَ الحسين عليه السلام لم يبقَ في بيت المقدس حصاة إلاّ وُجِدَ تحتها دم عبيط(*) (٥٨).

الرّواية السّابعة والعشرون:عن إبن قولويه عن أبيه، عن محمّد بن الحسن بن مهزيار، عن أبيه، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن داود بن فرقد، قال: سمعتُ ابا عبد الله عليه السلام يقول:

كان الّذي قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ولد زنا، والّذي قتل يحيى بن زكريّا ولد زنا، وقال: احمرّت السّماء حين قُتِلَ الحسين بن علي سنة، ثمّ قال: بكت السماء والأرض على الحسين بن عليّ وعلى يحيى بن زكريّا وحمرتها بكاؤها(٥٩).

*****

(*) دم عبيط: خالصٌ طريٌّ.

المناشئ الباطنية للبكاء بشكلٍ عام

بعد هذا الإستعراض القيّم للآلئ الأخبار الصحيحة والموثَّقة نسأل المتفلسفين الّذين اعترضوا على البكاء هل أنّ كلّ هذه الأخبار المتواترة غير صحيحة بنظرهم ولم تصدر من أئمّة آل البيت عليهم السلام وما الدليل على عدم صحتها؟ وإذا كان كذلك فكيف نصدّق إذاً الأخبار المتواترة الأخرى التي دلّت على مسائل أخرى غير مسألة البكاء؟ فإذا وصلت النّوبة إلى رفض ذاك الجمّ الغفير من الأخبار الدّالّة على البكاء، فلا بدّ حينئذٍ من رفض الأخبار الأخرى الدّالّة على غير مسألتنا لوجود ملازمة بين كثرة هذه الأخبار وبين مشروعيّة البكاء، تماماً كوجود ملازمة بين بقيّة الأخبار وتعيين الوظائف الشرعيّة عِبْرَ الأخبار المتواترة.

فرفض الأخبار المتواترة في مسألة معيَّنة دون مسألة أُخرى يُعتبر فصلاً بلا دليل وخلاف الضرورة والإجماع.

من هنا ينقدح السؤال في ذهن كلّ متسائل: لماذا البكاء على الإمام الحسين عليه السلام؟ ولماذا بكت السماء والأرض والجماد والحيوان على ذاك الإمام الهمّام؟

وقبل الإجابة التفصيليّة عن المنشأ الباطني للبكاء، أقول: إنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام هو على أقلّ تقدير كالبكاء على فقيدٍ أو غالٍ على قلب الباكي، فهل يمكن أنْ نسأله لماذا تبكي على فقيدك أو الغالي على قلبك؟ هل يمكن نهيه وزجره عن البكاء لأنّه حالةٌ غير حضاريّة كما صوّرها بعض المشكِّكِين!

فإذا لم يصح الإعتراض على بكاء الثكالى للنكتة التي ذكرنا، لا يصحّ بطريقٍ أولى نعت البكائين على الإمام الحسين بالرجعيّة أو عدم الحضارة والمدنية، وهل المدنيّة

والحضارة أنْ لا يبكي الإنسان على فقيده أو حبيبه؟! إنّ مَن لا يبكي على فقيدٍ غالٍ هو قطعاً وحشٌ قاسٍ قلبُه، لا يعرف شيئاً من الرّحمة والرّقة: ﴿**إنْ هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً**﴾ (الفرقان/٤٤)، ﴿**إنّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإنّ منها لما يهبط من خشية الله**﴾ (البقرة/٧٤).

وهنا لا بدّ من البحث في أمرين: **أحدهما** في مناشئ البكاء والأسباب الدّاعية إليه، **وأخرى** في الوجوه والمصالح الدّاعية إلى استمراريّة البكاء على الإمام المظلوم إلى يوم القيامة.

* أمّا المناشئ الباطنيّة والأسباب المحفزة للبكاء بشكلٍ عام ـ دون لحاظ كونها على الإمام السبط المظلوم عليه السلام، وهو لحاظٌ عامٌّ لا يمنع تقييده باللحاظ الخاص إدراجاً للمصداق في المفهوم العام ـ فكثيرة نذكر منها:

المنشأ الأوّل: العلقة الخاصّة مع صاحب العزاء لكونه حبيباً أو رفيقاً أو والداً، وهي من أعظم الأسباب الدّاعية إلى تذكر هؤلاء لا سيّما الوالدين لكونهما علّة الإيجاد الصوري أو المعنوي، من هنا قرن الله حقّ الوالدين بالتوحيد، فقال عزّ وجلّ: ﴿**وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً**﴾ (الإسراء /٢٣).

فالآية المبارَكة وإنْ أوجبت الإحسان إلى الوالدين ـ ولو كانا كافرَين ـ لكونهما علّة الإيجاد الصّوري ــ وهو القدر المتيقن ــ لكنْ ذلك لا يمنع من التعدّي إلى علّة الإيجاد المعنوي، بمعنى أنّه إذا جاز الإحسان إلى الوالدين النسبيين لأجل كونهما علّة في إيجاد الولد المعلول، جاز بطريق أولى الإحسان إليهما لكونهما منعمين على الولد بالمعارف والإعتقادات الحقّة من حيث تربيتهما لذاك الوليد وتغذيتهما له بالديانة الصحيحة.

فإذا ما كان حقّ علّة الإيجاد الصّوري والمعنوي بهذه المرتبة، فعلّة الإيجادين أَوْلَى بهذا الحقّ، بمعنى أنّ علّة الإيجاد الصّوري والمعنوي متحققة أيضاً بالوالدين الحقيقيين المنعمين بالولاية والنجاة وهما النبيُّ والوصيّ أو الإمامة والولاية، فالأولى متمثلة بالنبيّ والوصي، والثانية متمثلة بالصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء روحي فداها، فهي أمنا الحقيقيّة، والإمام أبونا الحقيقي، إذ لولاهما لَمَا عرفنا الله وعبدناه كما أراد "ولولاهم ما عُرِفَ الله وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه"(٦٠)، "وبعبادتنا عُبِدَ الله عزّ وجلّ ولولانا ما عُبِدَ الله"(٦١)، "بنا عُبِدَ الله وبنا عُرِفَ الله، وبنا وُحِّدَ الله تبارك وتعالى"(٦٢)، "بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ الله ولولا نحن ما عُبِدَ الله"(٦٣).

فالوالدان الحقيقيان أحق بهذا الحق، فقضى ربّك بالإحسان إليهما. "ولا ريب أنّ إقامة العزاء والبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) إحسان إلى النبيّ والوصي وسيّدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم، بل في بعض الرّوايات في تفسير قوله تعالى: ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ أنّ الوالدين هما الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام)، فالبكاء عليهما إحسان إلى الوالد ابتداءاً، والوجه في أنّ البكاء إحسان، أنّ الإحسان إيصال النفع، وعمدة النفع الإعزاز والإحترام، والبكاء إعزاز للأموات والمقتولين ولذا سأل إبراهيم (عليه السلام) ربّه إبنة تبكيه بعد موته، ولما سمع النبيُّ (صلى الله عليه وآله) نساء الأنصار يندبن على قتلى أُحُد قال: وأمّا حمزة فلا بواكي له، فأمر الأنصار نساءهم أن يندبن على حمزة، فسمع ذلك النبي فدعا لهنّ"(٦٤).

المنشأ الثاني: الرّقة والحنان لعلقة الإلتحام الّذي هو من أعظم القرابة، نظير المرض الّذي يعرض على الإنسان، فإنّ أفراد الأسرة كلّهم يتوجعون ويتألمون لتوجّع المريض

القريب لهم، وما ذاك إلاّ لعلقة الرقّة بسبب الإلتحام وهو القرابة والرّحميّة، ومن هذه الجهة بكاء الحور العين ولطمهنّ على الإمام الحسين عليه السلام في الجنان التي هي دار السرور، وذلك أنّ المخلوقات حيث كان لكلّ منها مادّة، فقد خلقت الحور العين من نور الإمام الحسين عليه السلام، فهي ملتحمة به، ومع ذلك كيف يمكن أنْ يكون واقعاً على الأرض تحت سنابك الخيل ورأسه على الرّمح ودمه على الأرض وفؤاده مثقوب، وكبده مقروح، وقلبه محترق... والشّيعة حينما يبكون على الإمام فلأنهم خُلِقوا من فاضل طينة الإمام الحسين عليه السلام لرواية الإمام الصادق عليه السلام: شيعتنا منا وقد خُلِقوا من فاضل طينتنا وعُجِنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمّة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا ويحزنهم حزننا ويسرّهم سرورنا ونحن أيضاً نتألّم بتألّمهم، ونطّلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ونحن لا نفارقهم، ثمّ قال: اللهمّ إنّ شيعتنا منا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا استحى الله أنْ يعذّبه بالنار.

وفي حديث الأربعمائة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله اختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون بفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أنفسهم وأموالهم فينا، أولئك منّا وإلينا.

المنشأ الثالث: الرقّة على المصيبة لكون المصاب صاحب حق على الباكي، والحقوق كثيرة، **منها**: حقّ الإيجاد وهو حقّ الوالدين والأجداد، والإمام الحسين عليه السلام له علينا هذا الحق؛ فإنّ وجودنا وآبائنا ببركة وجوده، ومنها: حق الإسلام والإيمان وهو ثابت لكلّ مسلم لأخيه المسلم من جهة المشاركة في الإسلام، فكيف يكون حق من صار سبباً لهدايتنا إلى الإيمان، فالإمام الحسين عليه السلام قد فدى نفسه لإحياء التوحيد ودين الله، ومعنى ذلك أنه لو لم يتحمل هذه المصائب لم يظهر دين للشيعة، فالإمام

الحسين عليه السلام هو السبب التام لإحياء دين الله، وكلّ مؤمن يعبد الله إنما ببركة دماء الإمام عليه السلام الزكيّة وتضحياته العظمى التي عجزت عنها آمال الأنبياء والمرسَلين وجميع الأولياء والصالحين.

ومنها: حق الوداد، فهل أحد يودّ شيعته مثل الإمام الحسين عليه السلام وهو على يمين العرش ينظر إلى زوّاره والباكين عليه. **ومنها**: حقّ التعب، ولو أنّ أحداً أصابه فيك صداع أو جرح يسير لكنت خجلاً منه أبداً وتتمنى أن تنعم عليه بما يجب.

المنشأ الرّابع: الرّقة على المصاب لأنه كبيرٌ وجليل فإنّ لمصاب الكبير خصوصاً إذا عومل معه بما ينافي جلالته خصوصيّة توجب رقّة القلوب عليه ولو كان أجنبياً بل ولو كان كافراً عدوّاً ــ لكنْ لا يجوز البكاء عليه لأنّ البكاء رحمة واستغفار لا يجوز أنْ يصدران من مؤمن على كافر ــ وبذلك جرت سيرة الملوك مع أعدائهم أيضاً كما في قضيّة ذي القرنين مع دارا بن دارا، وقد جرى حكم الشارع أيضاً على ذلك ولذا رمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه لعدي إبن حاتم حين كفره ليجلس عليه وقال: أكرموا عزيز قوم ذل، ومن هذا لم يسلب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثياب عمرو بن عبد ود لما قتله بل ولا نزع درعه مع أنه لم يكن له نظير فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: إنه كبير في قومه وما أحب هتك حرمته في بقائه عارياً، وكذلك قد جعل الشارع لبنات ملوك الكفار إذا أسرن واسترققن حكماً آخر من الإحترام وأنهنّ يخيّرن ولا يعرضن على البيع في الأسواق، فهلمّوا نبكي عليه بكاء العبد لسيّده وبكاء له؛ لأنه جليل وكبير هتكت حرمته وسلب ثوبه ودير بعياله من بلدٍ إلى بلد طمعوا فيهنّ كالجواري فمن لا يبكيه كذلك لا يعرف قدر أحد ولا مرتبة له.

المنشأ الخامس: الرّقة على مَن كان ذا صفاتٍ حميدة فإنّ حسن الصفات ومحموديتها توجب الرّقة على ذي الصفات وإنْ لم تعرفه بل وقد ورد الشرع باحترامه ولو كان كافراً كما أوحي إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخيٌّ، وكذلك بعض أسراء الكفار نزل جبرائيل عليه السلام من الله بالنهي عن قتله فإنه يطعم الطعام فمصاب صاحب الصفات الحسنة يؤثر في القلب خصوصاً مصاب تقابل الصفات فإذا رأيت من كان يهب الألوف قد احتاج إلى لقمة خبز يسأل لها رق قلبك عليه بالخصوص ومن كان ذا حياء إذا رأيته مهاناً في ملأ الناس كانت لرقّة القلب عليه خصوصيّة وهكذا فإذا لاحظت صفات سيّد الشهداء وخصوصياتها ونظرت إلى التطابق وبين خصوصيات مصابه كان ذلك موجباً لرقّة خاصّة عليه وبكاء مخصوص عليه، فهلمّوا نبكي عليه بكاءاً على صفاته الحميدة... .

المنشأ السّادس: البكاء للتبعيّة فإنه قد يتحقق تبعاً للباكين مع قطع النظر عن المبكي عليه فابكِ تبعاً للنبي صلى الله عليه وآله فلكم فيه أسوة حسنة لا بل تبعاً للأنبياء والأوصياء لا بل تبعاً للسماوات والأرضين أو الوحوش أو الطيور أو ابكِ تبعاً للأشجار أو تبعاً للأحجار فأيّ قلبٍ هو اقسى من الحجر أو تبعاً للحديد فإنّ في قصّة مسمار سفينة نوح عليه السلام أنه بكى دماً فابكِ دمعاً تبعاً له.

المنشأ السابع: الترحّم للجنسيّة فإنها توجب الرقّة مع قطع النظر عن كلّ صفة وحق وعلاقة، مثلاً إذا سمعت أنّ رجلاً بلا تقصير أتى إلى برّيّة ومعه أولاد شباب ورضع ونساء وإخوان وأخوات واصحاب فجرى عليه ما جرى لاحترق قلبك بل ولو سمعت أنّ رجلاً مقصّراً أو محللاً للحرام أو محرماً للحلال أو عدواً لك أو كافراً بالله صنع به

كذلك لرحمته ولقد كان يقول: هل تطالبوني بقتيلٍ قتلته أو بمال استملكته أو شريعة بدّلتها.

أقول: فداك نفسي لو كنت كذلك لَمَا كنتَ مستحقاً لما وقع عليك.! فليست هناك جناية هذه عقوبتها، فهلمّوا نبكي عليه بكاء ترحّم عليه، فمن لا يبكيه كذلك لا مروّة له(٦٥).

المنشأ الثامن: البكاء لكلّ هذه الصفات بأجمعها فالإمام الحسين عليه السلام والدك حقيقة وأنت ملتحم به وهو كبير في السماوات والأرض صاحب كلّ الحقوق عليك صاحب الصفات الحميدة بكى عليه جميع الخلق وهو من البشر ولا ذنب له ولا جرم وقد وقع عليه ذلك، فابكوا عليه لجميع ذلك فمن لا يبكيه كذلك فهو عاق شاق بلا وفاء وبلا حقوق ولا يعرف قدراً ولا مروّة له وهو خارج عن الحقيقة الإنسانيّة.

مضافاً إلى ذلك فإنّ طبيعة البكاء مباحة، بل وتستكشف محبوبيتها من بعض الآيات ــ لكونه ينمُّ عن رقّة القلب وخشوعه ــ بخلاف الضحك ــ الّذي يكشف عن الغفلة والقسوة ــ قال تعالى: ﴿**فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون**﴾ (التوبة/٨٢)، فقد وصف الله عزّ وجلّ الفسّاق بالضحك الكثير والبكاء القليل، ولكنّ المؤمنين الأبرار مميَّزون بكثرة البكاء قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿**قل آمِنوا به أو لا تؤمنوا به إنّ الّذين أوتوا العلم من قبله إذ يتلى عليهم، يخرّون للأذقان سجّداً ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربّنا لمفعولاً، ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**﴾ (الإسراء/١٠٧ـ ١٠٩). وقال تعالى: ﴿...**ومن ذريّة إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذ تتلى عليهم آيات الرّحمان خرّوا سجّداً وبكيّاً**﴾ (مريم/٥٨).

إنْ قيل: إنّ الآيات دلّت على جواز البكاء من خشية الله تعالى وليس فيها دلالة على صحّته بالنسبة لفقدان عزيز وحبيب.

قلنا: دلالتها على ما ذكره الإشكال صحيحة لكنّها لا تنفي مشروعيّة البكاء سواء أكان خوفاً من الله عزّ وجلّ أم حبّاً له أم شيئاً آخر كمفروض المسألة، فالآيات وإنْ كانت سوى الآية الأولى في مقام مدح الخاشعين لكنها لا تنفي أصل المشروعيّة ولو كان كذلك لوصل إلينا بآية أخرى أو بحديث نبويٍ وما شاكل ذلك، وما دامت الآيات في بيان مقام الخاشعين البكائين فيستلزم ذلك مشروعيّة البكاء.

ناهيك عن أنّ البكاء على الإمام المظلوم عليه السلام من مصاديق الخشوع لله تعالى، وهل هناك آية أفضل وأعظم من الإمام الحسين عليه السلام؟ فالأئمّة عليهم السلام من آيات الرّحمان بحيث لو تليت مظلوميتهم على الخاشعين يخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً، مع التأكيد على أنّ السماء والأرض بكت على الإمام الحسين عليه السلام طبقاً لِمَا ورد تعقيباً على قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**..﴾ فإذا ما بكت السماء والأرض على الإمام فلِمَ لا يبكيه الجنّ والإنس، وبكاء السماء والأرض يستلزم رقتهما وحزنهما على الأتقياء فكيف بمَن كانوا أولياءاً!

علاوةً على ذلك؛ فإنّ بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إبنه إبراهيم وبكاء يعقوب على يوسف أعظم دلالة على مشروعيّة البكاء من أجل فقدان حبيب، فكيف إذا كان هذا الحبيب بمثابة سيّد الخلق الحسين الشهيد عليه السلام.

لقد أكّد الإسلام على البكاء وشجّع عليه، وطبيعي أنْ يقرّ ذلك لما يترتّب على البكاء من آثار إيجابيّة لا ندرك إلاّ بعضها، منها أنه يحلّ العقد النفسيّة التي يعجز العلم الحديث عن معالجتها؛ لأنّ الأزمات والخسائر التي تصدم الإنسان، تترسّب في قلبه

على شكل عقد، لا يحلّها سوى الإنتقام، ممّن سبّب له تلك النكبة، وإذا كان الإسلام ديناً متسامحاً لا انتقاميّاً، وإذا كان الإنسان جائراً في كثير من ألوان الإنتقام التي يرغب فيها بطبيعته الحيوانيّة، وتتظافر الأديان والقوانين على صدّه عن ممارستها، فلا تجد تلك العقد مجالاً للتعبير والتنفيس اللذين يروّحان عنه، بل تظلّ في أعماق النفس، تأكل بعضها وتأكل الإنسان، حتى تنقلب تحت الكبت الطويل، إلى حقدٍ يجعل صاحبه شريراً يحبّ الوقيعة في كلّ أحدٍ، بعد أنْ كان يريد الإنتقام من خصمه أيضاً، بحيث لا يشعر بالرّاحة إلاّ إذا رأى الدّماء البريئة تراق، ودموع الثكلى تسفح ولا يطمئنّ بغير الأنّات الجريحة، والآهات الباردة، ووجود الحقد في النفوس بلاءٌ إذا أصاب مجتمعاً يلتهب فيه الرّطب واليابس، ولا ينجو من ويلاته مجرم ولا بريء، فلا بدّ من إزالته بمختلف الطرق، قبل أنْ يستفحل ويستعصي على العلاج، والإسلام حيث يوصي بالبكاء ويحاول حلّ العقد النفسيّة قبل أنْ تترسّب في النفوس، وتعاني الكبت فتتحوّل إلى حقد، على أنّ النفوس التي تعيش في أجواء مفعمة بالأحداث والتناقضات، يترسّب عليها غبار المعارك في صورة عقد، وإنْ لم تشتبك مصالحها الخاصّة مع خصومها؛ لأنّ الجوّ الإجتماعيّ يفرض رواسبه على كلّ مَن يعيش في ظلّه ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ حتى على اشدّ الناس حذراً من عواقبه، والعقد النفسيّة تُفْرَض على اصحابها من حيث يخيّل إليهم أنهم لا يستجيبون لعقدهم النفسيّة، وإنما يلبّون نداء العقل والضّمير، فتنعكس العقد شذوذاً في تصرّفاتهم، والبكاء وحده هو الدّواء الوحيد، الّذي يذيب العقد، قبل أن تستحوذ على العقل الباطن، وتتسلّل اتجاهاتها إلى التصرّفات الخارجيّة.

ولهذا السبب تكون النساء أقلّ عقداً من الرّجال؛ لأنهنّ لا يعانين أزمة نفسيّة إلاّ ويفرّجْنَ عن أنفسهنَّ بالبكاء، فينفِضْنَ عن أنفسِهنَّ العقد قبل أنْ تتركّز، وأمّا الرّجال؛

فإنهم حيث يستنكفون عن التوسّل بالدموع لمعالجة قضاياهم، ويستعصي الدّمع في آماقهم دون التمسّح بالأيدي، فتخلف كلّ أزمة ــ لا يجدون الخلاص منها ــ في أنفسهم عقدة تأخذ مجراها إلى تصرّفاتهم، رويداً رويداً، فيأخذ الشّذوذ بتصرّفاتهم، من حيث يظنّون أنهم عباقرة ينكرهم المجتمع.

فالدّمع هو المعين الّذي يغسل النفس، عن العقد التي تترسّب عليها من غبار المعارك والأحداث، ومن الخطأ إنفة الرّجل عن ذرف الدّموع إذا هاجت به العُقد، فلم يجد عنها مصرفاً، فالصّفة الكريمة للرّجل هي أنْ يكون جلداً رابط الجأش، لا يهيج بالإثارات الطفيفة، لا أنْ يكبت نفسه إذا هاجت، ولهذا كان الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ــ الّذين هم المثل العليا للإنسان الفاضل ــ لا يكفكفون دموعهم إذا انبجست أبداً، فالنبيّ آدم عليه السلام بكى لخروجه من الجنّة بحالةٍ مزريةٍ، حتى صنع الدّمع مسيلين في خدّيه، والنبيّ يعقوب بكى على فراق إبنه يوسف حتى ابيضَّتْ عيناه فعمى، والنبيّ يوسف بكى على أبيه يعقوب في السجن حتى ضاق به السجناء معه، وإنّ النبيّ الأعظم محمّد بكى على ولده إبراهيم ــ وقد توفى عن ثمانية عشر شهراً ــ حتى كان منكباه ينفضان، فسأله الناس عن سبب بكائه وهو يأمرهم بالصبر على النوازل، فأجابهم بأنّ "القلب يحترق والدّمع يجري ولا نقول ما يُغْضِبُ الرَّبَّ"، وإنّ مولاتنا فاطمة الزّهراء بكت على أبيها رسول الله حين قبضه الله عزّ وجلّ إليه حتى ماتت بغصّتها، فلم تُرَ بعد أبيها إلاّ باكية العين، معصّبة الرّأس، منهدّة الرّكن، والإمام السجّاد عليه السلام بكى على أبيه الإمام الحسين عليه السلام بقيّة حياته، فقيل: خمس وعشرين سنة، وقيل: أربعين سنة، حتى التحق بالرّفيق الأعلى.

فالبكاء محبوبٌ عند الله وفي جميع الأديان سواء أكان من خشية الله أو على نكبة، وأمّا البكاء على مآسي أهل البيت (عليهم السلام) وماساة الطّف بالذات؛ فإنه مستحبٌّ وعليه ثواب عظيم حسبما جاء في الأخبار المتواترة والتي لا يجوز إنكارها أو حملها على غير ظاهرها.

تواتر الأخبار على فضل البكاء على الإمام المعظَّم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)

كما إنّ هناك أخباراً كثيرةً تدلّ على أنّ الله (عزّ وجلّ) لم يبعث على وجه الأرض نبيّاً ووصيّاً إلاّ وذكره بمصاب الإمام الحسين (عليه السلام) فبكى عليه قبل استشهاده وهكذا فعل النّبي وابنته الصدّيقة فاطمة وبقيّة الأئمّة (عليهم السلام) لا سيّما مولانا الإمام المهديّ الحجّة المنتظر روحي فداه الّذي يبكي جدّه الشهيد بقوله حسبما ورد في زيارة الناحية المقدَّسة: "ولئن أخّرتني الدّهور، وعاقني عن نصرك المقدور فلأندبنّك صباحاً ومساءاً ولأبكينّ عليكَ بدل الدّموع دماً". مضافاً إلى وجود أخبار كثيرة تدلّ على فضل البكاء على الإمام الشهيد (عليه السلام)، نستعرض قسماً منها:

(أوّلاً): ما أورده إبن قولويه في كتابه كامل الزيارات:٢٠١ باب٣٢ حول ثواب مَن بكى على الإمام الحسين (عليه السلام):

(١) ـ حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي (عليه السلام) دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدقٍ، وأيما مؤمنٍ مسّه أذىً فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار.

(٢) ـ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور.

(٣) ـ وحدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن خاله محمد بن الحسين الزيات، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي هارون المكفوف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل له: ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عز وجل ولم يرض له بدون الجنة.

(٤) ـ حدثني حكيم بن داود بن الحكيم، عن سلمة بن الخطاب قال: حدثنا بكار بن أحمد القسام والحسن بن عبد الواحد، عن مخول بن إبراهيم، عن الربيع بن منذر، عن أبيه قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول:

من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقاباً.

(٥) ـ حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن حمزة بن علي الأشعري، عن الحسن بن معاوية بن وهب عمن حدثه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: وذكر مثل حديث محمد بن جعفر الرزاز سواء.

(٦) ـ حدثني محمد بن جعفر القرشي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن علي، عن ابن أبي عمير، عن علي بن المغيرة، عن أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين بن علي عليه السلام عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام في ذلك اليوم متبسماً إلى الليل.

(٧) ـ حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال:

قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ **قلت**: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي.**قال لي**: أفما تذكر ما صنع به؟ **قلت**: نعم. **قال**: فتجزع؟ **قلت**: إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك أما إنك من الذين يعدُّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمِنّا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل وملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرّ، وإن الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى أنه

ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مسمع من شرب منه شربةلم يظمأ بعدها أبداً ولم يستق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور، وريح المسك، وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم، ويمر بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدر والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً، أما إنك يا كردين ممن تروى منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه مَن أحبنا، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه مَن هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين!! فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره فيقول: ارجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك؛ فإن خير الخلق من يشفع [حقيق أن لا يرد إذا شفع] فيقول إني أهلك عطشاً فيقول له: زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً

قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره.

فقال: ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجترى عليها غيره، وليس ذلك لحبنا، ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل نفسه به عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب وأتباعه أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد.

(٨) ـ حدثني أبي رحمه الله، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن بكير الأرجاني، وحدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عبد الله بن زرارة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن بكير قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل فقلت: يا ابن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي عليه السلام هل كان يصاب في قبره شيء فقال: يا ابن بكير ما أعظم مسائلك إن الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون وإنه لَعَنْ يمين العرش متعلق به يقول: يا رب أنجز لي ما وعدتني وإنه لينظر إلى زواره وإنه أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده وإنه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة.

(٩) ـ حدثني حكيم بن داود، عن سلمة، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بكر بن محمد، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح بعوضة [الذباب] غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

(١٠) ـ حدثني حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسن بن علي، عن العلاء بن رزين القلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أيما مؤمن

دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها غرفا في الجنة يسكنها أحقاباً.

(١١) ـ وعنه، عن سلمة، عن علي بن سيف، عن بكر بن محمد، عن فضيل بن فضالة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار.

(ثانياً): **وهناك أخبار كثيرة أيضاً تشير إلى عِظَم الثواب على مَن قال شعراً فبكى أو أبكى، منها ما أورده إبن قولويه القمّي في كتابه الشريف كامل الزيارات الباب٣٣ في مَن قال في الإمام الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى، وهو كالآتي:**

(١) ــ حدثنا أبو العباس القرشي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام.

قال: فأنشدته فبكى.

فقال عليه السلام: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ .

قال: فأنشدته:

امْرُر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى ثم قال: زدني. **قال:** فأنشدته القصيدة الأخرى.

قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر.

قال: فلما فرغت. قال عليه السلام لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كُتِبت له الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنة، ومن ذكر

الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه [عينيه] من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة.

(٢) ــ حدثني أبو العباس عن محمد بن الحسين عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن حسن بن علي بن أبي المغيرة عن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته فبكى ثم أنشدته فبكى ثم أنشدته فبكى قال: فو الله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار فقال عليه السلام لي: يا أبا عمارة مَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة.

(٣) ــ حدثني محمد بن جعفر عن محمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن حسان عن [ابن] أبي شعبة عن عبد الله بن غالب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبليةٍ تسقوا حسيناً　　　بمسقاة الثرى غير التراب

فصاحت باكية من وراء الستر: وا أبتاه.

(٤) ــ وعنه عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَن أنشد في الحسين عليه السلام بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله

ولهم الجنة، ومَن أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأظنه قال: أو تباكى فله الجنة.

(٥) ــ حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال عليه السلام لي: أنشدني فأنشدته فقال عليه السلام: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره قال: فأنشدته:

امرر على جَدَثِ الحسين فقل لأعظُمِهِ الزكيةِ

قال: فلما بكى أمسكت أنا فقال: مر فمررت قال: ثم قال: زدني زدني قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاكِ وعلى الحسين فاسعدي ببكاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء قال: فلما أن سكتن قال عليه السلام لي: يا أبا هارون مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة ثم جعل ينقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة ثم قال: مَن ذكره فبكى فله الجنة.

(٦) ــ وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا.

(٧) ــ حدثني محمد بن أحمد بن الحسين العسكري عن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه عن محمد بن سنان عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَن أنشد في الحسين بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومَن أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة فلم يزل حتى قال: مَن أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأظنه قال: أو تباكى فله الجنة.

(ثالثاً): ما ورد في الأخبار الكثيرة من أنّ الإمام الحسين عليه السلام قتيل العبرة، لا يذكره مؤمن إلاّ بكى، ونحن نورد هنا ما أورده إبن قولويه في كتابه كامل الزيارات الباب٣٦، وهي الآتي:

(١) :قال إبن قولويه: حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين ومحمد بن الحسن رحمهم الله جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن أبي يحيى الحذاء، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن فقال: أنا يا أبتاه؟ قال: نعم يا بني.

(٢) :حدثني جماعة مشايخي، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن عبد الله، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة، عن أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن.

(٣): حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن إسماعيل بن مهران، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الحسين بن علي عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

(٤) : حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة.

(**٥**): حدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحسين بن علي: أنا قتيل العبرة.

(**٦**): حدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عن أبان الأحمر، عن محمد بن الحسين الخزاز، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنا عنده فذكرنا الحسين عليه السلام وعلى قاتله لعنة الله فبكى أبو عبد الله عليه السلام وبكينا قال: ثم رفع رأسه فقال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى.. وذكر الحديث.

(**٧**): حدثني علي بن الحسين السعدآبادي قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن مسكان، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة قتلت مكروباً وحقيق عليَّ أن لا يأتيني مكروبٌ قط إلا ردّه الله وأقلبه إلى أهله مسروراً.

(**٨**): حدثني حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن محمد بن عمرو، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

من خلال هذا السرد الاخباري نعلَم أنهم كانوا يشجّعون على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بكلّ ما أمكنهم من أساليب، بل كانوا يدعون للباكين على سيّد الشهداء، فقد ورد عن موسى بن عمر عن حسان البصري عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: ادخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته يناجي ربه وهو يقول:

اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي

الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاءً لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك وإجابةً منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حُفرة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى توافيهم على الحوض يوم العطش، فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله (عزّ وجلّ) لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ ثم قال (عليه السلام): يا معاوية لِمَ تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله فقال (عليه السلام): يا معاوية مَن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض.(كامل الزيارات: ٢٢٨ باب٤٠/ح٢).

وعن إبن قولويه أيضاً عن أبيه عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن عمر، عن حسان البصري، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال لي:

يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف؛ فإنّ مَن تركه رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والأئمّة عليهم السلام، أمَا تحب أنْ تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر لك ذنوب سبعين سنة، أمَا تحب أنْ تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب تتبع به، أمَا تحب أنْ تكون غداً ممن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٦٦).

وعن حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسن إبن عليّ الوشاء، عمن ذكره، عن داود بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تحضر لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم(٦٧).

❁❁❁❁❁

هوامش الفصل الأوّل

(١) ـ الشعائر الحسينيّة للسيِّد الراحل حسن الشيرازي/بتصرف وجيز/.

(٢) ـ كامل الزيارات:١٢١ح١٣٢.

(٣) ـ كامل الزيارات:١٢٢ح١٣٥.

(٤) ـ كامل الزيارات:١٢٢ح١٣٦.

(٥) ـ كامل الزيارات:١٢٣ح١٣٧.

(٦) ـ الإمامة والتبصرة:٥١ ـ ٥٢.

(٧) ـ كامل الزيارات:١٢٥ح١٣٩.

(٨) ـ كامل الزيارات:١٢٥ح١٤٠.

(٩) ـ كامل الزيارات:١٢٦ح١٤١.

(١٠) ـ كامل الزيارات:١٣٢ح١٥٠.

(١١) ـ كامل الزيارات:١٤١ح١٦٦.

(١٢) ـ كامل الزيارات:١٤٤ ـ ١٤٥ح١٧٠.

(١٣) ـ كامل الزيارات:١٤٦ح١٧٢ باب٢٢.

(١٤) ـ كامل الزيارات:١٧١ح٢٢١ باب٢٧.

(١٥) ـ كامل الزيارات:١٧١ح٢٢٢ باب٢٧.

(١٦) ـ كامل الزيارات:١٧٢ح٢٢٣ باب٢٧.

(١٧) ـ كامل الزيارات:١٧٢ح٢٢٤ باب٢٧.

(١٨) ـ كامل الزيارات:١٧٢ح٢٢٥ باب٢٧.

(١٩) ـ كامل الزيارات:١٧٣ح٢٢٦ باب٢٧.

(٢٠) ـ كامل الزيارات:١٧٣ح٢٢٧ باب٢٧.

(٢١) ـ كامل الزيارات:١٧٣ح٢٢٨ باب٢٧.

(٢٢) ـ كامل الزيارات:١٧٤ح٢٢٩ باب٢٧.

(٢٣) ـ كامل الزيارات:١٧٤ح٢٣٠.

(٢٤) ـ كامل الزيارات:١٧٤ح٢٣١.

(٢٥) ـ كامل الزيارات:١٧٤ح٢٣٣.

(٢٦) ـ كامل الزيارات:١٧٥ح٢٣٤.

(٢٧) ـ كامل الزيارات:١٧٥ح٢٣٥.

(٢٨) ـ كامل الزيارات:١٧٦ح٢٣٦.

(٢٩) ـ كامل الزيارات: ١٧٦ح٢٣٧.

(٣٠) ـ كامل الزيارات:١٧٦ح٢٣٨.

(٣١) ـ كامل الزيارات:١٧٦ح٢٣٩.

(٣٢) ـ كامل الزيارات:١٧٨ح٢٤٠.

(٣٣) ـ كامل الزيارات:١٨٠ح٢٤١.

(٣٤) ـ كامل الزيارات:١٨٠ح٢٤٢.

(٣٥) ـ كامل الزيارات:١٨٠ح٢٤٣.

(٣٦) ـ كامل الزيارات:١٨١ح٢٤٤.

(٣٧) ـ كامل الزيارات:١٨١ح٢٤٥.

(٣٨) ـ كامل الزيارات:١٨١ح٢٤٦.

(**٣٩**) _ كامل الزيارات: ١٨١ ح٢٤٧.

(**٤٠**) _ كامل الزيارات: ١٨٢ ح٢٤٨.

(**٤١**) _ كامل الزيارات: ١٨٢ ح٢٤٩.

(**٤٢**) _ كامل الزيارات: ١٨٢ ح٢٥٠.

(**٤٣**) _ كامل الزيارات: ١٨٣ ح٢٥١.

(**٤٤**) _ كامل الزيارات: ١٨٣ ح٢٥٢.

(**٤٥**) _ كامل الزيارات: ١٨٣ ح٢٥٣.

(**٤٦**) _ كامل الزيارات: ١٨٣ ح٢٥٤.

(**٤٧**) _ كامل الزيارات: ١٨٤ ح٢٥٥.

(**٤٨**) _ كامل الزيارات: ١٨٥ ح٢٥٦.

(**٤٩**) _ كامل الزيارات: ١٨٥ ح٢٥٧.

(**٥٠**) _ كامل الزيارات: ١٨٥ ح٢٥٨.

(**٥١**) _ كامل الزيارات: ١٨٥ ح٢٥٩.

(**٥٢**) _ كامل الزيارات: ١٨٥ ح٢٦٠.

(**٥٣**) _ كامل الزيارات: ١٨٦ ح٢٦١.

(**٥٤**) _ كامل الزيارات: ١٨٦ ح٢٦٢.

(**٥٥**) _ كامل الزيارات: ١٨٧ ح٢٦٣.

(**٥٦**) _ كامل الزيارات: ١٨٧ ح٢٦٤.

(**٥٧**) _ كامل الزيارات: ١٨٨ ح٢٦٥.

(**٥٨**) _ كامل الزيارات: ١٨٨ ح٢٦٦.

(٥٩) _ كامل الزيارات:١٨٨ح٢٦٧.

(٦٠) _ أصول الكافي:١/١٩٣ح٢.

(٦١) _ أصول الكافي:١/١٩٣ح٦.

(٦٢) _ أصول الكافي:١/١٤٥ح١٠.

(٦٣) _ أصول الكافي:١/١٤٤ح٥.

(٦٤) _ الخصائص الحسينيّة:٨٨ بتصرّف بالألفاظ.

(٦٥) _ الخصائص:٩٤.

(٦٦) _ كامل الزيارات:٢٣٠ح٣٣٨.

(٦٧) _ كامل الزيارات:٢٣١ح٣٤٣.

❁❁❁❁❁

الفصل الثّاني

مشروعيّة البكاء ووجوه حسنه

وفي هذا الفصل نبحث في الأدلّة على جواز البكاء ومشروعيته وأنّه ليس أمراً اعتباطيّاً أو عادة ورثها الشيعة الكرام من آبائهم وأجدادهم أو حالة إهتزازيّة أو احتقانيّة ينفّس من خلالها الباكي عن مخزون روحه حسبما يعبّر المشكِّكون في مسألة البكاء على المظلوم الشهيد عليه السلام.

بل البكاء حالة وجدانيّة مركوزة في جبلّة الإنسان يعبّر بها عن الشّوق والتعاطف والتضامن مع المظلوم الشهيد، وله فلسفات قد ذكرنا بعضاً منها في الفصل الأوّل.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمّة أدلّة نقليّة كثيرة تدلّ على مشروعيّة البكاء على سيّد الشهداء، منها:

❋ **الوجه الأوّل**: إنّ في البكاء على الإمام الحسين توقّع الثواب من الله تعالى، وقد وردت بذلك عشراتُ بل مئاتُ الأحاديث الصحيحة السندِ والموثّقةِ والحسنة، وإلقاء نظرة على كتب الأحاديث يُعْلم صدق ما قلنا لا سيّما كتاب كامل الزيارات، ففيه مئات الأحاديث الصحيحة الدّالة على أنّ النبيّ محمّداً وعترته الطاهرة بكوا الإمام الحسين عليه السلام وأمروا شيعتهم بالبكاء عليه وبلعن قاتليه، وكذا بكاه الأنبياء والمرسلون قبل أنْ يولد الإمام عليه السلام، ومَن يدّعى أنّ البكاءَ عليه خرافة وخلاف مواكبة العصر فإنه من الحمقى والجهلة الذين قتلهم جهلُهم وعنادُهم.

فإبن قولويه القمّي المتوفّى عام ٣٦٨هـ قد جمع في كتابه الشريف كامل الزيارات مائة وثمانية أبواب وكلّ باب فيه العشرات من النصوص والأخبار في ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه، بل هناك ستّة أبواب فيها العشرات من الأحاديث بعِلمِ

الأنبياء بقتله ولعنهم لقاتله وبكاؤهم عليه، بل إنهم زاروا كربلاء وتبرّكوا بتربتها لأنها تنتسب إلى المولى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

وهذه الأحاديث كلُّها صحيحة من الناحية السّنديّة وعمل بها أعلام الطائفة، قال إبن قولويه في مقدّمة كتابه الشريف كامل الزيارات: [فأشغلت الفكرَ فيه وصرفتُ الهمَّ إليه وسألتُ الله تبارك وتعالى العون عليه حتى أخرجتُهُ وجمعتُه عن الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين من أحاديثهم، ولم أُخرج فيه حديثاً روي عن غيرهم إذا كان فيما روينا عنهم من حديثهم صلوات الله عليهم كفاية عن حديث غيرهم، وقد علمنا أنّا لا نحيطُ بجميع ما رُوي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقاتِ من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجتُ فيه حديثاً روي عن الشذّاذ من الرّجال، يؤثَر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرّواية، المشهورين بالحديث والعلم]. إذن لم يروِ إبنُ قولويه إلاّ عن الرّواة الثقات، وفعلاً كلُّ رواة كتابه ثقاتٌ بحسب ما وصلنا من تراجمهم، مما يعني الحكم بوثاقة من شهد إبن قولويه بتوثيقه، اللهمّ إلاّ أن يبتلى بمعارض في كتابه، وهكذا روى صاحبُ البحار في الجزء الرّابع والأربعين عشرات الأخبار الصحيحة والموثقة الدالة على علم الأنبياء بمقتله (عليه السلام) وبكائهم عليه، وصاحب البحار حينما روى هذه الأخبار إنما نقلها من كتبنا التاريخيّة الصحيحة، وها نحن هنا نروي بعضَ الأحاديث عن البحار وكامل الزيارات:

منها: ما ورد في صحيحة سماعة بن مهران عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: إنّه ـ أي إسماعيل ـ كان لله رسولاً نبياً تسلّط عليه قومه فقشّروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسولٌ من ربّ العالَمين فقال له: ربُّك يقرؤك السّلامَ ويقول: قد رأيتُ ما صُنِعَ بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت، فقال (عليه السلام): يكون لي بالحسين أسوة(١).

ملاحظة هامّة: كون المولى الحسين عليه السلام أسوة لإسماعيل يستلزم أنْ يكون إماماً له، فتأمّل.

ومنها: ما ورد في صحيحة بريد بن معاوية العجلي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً**﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، فإنّ الناس يزعمون أنه اسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله كلّها قائماً صاحب شريعة، فإلى مَن أرسل إسماعيل إذن، فقلت: جعلت فداك فمن كان؟ قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي، بعثه الله إلى قومه فكذبوه فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه اسطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا أسطاطائيل ملك العذاب وجهني إليكَ ربّ العزّة لأعذّب قومكَ بأنواع العذاب إنْ شئتَ، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك.

فأوحى الله إليه فما حاجتك يا إسماعيل، فقال: يا ربّ إنك أخذتَ الميثاق لنفسك بالربوبيّة ولمحمّد بالنبوّة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمته بالحسين بن عليّ عليهما السلام من بعد نبيها، وإنّكَ وعدْتَ الحسين عليه السلام أنْ تكرَّه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به فحاجتي يا رب أن تكرني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل ذلك بي كما تكرّ الحسين عليه السلام[٢].

ومنها: ما ورد عن سعد بن عبد الله قال: سألتُ القائمَ عليه السلام عن تأويل ﴿**كيهعص**﴾ قال عليه السلام: هذه الحروف من انباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريّا ثمّ قصّها على محمّد عليه وآله السَّلام وذلك أنّ زكريّا سأل الله ربّه أنْ يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرائيل عليه السلام فعلّمه إياها، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً

وفاطمة والحسن سُرِّيَ عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر إسم الحسين خنقته العَبرة، ووقعت عليه البُهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرتُ أربعةً منهم تسلّيتُ بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثورُ زفرتي؟ فأنباه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: ﴿**كهيعص**﴾، فالكاف إسم كربلاء والهاء هلاك العترة، والياء يزيد ظالم الحسين، والعين عطشُه، والصّادُ صبرُهُ، فلمّا سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيهنّ الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه: إلهي أتفجع خيرَ جميع خلقك بوَلَدِهِ؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحلُّ كربة هذه المصيبة بساحتهما؟. ثمّ كان يقول: ألهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكِبَر، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستّةُ أشهرٍ، وحملُ الحسين عليه السلام كذلك(٣).

وروت المصادرُ التاريخيّة الأخبار المتواترة عن بكاء النبيِّ على الإمام الحسين عليه السلام مذ كان صغيراً منها:

ما ورد عن أبي الجارود عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ في بيت أمّ سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحدٌ، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما مَلَكْتُ معه شيئاً حتى دخل على النبيّ، فدخلت أمّ سلمة على أثره، فإذا الحسين عليه السلام على صدره وإذا النبيّ يبكي وإذا في يده شيء يقلّبه. فقال النبيّ: يا أمّ سلمة إنّ هذا جبرائيل يُخبرني أنّ هذا مقتولٌ وهذه التربة التي يُقتل عليها فضعيه [فضعيها] عندكِ، فإذا صارت دماً فقد قُتِلَ حبيبي، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلتُ فأوحى الله عزّ وجلّ إليَّ أنّ له درجة لا ينالها أحدٌ من المخلوقين، وإنّ له شيعةً

يُشفّعون فيشفعون، وإن المهديّ من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة(٤).

وهذه الدّرجة إمّا أنها كثرة الثواب في الآخرة وزيادة الألطاف، وإمّا ثوابٌ دنيوي بمعنى كثرة ذكره تمييزاً له عن بقيّة الأئمّة وهو أمرٌ ملحوظ عند المؤمنين.

والثواب الدنيوي هو عدّة أمور يسّرها الله تعالى خلال الأعوام والأجيال المتأخرة عن مقتله، ونعتقد أنّ الله يسّرها لمصلحة الأجيال، وإلاّ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام أجلُّ من أنْ تناله الفائدة منها بقليل ولا بكثير؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد في تضحيته أيَّ شيءٍ من أمور الدّنيا مما قلّ أو كَثُر يقيناً، وإنما حصلتْ لأجل المصلحة وهداية الآخرين لا أكثر.

ومن هذه الأمور التي يسّرها الله عز وجل من خلال الدّرجة التي له عليه السلام عند الله تعالى هي أمور:

الأمر الأوّل: إنّ الإمامة في ذريته لا في ذرية أخيه الإمام الحسن عليه السلام.

الأمر الثاني: حُسن الظن به خلال الأجيال ابتداءً من قاتليه أنفسهم إلى الأجيال المتأخرة عنه إلى يوم القيامة حتى في ضمائر الأعداء وغير المسلمين، ولذا نسمع قاتله يقول للحاكم الأموي بعد انتهاء الواقعة على ما ورد:

إملأ ركابي فضةً وذهباً   أني قتلتُ السيّدَ المهذّبا

قتلتُ خير النّاس أمّاً وأباً

الأمر الثالث: تأثير تضحيته الجسيمة في هداية الناس وتكاملهم إيماناً كلٌّ حسب استحقاقه في أي مكانٍ وزمانٍ وجِدَ الفرد إلى يوم القيامة أو مهما كانت نقطة البداية حتى ولو كان كافراً، بل حتى ولو كان معانداً أحياناً.

الأمر الرّابع: هذه الحرارة التي في قلوب المؤمنين من محبيه والتي أوجبت تزايد ذكراه وتزايد اللوعة على ما أدّاه من تضحيات وما عاناه من بلاء.

الأمر الخامس: إنّ ذكر أيّ معصوم غير الإمام الحسين (عليه السلام) بمن فيهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام عليّ (عليه السلام) في أيّ مجلسٍ من مجالس محبيه وفي أي مناسبة للحديث سواءٌ أكانت مأتماً أم خطبةً أم موعظةً أم غيرها فإنها لا تكاد تكون تامّةً ولا مرضيةً للقلوب ما لم تقترن بذكر الإمام الحسين (عليه السلام) والتألّم لمصابه.

الأمر السادس: البكاء عليه لدى محبيه جيلاً بعد جيل وإقامة المآتم والشعائر عليه، وهذا هو الّذي ذكره بعض الناس كهدفٍ مستقلٍّ، وهو إنما يصلح كنتيجة طبيعيّة وفّق اللهُ سبحانه وتعالى محبّيه إليها لأجل مصلحتهم وهدايتهم.

وفي صحيحة جابر عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): زارنا رسول الله وقد أهدت لنا أمّ أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدّمنا منه، فأكل ثمّ قام إلى زاوية البيت فصلّى ركعاتٍ، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحدٌ منا إجلالاً وإعظاماً له، فقام الحسين (عليه السلام) وقعد في حجره فقال: يا ابه لقد دخلتَ بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك ثمّ بكيتَ بكاءً غمّنا، فما أبكاك؟ فقال: يا بني أتاني جبرائيل آنفاً فأخبرني أنكم قتلى وأنّ مصارعكم شتّى. فقال: يا أبه فما لمن يزور قبورنا على تشتّتها؟ فقال: يا بنيَّ أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيقٌ عليَّ أنْ آتيهم يوم القيامة حتى أخلّصهم من أهوال السّاعة ومن ذنوبهم ويُسكنهم الله الجنّة(٥).

وهكذا جاء في صحيحة محمّد بن مسلم عن مولانا الإمام الباقر (عليه السلام) قال: كان عليُّ بن الحسين (عليه السلام) يقول: أيما مؤمنٍ دمعتْ عيناه لقتل الحسين بن عليّ (عليهما السلام) دمعة

حتى تسيلَ على خدّه بوّأه الله بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمنٍ دمعتْ عيناه حتى تسيل على خدّه فينا لأذىً مسّنا من عدوّنا في الدّنيا بوّأه الله بها في الجنّة مبوّأ صدقٍ، وأيما مؤمنٍ مسّه أذىً فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار(٦).

وفي موثقة أبي حمزة عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ البكاءَ والجزع مكروهٌ للعبد في كل (ما) جزع ما خلا البكاءُ والجزعُ على الحسين بن عليّ عليه السلام فإنه فيه مأجور(٧).

وفي صحيحة أبي هارون المكفوف قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ له: ...ومَن ذُكِرَ الحسين عنده فخرج من عينيه من الدّموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرضَ له بدون الجنّة(٨).

وفي خبر إبن فضّال عن مولانا الإمام الرّضا عليه السلام قال: (مَن تذكّر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يومَ تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيي فيه أمرنا لم يمت قلبُهُ يومَ تموتُ القلوبُ.

وفي خبر الرّيان بن شبيب عن الإمام الرّضا عليه السلام في حديث قال: (يا ابن شبيب إنْ كنتَ باكياً لشيءٍ فابكِ للحسين بن عليّ فإنّه ذُبِحَ كما يُذبَحُ الكبش، وقُتِلَ معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه [شبيهون]، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون السَّبْعِ لقتله ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلآف لنصره، فوجدوه قد قُتِل، فهم عند قبره شعث غُبُر إلى أنْ يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم "يا لثارات الحسين"(٩).

وعن ابان بن تغلب عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمُّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهادٌ في سبيل الله[١٠].

وعن مولانا سيّد الشهداء عليه السلام قال: أنا قتيل العَبْرَة لا يذكرني مؤمن إلاّ بكى[١١].

وفي صحيحة أبي هارون المكفوف قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني. فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

فلمّا بكى أمسكتُ أنا، فقال: مر، فمررت، ثمّ قال الإمام الصّادق عليه السلام: زدني زدني، قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء قال: فلما أن سكتن قال عليه السلام لي: يا أبا هارون مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة ثم جعل ينقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة ثم قال: مَن ذكره فبكى فله الجنة[١٢].

بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى الإمام الحسين عليه السلام قبل أن تحمل السيّدة المطَهَّرة فاطمة عليها السلام به عليه السلام، ففي صحيحة المعلّى بن خنيس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح صباحاً فرأته فاطمة عليها السلام باكياً حزيناً، فقالت: ما لك يا رسول الله، فأبى أنْ يخبرها، فقالت عليها السلام: لا آكل ولا أشرب حتى تخبرني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ جبرائيل عليه السلام أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يحمل به بعد، ولم تكن تحمل بالحسين عليه السلام، وهذه تربته[١٣].

هذا غيض من فيض الرّوايات الدالة على فضيلة وثواب البكاء والتباكي والإبكاء.

* **الوجه الثاني**: من وجوه صحّة البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) هو التأسّي برسول الله والأئمّة الأطهار (عليهم السلام) والأنبياء والمرسَلين والملائكة والجنّ، بل الكائنات بكت على قتله، والتأسّي بالرّسول وآله أمرٌ محبوبٌ ومرغوبٌ فيه عقلاً وشرعاً ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ ﴿**قل إنْ كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ ومظلوميّة الإمام الشهيد (عليه السلام) حيث إنها أكربتْ قلبَ رسول الله والأئمّة الأطهار (عليهم السلام) فكيف لا تكرب قلوبنا وقد ورد عن الإمام عليّ الرّضا (عليه السلام) أنه قال: "إنّ المحرَّم شهرٌ كان أهل الجاهليّة يحرِّمون فيه القتال فاستُحِلّتْ فيه دماؤنا، وسُبِيَ فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضْرِمَتْ النيران في مضاربنا، وانتهت ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرمة في أمرنا، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كربٍ وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون فإنَّ البكاء عليه يحطُّ الذنوب العِظام.

ثمّ قال (عليه السلام): كان أبي إذا دخل شهر المحرَّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الّذي قُتِلَ فيه الحسين صلّى الله عليه"[١٤].

وورد عن الإمام الصّادق (عليه السلام) أنه دعا لمسمع بن عبد الملك البكّاء على الإمام الحسين (عليه السلام) فقال له: "رحم الله دمعتك أمَا إنّك من الّذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والّذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا"[١٥]، وفي رواية الريان بن شبيب عن مولانا الإمام الرّضا (عليه السلام) قال له: يابن شبيب إن سرّك أنْ تكون معنا في الدرجات العلى من

الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليكَ بولايتنا، فلو أنّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله معه يوم القيامة(١٦).

وفي حديث الأربعمائة الوارد عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) قال: "إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا..."(١٧).

*** الوجه الثالث**: من وجوه حسن البكاء على الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) أنّ البكاء عليه هو تعظيم لشعائره (عليه السلام) وتعزيزُ عظمته، وتكريمُ مقامه بإظهار التفجّع عليه ولبس ثوب الأحزان. من هنا جرت سيرة العقلاء بالبكاء على فقيدهم ولبس السواد عليه أمام الناس، وكلما عظم أمر الفقيد عند الناس كلما زاد إعزازهم له، لذا لما رأى النبيّ أنّه لا بواكي على حمزة ــ حسبما ورد في الصحاح عند العامّة والخاصّة ــ لأنّ حمزة لم يكن عنده أحدٌ في الدّار يبكي عليه، أمر حينئذٍ النساءَ أنْ يبكينَ حمزة وقال كلمته المشهورة: على مثل حمزة فلتبكِ البواكي.

من هذا المنطلق يُعتبر البكاء تعظيماً للميّت أمراً أَلِفَهُ النّاسُ قديماً وحديثاً، والبكاءُ تعظيماً للفقيد على فضائله التي قدّمها سابقة قرآنيّة أشار إليها الله (عزّ وجلّ) في قوله: ﴿**كم تركوا من جناتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظَرين**﴾ (الدخان/٢٥ــ ٢٩) أي أنّ منطوق الآية هو أنّ الفُسَّاق والكافرين إذا ماتوا لا يبكي عليهم أحدٌ من ملائكة السماء ولا أحد من ملائكة الأرض، ومفهومها أنّ التقيَّ الصالح تبكي عليه الملائكة والناس.

وأوصى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنيه فقال عليه السلام لهم: يا بنيّ عاشِروا الناس بالمعروف معاشرةً إنْ عِشتم حنّوا إليكم وإنْ متّم بكوا عليكم(١٨).

وورد عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام أنه أوصى أنْ تُستأجر له نوادب بعد موته يندبن عليه بمنى من مكّة أيّامَ موسم الحجّ ولمدّة عشر سنوات إظهاراً لمقامه الجليل والمجهول لدى عامّة النّاس بسبب ظلم الأمويّين واضطهادهم له عليه السلام.

فأيُّ وسيلة يمكن أنْ يعبّر بها عن عظيم منزلة الفقيد بين الناس لا سيّما الأصحاب والمحبّين أقوى دلالةً وأوضح تعبيراً من البكاء عليه، ثمّ أيُّ ظاهرةٍ ادلُّ وأوضحُ تعبيراً عن شديد حبّ الشيعة لمولاهم الإمام الحسين عليه السلام أصدق من ظاهرة البكاء عليه وجريان الدّموع لاستشهاده عليه السلام.

قد يُقال: ما قلتم يعتبر صحيحاً لكن ثمّة فرق بين أنْ يبكي الإنسان على فقيده يوماً أو اثنين أو شهراً أو سنةً، وبين أنْ يبكيه طوال عمره لا سيّما وأنّ الإمام عليه السلام مضى عليه مئات السنين.

والجواب: إنّ عظَمَة الإمام الحسين تفوق عظمة كلِّ عظيم عدا جدّه وأبيه وأمّه وأخيه، لكنّه لما قُتل بكيفيّة تحزّ القلوب بحيث لم يُفتقد عليها حتى الآن أي فقيدٍ قط، فقد قُتل ــ فديته بنفسي ــ جائعاً عطشاناً شعثاً مغبرّاً غريباً وحيداً مكروباً مستضعَفاً يستغيث فلا يُغاث، ويستجير فلا يُجار، ويستعين فلا يُعان، يسمع ضجيج عياله وصراخ اطفاله، وهم بين الآلآف من الأعداء ينتظرون منهم كلَّ مكروه.

لقد صُلب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حسب زعم المسيحيين قبل ألفي عام، وها هم المسيحيون لا يزالون يجدّدون ذكرى صلبه كلَّ عامٍ ويبكون عليه ويحزنون، وقد اتخذوا من خشبة صلبه شعاراً عاماً لهم يرفعونه فوق كلّ المؤسَّسات والجمعيات

والكنائس معلنين بذلك اسفهم وحزنهم على مصابه ومأساته، مع العلم بأنّ مأساة المسيح قليلة في جنب مأساة الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، فلماذا يُلام الشيعة حينئذٍ على حزنهم وبكائهم لمأساة الإمام الحسين عليه السلام ولا يُلام غيرُهم على الحزن والبكاء لمأساة سائر العظماء؟.

وزبدة المقال:

إنّ هناك شخصيّات وحوادث في العالَم لا يستطيع التاريخ هضمها وطي صفحاتها، ولا يستطيع الزّمان إسدال الستار عليها ولا الأجيال نسيانها لسببٍ بسيطٍ وهو عُقْمُ الأيّام عن الإتيان بمثلها، وفي طليعة تلك الشخصيّات هي شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، وفي طليعة تلك الحوادث حادثة عاشوراء.

* **الوجه الرّابع**: من وجوه حسن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام هو أنّ البكاء عليه ــ روحي فداه ــ يرمز إلى تأييد ثورته المباركة، وإعلان الثورة العاطفيّة على الظلم والظالمين، لأنّ البكاء يُأجّج ثورة الغضب على الظالِمين؛ لأنّ الباكي لا تنحدر دموعه على الفقيد إلاّ إذا كان متاثراً بشخصيته، فهذا التأثر على مظلوميّة الإمام عليه السلام يولّد ثأراً له من أعدائه والرّاضين بظلمه.

* **الوجه الخامس**: من وجوه حسن البكاء على الإمام الحسين هو أنّ البكاء عليه من خلال عَقْدِ المجالس يولِّد شعوراً بالتضامن نحو مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام الّذي استشهد من أجل الحقّ، وقتلوه لأنه أمرهم بالحقّ؛ ولأنّه إبنُ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسيّدة نساء أهل الجنّة مولاتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام، وهذا الشعور الجماعي بالمظلوميّة يولِّد شعوراً بالإنتقام من الظالِمين.

فالبكاء لكلّ واحدٍ من هذه الأهداف والغايات أمر طبيعيٌّ وعقلائيٌّ وظاهرةٌ فطريّةٌ خيّرَةٌ من ظواهر الفطرة السليمة التي وقاها الله من نكسة القساوة والغلظة وتحجُّرِ الضمير وهي أخطر الأمراض النفسيّة والإنحرافات الرّوحيّة التي يتعرّض لها بعض الأفراد، وهل تتصوّر ــ أخي القارئ ــ أنّ شخصاً نظر إلى تلك المآسي الجسام التي وقعت على الإمام الحسين (عليه السلام) وآله من الصغار والكبار والرّجال والنساء ولا ينكسر قلبُه ولا يتأثّر وجدانه ولا يتحرّك ضميره ثمّ تعتبرُهُ إنساناً طبيعيّاً سليم الفِطرة؟ كيف وقد قال الإمام الحسين نفسُهُ في المأثور عنه: "أنا قتيل العَبْرة ما ذُكرتُ عند مؤمن إلاّ استعبر" وجاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) قال: ما جفّت الدّموع إلاّ لقسوة القلوب، وما قَسَتْ القلوب إلاّ لكثرة الذنوب"(١٩).

❋ **الوجه السّادس**: إنّ في البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) جانباً تربويّاً يؤدّي إلى تحيّز الباكي للإمام ومعاداة أعدائه، فتهيج منه الثورة على الظالم والإشفاق على المظلوم، وذلك لأنّ التعاطف الفكري والنفسي مع الإمام الحسين (عليه السلام) دون معاداة أعدائه لا يولّد حافزاً للإنتقام ممن رضي بظلمه أو انتقص من شيعته، ولا نقصد بالإنتقام أن يكون عشوائياً وبلا حساب ﴿**وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص**﴾ ﴿**فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ بل يجب أنْ يكون ــ أي الإنتقام ــ منتظماً طبقاً لموازين الشرع المبين، كما لا بدّ أن يكون بالكلمة الطيبة أولاً ــ بحيث يوضح المؤمن الرّسالي فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم ــ ثمّ باليد ثانياً عندما لا يكون للكمة موقع يمكن من خلاله دفع الظلم عن شيعتهم، فلا بدّ حينئذٍ أن تنطلق الأيادي لتذود عن حريم الدين وقواعده المؤمنة به.

الأدلّة على جواز البكاء

❋ الأدلّة الرّوائيّة على ذلك كثيرة جدّاً منها:

(١):الأخبار التي هي فوق حدّ التواتر ـ وقد روينا شطراً منها سابقاً ـ مبثوثة في كتب الأخبار الصحيحة عندنا أمثال كامل الزيارات والبحار الّذي نقل عن المصادر الموثوقة، وهذه الأخبار على كثرتها تلقّاها عامّةُ الفقهاء بالقبول والإعتماد والعمل بها والفُتيا على أساسها، فهي بدرجة عالية من الوثاقة والإعتبار الشرعي والعملي، ومَن شكّك بمضامينها أو أسانيدها لا أعتقد عنده حسُّ الفقاهة أو يملك شيئاً من الفقاهة.

(٢) : مداليل ومضامين هذه الأخبار هو الإستحباب المؤكّد للبكاء والإبكاء على سيّد الشهداء، وما يترتّب عليهما من الأجر العظيم عنده سبحانه.

(٣) : إنّ البكاء إحياءٌ لأمر الإمام الحسين ﷺ، فعن الأزدي عن مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ قال لفضيل: تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم، جعِلتُ فداك، قال ﷺ: إنّ تلك المجالس أحبُّها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله مَن أحيا أمرَنا، يا فضيل مَن ذكرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر[٢٠]. وأنبّه هنا إلى أنّ الأمر بإحياء أمرهم بقوله: "أحيوا أمرنا" يفيد الوجوب الشرعي والعقلي ما لم تقم قرينة على خلافه، فإحياء الأمر بإظهار ظلاماتهم واجبٌ، والبكاء من مراتب الأمر الشرعي الّذي ينقسم إلى واجبٍ ومستحبٍ.

وعليه؛ فكل أمرٍ يَصُبُّ في خانة إحياء الأمر وقامت القرينة على عدم وجوبه يعتبر راجحاً ومستحباً عقلاً وشرعاً ومنه الجزع والحزن والتطبير حزناً أو جزعاً على سيّد الشهداء مصداقٌ من مصاديق إحياء الأمر من جهة كونه سبباً قوياً من أسباب الإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام، ففي التطبير بُعْدٌ جماهيريٌّ واسعٌ يؤدّي إلى انتشار ذكر الإمام الحسين عليه السلام لكون هذا الفعل ذا ميزةٍ عاطفيّةٍ تثير الشجون والأحزان.

(٤) : إنّ البكاء على فقيدٍ أمرٌ فطريٌّ يفعله كلّ البشر إلاّ مَن تحجّر قلبه فلا تهمل عينه بدمعة على فقد حبيبٍ أو قريب، فالبكاء جرت عليه السيرة العقلائيّة، ودلّ على جوازه على الميّت قبل الدّفن وبعده: الإجماع نصّاً وفتوىً والأخبار المستفيضة، منها:

(١) : ما جاء فِي الْخِصَالِ للصدوق رحمه الله، عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عن الصَّفَّارِ، عن الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عن مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْبَحْرَانِيِّ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الْبَكَّاءُونَ خَمْسَةٌ آدَمُ، ويَعْقُوبُ، ويُوسُفُ، وفَاطِمَةُ بِنْت مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وعَلِيُّ بْن الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَأما آدَمُ فَبَكَى عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَ فِي خَدَّيْهِ أَمْثَالُ الْأَوْدِيَةِ، وأما يَعْقُوبُ فَبَكَى عَلَى يُوسُفَ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ، وحَتَّى قِيلَ لَهُ: تَاللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، وأما يُوسُفُ فَبَكَى عَلَى يَعْقُوبَ حَتَّى تَأَذَّى بِهِ أَهْلُ السِّجْنِ فَقَالُوا إما أَنْ تَبْكِيَ اللَّيْلَ، وتَسْكُتَ بِالنَّهَارِ، وإما أَنْ تَبْكِيَ النَّهَارَ، وتَسْكُتَ بِاللَّيْلِ فَصَالَحَهُمْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَأما فَاطِمَةُ عليها السلام فَبَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى تَأَذَّى بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا لَهَا: قَدْ آذَيْتِنَا بِكَثْرَةِ بُكَائِكِ، وَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ مَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ فَتَبْكِي حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا ثُمَّ تَنْصَرِفُ، وأما عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ما وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إلا بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ:

إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي، وحُزْنِي إِلَى اللهِ، وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مالا تَعْلَمُونَ إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلا خَنَقَتْنِي لِذَلِكَ عَبْرَةٌ.

وفِي الْأَمالِي، عن الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عن أَبِيهِ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عن الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ مِثْلَهُ(٢١).

(٢) : مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عن حُمَيْدِ بْنِ زِيَادٍ، عن الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عن غَيْرِ وَاحِدٍ، عن أَبَانٍ، عن أَبِي بَصِيرٍ، عن أَحَدِهِمَا (عليهما السلام) قَالَ: لَمَّا ماتَتْ رُقَيَّةُ ابْنَةُ(*) رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): إلْحَقِي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، وأَصْحَابِهِ قَالَ، وفَاطِمَةُ (عليها السلام) عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ تَنْحَدِرُ دُمُوعُهَا فِي الْقَبْرِ الْحَدِيثَ(٢٢).

(٣) : وعَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيِّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عن أَبِي مُحَمَّدٍ الْهُذَلِيِّ، عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ الْقَطَّانِ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الصَّيْقَلِ، عن أَبِيهِ قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ (عليه السلام) وَجْداً وَجَدْتُهُ عَلَى ابْنٍ لِي هَلَكَ حَتَّى خِفْتُ عَلَى عَقْلِي فَقَالَ: إِذَا أَصَابَكَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ فَأَفِضْ مِنْ دُمُوعِكَ فَإِنَّهُ يَسْكُنُ عَنْكَ(٢٣).

(٤) : وعَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَاأعَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عن ابْنِ الْقَدَّاحِ، عن أَبِي عَبْدِ اللهِ (عليه السلام) فِي حَدِيثٍ قَالَ: لَمَّا مات إِبْرَاهِيمُ بْن رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) هَمَلَتْ عَيْنُ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِالدُّمُوعِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): تَدْمَعُ الْعَيْنُ، ويَحْزَنُ الْقَلْبُ، ولا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ. الْحَدِيثَ(٢٤).

(*) **والتحقيق:** هو أنه ليس للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بنات من مولاتنا أمّ المؤمنين خديجة سوى سيّدة نساء العالَمين الصدّيقة فاطمة (عليها السلام)، وعليه فما جاء في هذا الخبر _ على فرض صحّة صدوره عن أهل البيت (عليهم السلام) _ لا يخلو من أمرين: **الأوّل؛** إنّ رقيّة ابنته (عليها السلام) لكونها عاشت في كنفه وظلّه. **الثاني؛** لعلها ابنته من الناحية السببية أي بسبب رضاعها من السيّدة خديجة صارت بنتاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرضاعة، والله أعلم. راجع كتاب أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد .

(٥) : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: لَمَّا ما تَ إِبْرَاهِيمُ بْن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: حَزَنا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ، وإِنَّا لَصَابِرُونَ، يَحْزَنُ الْقَلْبُ، وتَدْمَعُ الْعَيْنُ، ولا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ(٢٥).

(٦) : قَالَ: وقَالَ عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حِينَ جَاءَتْهُ وَفَاةُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ كَانَ إِذَأ دَخَلَ بَيْتَهُ كَثُرَ بُكَاؤُهُ عَلَيْهِمَاجِدّاً وَيَقُولُ كَانَا يُحَدِّثَانِّي، ويُؤْنِسَانِّي فَذَهَبَا جَمِيعاً(٢٦).

(٧) : الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ فِي أماليهِ، عن أَبِيهِ، عن ابْنِ مَخْلَدٍ، عن ابْنِ السِّمَاكِ، عن أَحْمَدَ بْنِ بِشْرٍ، عن مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عن حَنَانٍ، عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْعَزِيزِ، عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْكُفَاتِ، عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا ماتَ إِبْرَاهِيمُ بَكَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَنْهَى(*)، عن الْبُكَاءِ، وأَنْتَ تَبْكِي؟ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بُكَاءً، وإِنَّمَا هَذِهِ رَحْمَةٌ، ومَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ(٢٧).

(٨) : وعَنْهُ، عن أَبِيهِ، عن الْمُفِيدِ، عن ابْنِ قُولَوَيْهِ، عن أَبِيهِ، عن سَعْدٍ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عن الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عن أَبِي مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عن مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ قَالَ: كُلُّ الْجَزَعِ، والْبُكَاءِ مَكْرُوهٌ سِوَى الْجَزَعِ، والْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام(٢٨).

(٩) : عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ طَاوُسٍ فِي كِتَابِ الْمَلْهُوفِ عَلَى قَتْلَى الطُّفُوفِ، عن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً صَائِماً نَهَارُهُ قَائِماً لَيْلُهُ فَإِذَا حَضَرَ الْإِفْطَارُ جَاءَ غُلامُهُ بِطَعَامِهِ وشَرَابِهِ، فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: كُلْ يَا مَوْلايَ

(*) البكاء المنهي عنه هو ما لا صبر معه، وما عداه فجائز.

فَيَقُولُ قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله جائِعاً، قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَطْشَاناً [عَطْشَانَ] فَلا يَزَالُ يُكَرِّرُ ذَلِكَ، ويَبْكِي حَتَّى يبلَّ طَعَامُهُ بِدُمُوعِهِ، ويُمْزَجَ شَرَابُهُ بِدُمُوعِهِ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عزّ وجلّ(٢٩).

(١٠) : وعَنْ بَعْضِ مَوَالِيهِ قَالَ: خَرَجَ يَوْماً إِلَى الصَّحْرَاءِ فَتَبِعْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَجَدَ عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ فَوَقَفْتُ، وأَنَا أَسْمَعَ شَهِيقَهُ وبُكَاءَهُ، وأَحْصَيْتُ لَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وهُوَ يَقُولُ: لا أَلَهَ إِلا اللَّهُ حَقّاً حَقّاً لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، تَعَبُّداً وَرِقّاً، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِيمَاناً وَصِدْقاً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ، وإِنَّ لِحْيَتَهُ ووَجْهَهُ قَدْ غُمِرَا بِالْمَاءِ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي مَا آنَ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقَضِيَ ولِبُكَائِكَ أَنْ يَقِلَّ؟ فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَبِيّاً إبْنَ نَبِيٍّ، وكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْناً فَغَيَّبَ اللَّهُ وَاحِداً مِنْهُمْ فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ، واحْدَوْدَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ والْهَمِّ، وذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ، وابْنُهُ حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَأَنَا رَأَيْتُ أَبِي وأَخِي وسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرْعَى مَقْتُولِينَ فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي، ويَذْهَبُ بُكَائِي(٣٠).

(١١) : مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عن عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَاعَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، وعَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عن أَبِيهِ جَمِيعاً، عن إِبْنِ مَحْبُوبٍ، عن عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَوَّلَ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا ماتَ الْمُؤْمِنُ بَكَتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وبِقَاعُ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهَا وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ الَّتِي كَانَ يَصْعَدُ أَعْمَالُهُ فِيهَا وَثُلِمَ ثُلْمَةٌ فِي الْإِسْلامِ لايَسُدُّهَا شَيْءٌ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حُصُونُ الْإِسْلامِ كَحُصُونِ سُورِ الْمَدِينَةِ لَهَا.

ورَوَاهُ الْحِمْيَرِيُّ فِي قُرْبِ الْإِسْنَادِ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، ومُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ جَمِيعاًعَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ مِثْلَهُ(٣١).

(١٢) : مُحَمَّدُ بْن عَلِيّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ وَقْعَةِ أُحُدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ سَمِعَ مِنْ كُلِّ دَارٍ قُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا قَتِيلٌ نَوْحاً وَبُكَاءً، ولَمْ يَسْمَعْ مِنْ دَارِ حَمْزَةَ عَمِّهِ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: لَكِنَّ حَمْزَةَ لابَوَاكِيَ لَهُ، فَآلَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنْ لا يَنُوحُواعَلَى مَيِّتٍ، ولايَبْكُوهُ حَتَّى يَبْدَءُوا بِحَمْزَةَ فَيَنُوحُوا عَلَيْهِ، ويَبْكُوهُ فَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى ذَلِكَ(٣٢).

(١٣) : مُحَمَّدُ بْن الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عن عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عن أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْوَاسِطِيِّ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ عليه السلام سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ ابْنَةً تَبْكِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ(٣٣).

(١٤) : مُحَمَّدُ بْن يَعْقُوبَ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ، عن ابْنِ جُمْهُورٍ، عن أَبِيهِ، عن مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عن الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وعَنِ الْأَصَمِّ، عن حَرِيزٍ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مُرُوا أَهَالِيَكُمْ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْتَاكُمْ فَإِنَّ فَاطِمَةَ لَمّا قُبِضَ أَبُوهَا أَسْعَدَتْهَا بَنَاتُ هَاشِمٍ، فَقَالَتِ اتْرُكْنَ التَّعْدَادَ، وعَلَيْكُنَّ بِالدُّعَاءِ.

مُحَمَّدُ بْن عَلِيّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْخِصَالِ بِإِسْنَادِهِ، عن عَلِيّ عليه السلام فِي حَدِيثِ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِثْلَهُ(٣٤).

(١٥) : وفِي كِتَابِ إِكْمَالِ الدِّينِ، عن أَبِيهِ، عن سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عن ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ، عن الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ:

مَاتَتِ ابْنَةٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَنَاحَ عَلَيْهَا سَنَةً ثُمَّ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ آخَرُ فَنَاحَ عَلَيْهِ سَنَةً ثُمَّ مَاتَ إِسْمَاعِيلُ فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعاً شَدِيداً فَقَطَعَ النَّوْحَ، قَالَ: فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

أَيُنَاحُ فِي دَارِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لَمَّا ماتَ حَمْزَةُ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لابَوَاكِيَ لَهُ(٣٥).

(١٦) : ورَوَى الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ فِي مُسَكِّنِ الْفُؤَادِ أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام نَاحَتْ عَلَى أَبِيهَا وَأَنَّهُ أَمَرَ بِالنَّوْحِ عَلَى حَمْزَةَ(٣٦).

(١٧) : مُحَمَّدُ بْن يَعْقُوبَ، عن بَعْضِ أَصْحَابِنَاأعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ، عن مُحَمَّدِ بْنِ زَنْجَوَيْهِ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ الْأَرْمَنِيِّ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيِّ، عن خَدِيجَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام وهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا تَحْتَاجُ الْمَرْأَةُ فِي الْمَأْتَمِ إِلَى النَّوْحِ لِتَسِيلَ دَمْعَتُهَا وَلايَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَقُولَ هُجْراً فَإِذَا جَاءَهَا اللَّيْلُ فَلا تُؤْذِي الْمَلائِكَةَ بِالنَّوْحِ(٣٧).

(١٨) : مُحَمَّدُ بْن عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: سُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام، عن أَجْرِ النَّائِحَةِ فَقَالَ: لابَأْسَ بِهِ قَدْ نِيحَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله(٣٨).

وبالجملة: لا إشكال في البكاء فتوىً ونصّاً كما صرّح به الأصحاب، وإنما الخلاف في جواز النوح، فالمشهور بين الأصحاب جوازه ما لم يستلزم محرّماً من كذبٍ أو صراخٍ عالٍ أو لطم الوجوه وخمشها فإنه حرام حينئذٍ وقام عليه الإجماع، نعم يستثنى من الصراخ الجائز واللطم والخمش ما يحصل على سيّد الشهداء، وأمّا ما ورد من الأخبار الناهية عن النياحة فمحمولة على ترك الصبر والتسليم بالرّضا، وهو ما يُعَبَّر عنه في بعض الأخبار بـ: "النوح بالباطل" المشتمل على المحرَّم حسبما أفاد في النهاية، ونياحة الجاهليّة كانت كذلك غالباً، لذا ورد النهي عنها بالكيفيّة التي ذكرنا، أمّا النوح بالحقّ وما لا يترتّب عليه محرَّم، فجائز بلا إشكال وأيّدته الأخبار المستفيضة وقام على

صحته الإجماع، بل يُستفاد من جواز البكاء جواز النوح لملازمته له غالباً على حدّ تعبير صاحب الجواهر.

المخالفون يفتون بجواز البكاء على الميت

هذا وقد ذكر المخالفون العمريون الأخبارَ الكثيرة الدّالة على جواز البكاء على الميت، لذا إنني أتعجّب كيف يستنكرون على الشيعة بكاءهم على الإمام الحسين عليه السلام، مع أنّ النبيّ بكى على إبنه إبراهيم عليه السلام، فقد أورد البيهقي في السنن الكبرى أحاديث كثيرة، منها:

(١) ـ البيهقي في إسناده عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أتى النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم بابنة إبنته ونفسها تقعقع كأنها في شن، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "لله ما أخذ ولله ما أعطى وكلٌّ إلى أجَلٍ مسمّى" قال: وبكى، فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله أتبكي وقد نهيت عن البكاء؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "إنما هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرّحماء"(٣٩).

رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية، وأخرجه البخاري من أوجه عن عاصم الأحول.

(٢) ـ بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "ولد لي الليلة غلام فسميته إبراهيم" ثمّ دفعه إلى أمّ سيف إمرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف فانطلق رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم يزوره وانطلقت إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قال: والبيت ممتلئ دخاناً، قال: فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم فأتيت أبا سيف فقلت: جاء رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم أمسك أمسك، فأمسك فجاء رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم

فدعا بالصبي فضمّه إليه، وقال ما شاء الله أنْ يقول، قال أنس: فلقد رأيته بين يدي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم وهو يكيد بنفسه فدمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربّنا والله يا إبراهيم إنّا بك لمحزونون"(٤٠).

رواه مسلم في الصحيح عن هدبة وشيبان عن سليمان، وأخرجه البخاري من وجه آخر عن ثابت قال: رواه موسى عن سليمان.

(٣) ـ عن جابر بن عبد الله قال: خرج النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم بعبد الرّحمان بن عوف إلى النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فوضعه في حجره ففاضت عيناه، فقال عبد الرّحمان بن عوف: أتبكي وأنتَ تنهى الناس؟، قال: "إني لم أنهَ عن البكاء إنما نهيت عن النوح صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشقّ جيوب ورنة وهذا رحمة ومَن لا يَرحم لا يُرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنّ آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزناً هو أشدّ من هذا وإنّا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرّب"(٤١).

(٤) ـ عن عبد الله بن عمر قال: اشتكى سعد بن عباد شكوى له فأتاه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم يعوده مع عبد الرّحمان بن عوق وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلمّا دخل عليه وجده في غشية فقال: أقد قضى، فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم فلمّا رأى القوم بكاء رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم بكوا، فقال: "ألا تسمعون أنّ الله لا يعذّب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذّب بهذا ــ وأشار إلى لسانه ــ أو يرحم"(٤٢).

(٥) ـ عن أبي هريرة قال: زار رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم قبر أمّه فبكى وأبكى مَن حوله ثمّ قال: "استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي، استأذنته إن استغفر لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت"(٤٣).

ملاحظة هامّة: ذيل الخبر يتعارض مع صدره، إذ كيف يحرّم على النبيّ أن يستغفر لأمّه المشركة ـ بنظر العامّة ـ ثمّ في نفس الوقت يزور قبرها ويبكي هو ومَن معه، ومعلوم أنّ الوقوف على قبر المشرك منهيٌّ عنه حسبما ورد في قوله تعالى: ﴿**ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله**﴾ (التوبة/٨٤) فلم يُستثنَ النبيُّ من حرمة الوقوف على قبر المشرك، فكيف استُثني هنا لما زار أمه؟ مضافاً إلى أنّ بكاءه على أمّه يستلزم الرقة عليها والرحمة لها، وهي في الواقع طلب غفران؛ لأنّ الإستغفار هو طلب الرّحمة من الله، والبكاء طلب رحمة حسبما أشار الحديث الأول رقم٧١٤٩ المتقدِّم.

(٦) ـ عن محمّد بن عمر أنه أخبر أنّ سلمة بن الأزرق كان جالساً إبن عمر بالسوق فمر بجنازة يبكى عليها، قال: فعاب ذبك ابن عمر وانتهرهن، قال: فقال سلمة: لا تقل ذلك يا أبا عبد الرّحمان فأشهد على أبي هريرة لسمعته يقول: مرّ على النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم بجنازة وأنه معه ومعه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ونساء يبكين عليها فزبرهنّ عمر وانتهرهن فقال له النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "دعهنّ يا عمر فإنّ العين دامعة والنفس مصابة والعهد حديث" قالوا: أنت سمعته يقول هذا؟.

قال: نعم.

قال ابن عمر: فالله ورسوله أعلم مرّتين(٤٤).

(٧) ـ عن إبن عبّاس قال: بكت النساء على رقيّة رضي الله عنها فجعل عمر ينهاهنّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "مه يا عمر" ثمّ قال: "إياكنّ

ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرّحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان" قال: وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكي على شفير قبر رقيّة، فجعل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم يمسح الدّموع عن وجهها باليد أو قال: بالثوب(٤٥).

(٨) ـ عن أنس أنّ [مولاتنا] فاطمة عليها السلام بكت أباها فقالت: يا أبتاه مِن ربّه ما أدناه يا أبتاه إلى إجبرائيل أنعاه يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه(٤٦).

زاد فيه حمّاد بن زيد عن ثابت، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، ومن ذلك الوجه أخرجه البخاري في الصحيح(٤٧).

(٩) ـ عن محمّد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: قال أخبرنا محمّد بن أبي حميد عن إبن المنكدر قال: أقبل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم، من أُحُد، فمرّ على بني عبد الأشهل، ونساء الأنصار يبكين على هلكاهُنّ يندبنهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "ولكنّ حمزة لا بواكي له"، قال: فدخل رجال من الأنصار على نسائهم فقالوا: حوّلن بكاءكنّ وندبكنّ على حمزة فقام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم فطال قيامه يستمع، ثمّ انصرف فقام على المنبر من الغد فنهى عن النياحة كأشدّ ما نهى عن شيء قط، وقال: "كلّ نادبة كاذبة إلاّ نادبة حمزة"(٤٨).

(١٠) ـــ عن مسلم بن إبراهيم قال:أخبرنا حكيم بن سليمان قال: سمعت محارب إبن دثار يذكر، قال: لما قُتل حمزة بن عبد المطّلب جعل الناس يبكون على قتلاهم، فقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "لكنّ حمزة لا بواكي له"، قال فسمعت ذلك الأنصار فأمروا نساءهم فبكين عليه، فجاءت إمرأة واضعة يدها على رأسها ترنّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم: "فعلتِ فعل الشيطان حين أُهبط إلى الأرض

وضع يدع على رأسه يرنّ، وإنه ليس منا مَن حلق ولا من خرق ولا مَن سلق"(٤٩). وقد ورد أيضاً في مصادر العامّة من أنّ الميت يعذَّب ببكاء أهله، فقد روى البيهقي في السنن الكبرى أخباراً متضافرة منها: ما ورد عن عمر بن الخطاب قال: قال النبي: "إنّ الميّت يعذب بالنياحة عليه في قبره". وعن عمر بن الخطاب أيضاً قال: قال النبي: "الميّت يعذب ببكاء الحيّ"(٥٠) وهذه الأخبار مردودة بوجوه:

الوجه الأوّل: إنّ أكثر تلكم الأخبار مروية عن عائشة وعمر بن الخطّاب في مصادر العامّة، وما يرويان لا حجية فيه عندنا لكونهما ظلما أهل البيت (عليهم السلام) واعتديا على حقوقهم التي أسبغها المولى (عزّ وجلّ) عليهم، وهو أمرٌ واضحٌ تاريخياً كما لا يخفى على المتتبع.

الوجه الثاني: قصور تلكم الرّوايات الناهية عن البكاء عن معارضة غيرها من الأخبار الدالة على جواز البكاء على الميت.

الوجه الثالث: منافاة تلكم الأخبار للعقل والنقل لا سيّما قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾، وما ذنب الميّت حتى يُعاقب إذا بكى عليه الحيّ، بل هو ظلم على الميّت، والله عزّ شأنه لا يظلم أحداً لكونه من لوازم الفقر والإحتياج وهو منزَّه عن كلّ ذلك.

وأمّا الأخبار الناهية عن البكاء فتُحمَل على البكاء المشتمل على علوّ الصوت والنوح بالباطل أو المتضمِّن للجزع وعدم الرِّضا بقضاء الله تعالى أو غير ذلك.



هوامش الفصل الثاني

(١) ـ كامل الزيارات:١٣٧ح١٦٢.

(٢) ـ كامل الزيارات:١٣٨ح١٦٣.

(٣) ـ بحار الأنوار:٢٢٣/٤٤ح١.

(٤) ـ بحار الأنوار:٢٢٥/٤٤ح٥.

(٥) ـ بحار الأنوار:٢٣٤/٤٤ح٢٠.

(٦) ـ كامل الزيارات:٢٠١ح٢٨٥ باب٣٢.

(٧) ـ كامل الزيارات:٢٠١ح٢٨٦ باب٣٢.

(٨) ـ كامل الزيارات:٢٠٢ح٢٨٧.

(٩) ـ بحار الأنوار:٢٨٦/٤٤ح٢٣.

(١٠) ـ بحار الأنوار:٢٧٨/٤٤ح٤.

(١١) ـ بحار الأنوار:٢٧٩/٤٤ح٥، وكامل الزيارات:٢١٥ح٣١٣.

(١٢) ـ كامل الزيارات:٢١٠ح٣٠١.

(١٣) ـ كامل الزيارات:١٣٢ح١٥٠.

(١٤) ـ بحار الأنوار:٢٨٣/٤٤ح١٧ باب٣٤.

(١٥) ـ وسائل الشيعة:٣٩٦/١٠ح١٦ رقم١٩٧٠٥.

(١٦) ـ وسائل الشيعة:٣٩٣/١٠ح٥ رقم١٩٦٩٥.

(١٧) ـ بحار الأنوار:١١٤/١٠ باب٧.

(١٨) ـ بحار الأنوار: ٧٦/٧٥ باب١٦.

(١٩) ـ علل الشرائع: ١٠٢/١ باب٧٤.

(٢٠) ـ بحار الأنوار: ٢٨٢/٤٤ ح١٤.

(٢١) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٢/٢ ح٧ باب٨٧.

(٢٢) ـ وسائل الشيعة: ٩٢١/٢ ح١ باب٨٧.

(٢٣) ـ وسائل الشيعة: ٩٢١/٢ ح٢ باب٨٧.

(٢٤) ـ وسائل الشيعة: ٩٢١/٢ ح٣ باب٨٧.

(٢٥) ـ وسائل الشيعة: ٩٢١/٢ ح٤ باب٨٧.

(٢٦) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٢/٢ ح٦ باب٨٧.

(٢٧) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٢/٢ ح٨ باب٨٧.

(٢٨) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٣/٢ ح٩ باب٨٧.

(٢٩) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٣/٢ ح١٠ باب٨٧.

(٣٠) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٣/٢ ح١١ باب٨٧.

(٣١) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٤/٢ ح٣ باب٨٨.

(٣٢) ـ وسائل الشيعة: ٩٢٤/٢ ح٣ باب٨٨.

(٣٣) ـ وسائل الشيعة: ٨٩٢/٢ ح١ باب٧٠.

(٣٤) ـ وسائل الشيعة: ٨٩٢/٢ ح١ باب٧٠.

(٣٥) ـ وسائل الشيعة: ٨٩٢/٢ ح٢ باب٧٠.

(٣٦) ـ وسائل الشيعة: ٨٩٢/٢ ح٤ باب٧٠.

(٣٧) ـ وسائل الشيعة: ٨٩٣/٢ ح١ باب٧١.

(٣٨) ـ **وسائل الشيعة:٢/٨٩٣ح٢ باب٧١.**

(٣٩) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٤ح٧١٤٩ باب١٥٨.**

(٤٠) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١٤٤ح١٥٠ باب١٥٨.**

(٤١) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٥ح٧١٥١.**

(٤٢) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٥ح٧١٥٢ باب١٥٨.**

(٤٣) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٧ح٧١٥٧ باب١٥٨.**

(٤٤) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٧ح٧١٥٩ باب١٥٨.**

(٤٥) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٧ح٧١٦٠ باب١٥٨.**

(٤٦) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٨ح٧١٦٢ باب١٥٨.**

(٤٧) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٨ح٧١٦٢ باب١٥٨.**

(٤٨) ـ **الطبقات الكبرى لإبن سعد:٣/١٣.**

(٤٩) ـ **الطبقات الكبرى لإبن سعد:٣/١٣.**

(٥٠) ـ **السنن الكبرى للبيهقي:٤/١١٨ باب١٦١.**

❁❁❁❁❁

الفصل الثالث

الاستدلال على مشروعيّة التطبير

لا ريب أنّ البكاء على الإمام المظلوم الشهيد عليه السلام ـ وحسبما أفدنا سابقاً ـ من أهمّ ما وعد عليه الله بالثواب بمقتضى النصوص المتواترة الدّالّة على استحباب البكاء والتباكي والإبكاء، بل إنّ هذه الأمور من أهمّ الشعائر الإلهيّة التي حثّ عليها الباري عزّ وجلّ وهي عبادة لله لكونها تقرُّباً إليه عبر وسيلته الكبرى شهيد الحقّ الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، وكلُّ فِعْلٍ يترشّح من هذه الشعيرة كضرب السّلاسل وجرح الرّؤوس ــ التطبير ــ والعجيج والضّجيج وقرح العيون بل والموت غصّةً وحرقةً على الإمام المظلوم عليه السلام، كلُّ ذلك داخل ضمن تعظيم الشعائر ويُثاب المرء المسلم عليها باتفاق فقهاء الأمّة بلا منازع سوى ما صدر من بعض أدعياء العِلْم حيث شكّكوا بتلكم الأمور لا سيّما ضرب الرّؤوس والنّدب واللطم؛ فإنّ ذلك ـ بحسب ما ادّعوا ـ منافٍ لحضارة الإسلام، بل ليس شيء من ذلك داخلاً في تعظيم الشعائر.

ولا ريب أنّ التطبير أحدُ مصاديق تعظيم الشعائر الحسينيّة بل صار ملازماً للشعائر الحسينيّة في أكثر البلدان الشيعيّة.

وهنا أودّ البحث في أمورٍ ثلاثةٍ:

الأمر الأوّل: ماهيّة الشعيرة لغةً واصطلاحاً.

الأمر الثاني: الأدلّة على مشروعيّة التطبير وما شابه ذلك.

الأمر الثالث: دعاوى المحرِّمين للتطبير وتفنيدها.

الأمر الأوّل

ماهيّة الشعيرة لغةً واصطلاحاً

الشعائر لغةً جمع شعيرة، ومنها اشتُقّت الأفعال: شَعَرَ يَشْعُرُ أَشْعَرَ، والشعيرة منها أيضاً: الشّعر، الشعور، الشِّعار، والشعرى ومشعوراً ومشعوراء والشِعر والشاعر والمشاعر والمِشْعَر.

ولكلّ مفردة من هذه المفردات عدّةُ معانٍ، ويجمعها معنىً واحدٍ تقريباً هو الإعلام والشعور والإحساس[١].

يُقال: شَعَرَ به: عَلِمَ أو أحسّ به، وشعر له: فطن، وليت شِعري فلاناً ما صنع: أي ليتني شعرتُ وعلمْتُ بما صنع.

والشِّعار: ما ولي شَعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، وفي المثل: هم الشعار دون الدثار، يصفهم بالمودّة والقرب، فالشعار في المثل المذكور هو البطانة والخاصّة، والدّثار هم الناس، ومن معاني الدثار: الثوب الّذي فوق الشعار، ومن الشعار: العلامة في الحرب وغيرها، وشعار العساكر: العلامة التي ينصبونها ليعرفَ الرّجلُ بها رفيقَه، قيل إنّ شعار أصحاب النبيّ كان في الغزو: يا منصور أمِت أمت! وهو تفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة، وشعار القوم علامتهم في السّفر، وأشعر القوم في سفرهم: جعلوا لأنفسهم شعاراً، والإشعار: الإعلام، والشعار العلامة، قال الأزهري: ولا أدري مشاعر الحجّ إلاّ من هذا لأنها علامات له، وأشعر البَدَنَة: أعلمها وهو أنْ

يشقّ جلدها أو يطعنها في أسنمتها في أحد الجانبين بمبضع، والبدنة هي الهدي إلى بيت الله الحرام، تقول: أشعرتُ هذه البَدَنَة لله نُسْكاً أي جعلتها شعيرة تُهدى، وإشعارها أنْ يوجئَ أصل سنامها بسكين، فيسيل الدّمُ على جنبها، ويُعْرَف أنها بدنة هدي(٢).

وأُشْعِرَ الرّجلُ: أُصيبَ بحجرٍ على رأسه فسال دمه، وتقول العرب للملوك إذا قُتلوا: أُشعروا، وكانوا في الجاهليّة يقولون: ديّة المشْعِرة ألف بعير، يريدون ديّة الملوك.

فالإشعار هو الإدماء بطعنٍ أو رميٍ أو وجئٍ بحديدة، قال أحدهم:

عليها ولما يبلغا كُلَّ جُهدها وقد أشعراها في أظَلّ ومَدْمَعِ

وأشعراها: أدمياها وطعناها، أنشد أبو عبيدة:

نقتِّلُهُم جيلاً فجيلاً، تراهم شعائرَ قُربانٍ بها يُتَقَرَّبُ

والشعيرة: البَدَنَة المهداة، سُمِّيَتْ بذلك لأنّه يؤثر فيها بالعلامات، وشعار الحجّ: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله.

والشعيرة أيضاً كلّ ما جُعِلَ عَلَماً لطاعة الله (عزّ وجلّ) كالوقوف والطواف والسعي والرّمي والذّبح وغير ذلك، ومنه الحديث إنّ جبرائيل أتى النبيّ فقال: مُر أمّتك أنْ يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج، ومن الشعيرة المشْعَر وهو المعْلَم والمتَعَبَّد، والمشاعر: المعابد التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها، ومنه سمي المشعر الحرام لأنّه مَعْلَم للعبادة وموضع، قال تعالى: ﴿**فاذكروا الله عند المشعر الحرام**﴾ وهو المزدلفة.

وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الّذين آمَنوا لا تُحلُّوا شعائر الله**﴾ قال الفراء: كانت العرب عامّة لا يرون الصفا والمروة في الشعائر ولا يطوفون بينهما فأنزل الله تعالى: ﴿**لا تحلّوا شعائر الله**﴾ أي لا تستحلّوا ترك ذلك، وقيل شعائر: مناسك الحجّ، وقال الزجاج في شعائر الله: يعني بها جميع متعبدات الله التي أشعرها الله أي جعلها

إعلاماً لنا، وقيل شعائر لكلّ عِلمٍ مما تُعُبِّدَ به لأنّ قولهم شعرتُ به: علِمتُهُ، فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله تعالى شعائر[٣].

يتلخّص ممّا سبق: أنّ الإشعار والشعيرة هما الإدماء والعلامة أو المِعْلَم اللذان أمر الله تعالى بالقيام بهما وندب إليهما، فإذا ما كان الشعار والشعيرة هما الإدماء والعلامة والمِعْلَم، فَلِمَ لا يكون التطبير والندب واللدم مَعلَماً وعلامةً على مظلوميّة الإمام الحسين وأصحابه المنتجبين، فكما أنّ التلبية والوقوف على عرفة ورمي الجمار معلماً من معالم الحج، وكما أنّ البكاء شعيرةً وعلامةً تدلّ على الحزن العميق على فَقْدِ عزيزٍ لا سيّما إمامنا الحسين عليه السلام، فلِمَ لا يكون التطبير واللدم أيضاً من المعالم والشعائر التي تدلّ على مظلوميّة الإمام عليه السلام وعلامةً على الحزن والأسى على الإمام المظلوم عليه السلام؟!!

التطبير من الشعائر الإلهيَّة:

إنّ التطبير من الشعائر الإلهيّة الدالّة على الإمام الحسين عليه السلام والحزن عليه والإنتقام له والإنحياز إليه، بل إنّ عاشوراء من الأيام التي أمر الله تعالى بالتذكير بها بواسطة البكاء وبكلّ وسيلة توصل إلى ذلك كالتطبير والضرب بالسلاسل وما شابه ذلك، فقد ورد في الأخبار المستفيضة أنهم عليهم السلام بكوا حتى أقرح البكاءُ جفونهم، وصاحب الزّمان عليه السلام يبكي بدل الدموع دماً، فهو ــ روحي فداه ــ قد أجاز لنفسه إدماء العين بل وتمنّى لنفسه الموت في ذلك بقوله عليه السلام: "يا جدّاه فلئن أخّرتني الدّهور وعاقني عن نصرتك المقدور ولم أكن لمن حاربكَ محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليكَ بدل الدّموع دماً **حسرةً** عليكَ وتأسّفاً على ما دهاك **حتى أموتَ بلوعة المصاب وغصّة الإكتئاب**.."[٤].

ومعلومٌ أنّ إقراح العين وسكب الدم بدل الدمع هو أشدّ من ضرب الصّدر بالسلاسل وإدماء الرّأس وما شابه، لخطورة العين على باقي الأعضاء؛ لأنّ العين هي الحارسة للأعضاء من أنْ ينالها أذىً أو مكروه، بل إنّ تمنّي الموت بسبب لوعة المصاب واضحٌ على حلية ما دونه أو أقلَّ منه ضرراً، بل قد ورد في ثلاث روايات إجازةُ الإمامِ الصادق (عليه السلام) الهلاك في قضيّة الإمام الحسين (عليه السلام):

الأولى: سأل سائلٌ الإمام الصادق (عليه السلام): يابن رسول الله إنّ بيننا وبين قبر جدّك الحسين (عليه السلام) لبحراً وربّما انكفأت بنا السفينة في البحر؟ فقال (عليه السلام): لا بأس فإنها إنْ انكفأت، إنكفأت في الجنّة[٥].

الثانية: عن أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) في غرفة وعنده مرازم، فسمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: مَن أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكلّ قدمٍ يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومَن أتاه في سفينة فكفأت بهم سفينتهم نادى منادٍ من السماء طبتم وطابت لكم الجنّة[٦].

الثالثة: عن محمّد بن عاصم عن عبد الله النجار قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): تزورون الحسين (عليه السلام) وتركبون السفن؟ فقلت: نعم، قال (عليه السلام): أمَا علِمْتَ أنها إذا انكفت بكم نوديتم: ألا طبتم وطابت لكم الجنّة[٧].

فقد أجاز الإمام الصادق (عليه السلام) ركوب سفينة لتوصل راكبَها إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ولكنها قد تنكفئ به فتؤدّي إلى هلاكه، ومع هذا فإنها إنْ انكفأت فسوف تنكفئ إلى الجنة، مما يقتضي القول انّ كل وسيلة تؤدّي إلى الإتصال بالإمام الحسين (عليه السلام) ـ حتى وإنْ لم تكن مضمونة السّلامة ـ فإنّ صاحبها لو مات فإنه ينقلب إلى الجنة، وما ذلك إلا لأنّ الزائر يُحيي شعيرةً من شعائر الله تعالى إذ إنّ الإمام الحسين

شعيرة عظمى من الشعائر الإلهيّة، فهو أهمُّ من شعائر الحج ومناسكه إذ لولاه لَمَا بقي حجٌّ ولا أيُّ أمرٍ عباديٍّ، من هنا ورد في المتضافر عن أئمتنا عليهم السلام قالوا: بُني الدّين على خمسٍ: الصّلاة، الصّوم، الحجّ، الزّكاة، والولاية وما نودي بشيء أعظم مما نودي بالولاية.

إن ولاية آل البيت عليهم السلام أعظم التكاليف عند الله عزّ وجلّ؛ ذلك لأنّ الولاية هي الطريق الوحيد لمعرفة تلكم التكاليف والواجبات "لولانا ما عُرِفَ الله، لولانا ما وُحِّدَ الله" فأئمّة آل البيت هم الشعائر الإلهيّة، وبقيّة الفروض والواجبات من مصاديق الشعائر ولا يمكن قَصْرُ الشعائر على الواجبات المنصوص عليها في الكتاب الكريم ﴿**ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾.

فالشعيرة هي في الأصل لإعلام الطاعة والإرتباط بالله تعالى، ولا شكّ أنّ الشعائر الحسينيّة بكلّ لوازمها دون استثناء تنبّه وترشد إلى الإرتباط بسفن النجاة من آل محمّد، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام صاحب السفينة السريعة على حدّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام: "كلّنا سفن نجاة إلاّ أنّ سفينة الإمام الحسين عليه السلام أسرع".

فالمراسم الحسينيّة من الضرب بالسلاسل والتطبير وما شابه ذلك مما يُذكّر بمصائب الإمام الحسين عليه السلام، فهي لا محالة تذكّرُنا بشخصه الكريم، لذا ينطبق على هذه الشعائر عنوانان قرآنيان هما:

قوله تعالى: ﴿**ذلك ومَن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ (الحج/٣٢).

وقوله تعالى: ﴿**وذكِّرْهم بأيام الله إنّ في ذلك لآياتٍ لكلّ صبّارٍ شكور**﴾ (إبراهيم/٥).

إن مصائب الإمام الحسين عليه السلام هي شعائر الله تعالى نعظّمها بالبكاء واللطم واللدم والضرب والصراخ والضجيج والعجيج ـ حسبما ورد في دعاء الندبة ـ كلّ ذلك داخل في مفهوم تعظيم الشعائر، بل نفسها هذه الشعائر هي حرمات الله تعالى كما في الآية ٣٠ من سورة الحج: ﴿**ذلك ومَن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه**﴾ بقرينة ما جاء في الآيات من تعظيم البيت العتيق بالطواف حوله والصّلاة وذكر الله تعالى في أيامٍ معلوماتٍ، مضافاً إلى أنّ الحُرْمَة هي ما لا يجوز انتهاكها ويجب على العباد رعايتها، فقوله تعالى: ﴿**ومَن يعظّم حرمات الله فهو خيرٌ له**﴾ ندبٌ إلى تعظيم حرمات الله وهي الأمور التي نهى عنها وضرب دونها حدوداً منع عن تعدّيها واقتراف ما وراءَها، وتعظيمها الكفّ عن التجاوز إليها(٨).

ولا ريب أنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من حرمات الله عزّ وجلّ لكونهم خرجوا لإحياء دين الله، فهم المصداق الأكمل للحرمات الإلهيّة التي لا يجوز التعدّي عليها بل يجب تعظيمها؛ لأنّ تعظيمها تعظيم لله تعالى وإحياءٌ لدينه، والتعدّي عليها تعدٍّ على الله وهو عين انتهاك حرمته، من هنا ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: "لعن الله أمّةً استحلّتْ منك المحارم وانتهكتْ فيكَ حرمة الإسلام.."(٩) وقد انتُهِكَت حرمة الإسلام أيضاً بقتل المولى العبد الصالح العباس بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام فقد اشار المعصوم عليه السلام إلى ذلك بقوله: "**ولعن الله أمّةً استحلَّتْ منكَ المحارم وانتهكتْ في قتلكَ حرمة الإسلام فنِعمَ الأخ الصابر المجاهد المحامي والأخ الدافع عن أخيه المجيب إلى طاعة ربّه الرّاغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل فألحقكَ الله بدرجة آبآئك في دار النعيم إنه جميدٌ مجيد**"(١٠).

إذن لقد انتُهِكَت حرمة الإسلام بقتل المولى الإمام الحسين (عليه السلام) والعبد الصالح المولى العباس بن عليّ (عليه السلام)، والقاتل لهما ظالمٌ كافر قد تعدّى حدود الله ولم يراعِ حرماته المقدَّسة، ﴿**ومَن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾ (البقرة/٢٢٩) ﴿**ومَن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مُهين**﴾ (النساء/١٤) ﴿**وتلك حدود الله وللكافرين عذابٌ أليم**﴾ (المجادلة/٤)!!!

وبناءً عليه: فإنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه هم المصداق الأكبر لثلاثة مفاهيم أشار إليها القرآن الكريم:

المفهوم الأوّل: الحرمات.

المفهوم الثاني: الشعائر.

المفهوم الثالث: الأيام.

أمّا الأوّلان فواضحان مما سبق، وأما أنهم "الأيام" فلأنّ الطاعة من أيام الله تعالى، وأيام الله من آلائه ونعمه حسبما ورد عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قوله تعالى: ﴿**وذكّرهم بأيام الله**﴾ أي: بآلاءِ الله يعني نعمه[١١]. ولا شكّ أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) ومَن معه هم الآلآء والنعم الإلهيّة التي تفضَّلَ بها على عامّة الناس.

وورد أيضاً عن مثنى الحناط قال: سمعتُ أبا جعفرٍ (عليه السلام) يقول: أيام الله: يوم يقوم القائم ويوم الكرّة ويوم القيامة[١٢].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ النبيّ قال: أيّام الله نعماؤه، وبلائه ببلائه[١٣].

وفي خبر عليّ بن إبراهيم قال: أيام الله ثلاثة: يوم القائم ويوم الموت، ويوم القيامة[١٤].

فإذا كان يوم القائم (عليه السلام) ويوم الموت...إلخ من ايام الله تعالى فلا شكّ حينئذٍ ـ من باب تنقيح المناط ـ أنْ يكون يوم الإمام الحسين (عليه السلام) في طف كربلاء من أيام الله

تعالى قطعاً وبطريق الأولويّة أيضاً لأنّ يوم الإمام الحسين عليه السلام من أعظم أيام الله تعالى، بل لولا الإمام الحسين عليه السلام لَمَا كان هناك أيّام أُخَر لله تعالى، هو ـ روحي له الفداء ـ الوحيد والمتفرِّد في عالَم التكوين برفع صوت الحقّ بتلك الكيفيّة العظيمة والرّزيّة الكبرى حيث إنّ ما لاقاه من المصائب والمحن والرّزايا لم يلقه نبيٌّ أو رسولٌ أو إمام على الإطلاق، من هنا قال الإمام المظلوم الحسن المجتبى عليه السلام مخاطِباً أخاه الإمام الحسين عليه السلام: "لا يوم كيومكَ يا أبا عبد الله" نعم لا يوم كيومه بالرّزايا والمحن والمصائب، فهو ـ فديته بنفسي وعيالي ـ وترٌ موتور أحدٌ لا شريك له، لم يسبقه سابق ولن يلحقه لاحقٌ، فمَن كان بهذه الصفة الربانيّة والهيئة الصمدانيّة، والرّوح العلويّة، والنفس الفاطميّة، والهيبة الحسنيّة، والثورة المهدويّة، كيف لا يكون من أيام الله تعالى؟ بل هو ـ والله ـ من أعظم تلك الأيّام وأفضلها عند الله تعالى، فقد جاء في المستفيض عن مولانا الإمام الهادي عليه السلام وقد سأله صقر بن أبي دلف الكرخي أحد موالي الإمام عليه السلام قال: قلت: سيّدي حديث يروى عن النبيّ لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ فقلت: قوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: "لا تعادوا الأيام فتعاديكم" ما معناه؟ فقال عليه السلام: نعم، الأيام نحن ما قامت السماواتُ والأرضُ، فالسبتُ إسم رسول الله، والأحد كنايةٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام والإثنين الحسن والحسين، والثلثاء عليُّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد، والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وأنا، والخميس إبني الحسن بن عليّ، والجمعة إبن إبني، وإليه تُجمع عصابة الحق وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذه معنى الأيام، فلا تعادوهم في الدّنيا فيعادوكم في الآخرة، ثمّ قال عليه السلام: ودِّعْ واخرُج، فلا آمَنُ عليكَ(١٥).

فالتذكير بأيام الله عزّ وجلّ لا يتمّ إلاّ بواسطة إحياء أمرهم عليهم السلام بتعظيمها، لذا ورد عن أئمتنا عليهم السلام أخبار كثيرة تحثّ على إحياء أمرهم لا سيّما ما يتناول فجيعة كربلاء وما جرى على السّبط الشهيد فيها، فقد ورد عن إبن فضّال عن أبيه قال: قال الإمام الرّضا عليه السلام: مَن تذكّر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينُه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيَى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب(١٦).

وعن أحمد بن إسحاق عن بكر بن محمّد عن المولى أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام قال بكر: سمعتُهُ يقول لخثيمة: يا خثيمة أقْرِأ موالينا السَّلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم عزّ وجلّ، وأنْ يشهد إحياؤهم جنائز موتاهم، وأنْ يتلاقوا في بيوتهم فإنّ لقياهم حياةُ أمرنا، قال: ثمّ رفع يده عليه السلام فقال: رَحِمَ اللهُ امرءاً أحيا أمرنا(١٧).

وعن جميل بن درّاج، عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لداود بن سرحان: يا داود أبلِغْ مواليَّ عنّي السَّلام وأنّي أقول: رحم الله عبداً إجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا فإنّ ثالثهما مَلَك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذِكْرِنَا إلاّ باهى الله تعا لى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر؛ فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياؤنا، وخير الناس من بعدنا مَن ذكر أمرنا ودعا إلى ذكرنا(١٨).

فإحياء أمرهم يتمّ بكلّ ما يقرّب إلى ذواتهم الشريفة ويذكّر بمصائبهم التي لم يطق حملها نبيٌّ أو رسولٌ، والشعائر الحسينيّة بكلّ مصاديقها داخلة في مفهوم التذكير وإحياءِ الأمر، فلا يُصغى للشبهات التي تُثار حول أكثر المصاديق وهل انها من شعائر الله أو من مصاديق أيام الله التي لا بدّ من التذكير بها أو ليست منها؛ فإنها لا تعدو كونها نفثات شيطانيّة تريد إبعادَ الناس عمّا يقرّبهم من آل البيت عليهم السلام، كغيرها من الشبهات التي وقعت في الفترة الأخيرة على بعض الضروريّات الثابتة في عقيدتنا.

وزبدة المخض: إنّ مراسم عاشوراء من أهمّ مصاديق الشعائر الإلهيّة بل ومن أعظم أيام الله أثراً في إحياء الدّين وحفظه من الإندثار، وكذا تلعب ـ أي المراسم العاشورائية المقدَّسة ـ دوراً مهماً في حفظ جهود الأنبياء والمرسَلين، بل وتحافظ على إنهاض أمرهم الّذي أُمِروا بإحيائه والتذكير به.

والتطبير واللطم وضرب الأكتاف بالسّلاسل، قد جاء على سبيل التعظيم والإحياء وليس وراءَه غايةٌ أخرى حسبما يتوهّم المشكّكون، وعليه فيكونُ الأمرُ بهذه الصّفة محبوباً لله عزّ وجلّ ولا يشترط في حليّة التطبير والضرب بالسّلاسل وما شابه ذلك التفجّع بالمصاب وحرقة الأفئدة بتلك الرّزيّة بل يكفي فيها الظهور على تلك الصفة وهي بنفسها تعظيم للشعائر وحرمات الله وإحياء للأمر، وكلّ ذلك يعتبر محبوباً لله عزّ وجلّ، وكلّ محبوب عبادة يثاب عليها المؤمن، بل يمكن القول إنه لا يشترط الإخلاص في إظهارها، ويشهد لِمَا قلنا ما ورد في الأخبار المتظافرة الدالة على استحباب التباكي وإنْ لم يقدر على البكاء، ومعلوم أنّ التباكي يختلف عن البكاء، إذ هو تظاهرٌ بالبكاء، وقد يكون التظاهر دون نيّة الإخلاص وهو خلاف الإخلاص، ومع هذا؛ فإنّ الثواب كما إنه يترتب على نفس البكاء حقيقةً، كذا يترتب على التظاهر بالبكاء أيضاً لكونه مشجِّعاً على التفجُّع والتفاعل النوعي مع المصيبة، بل المطلوب نفس التظاهر بالحزن والأسى، وبقيّة الواصفات عرضيّة، وكذلك الحال في المراسم الحسينيّة؛ فإنّ الثواب حاصلٌ لمقيم المراسم الحسينيّة بكافّة مصاديقها، لكون الثواب على نفس فِعْلِ هذه الأمور التي هي مصداقٌ بارزٌ لمفهوم تعظيم الشعا ئر والحرمات وإحياءِ الأمر.

دعوى وردّ:

إنّ وجود مرائين ومنحرفين في مسيرات التطبير يؤثر سلباً على الشعائر الحسينيّة مما يُدْخِلُها في دائرة المحرَّمات الشرعيّة، فلا بدَّ من إزالتها دفعاً للمحذور المتقدِّم.

يرد على الدعوى المتقدِّمة بالإيرادات الآتية:

(الإيراد الأول): ليست بعض الشعائر الحسينيّة ـ كالتطبير مثلاً ـ من الأمور التوقيفيّة التعبديَّة التي يُشْتَرَطُ في صحتها نيّة القربة لله تعالى، بل هي من الأمور التَّوَصليّة التي يكفي فيها تحقّق الفعل الخارجي دون أنْ تكونَ نيّةُ القربة دخيلةً في تحققه إثباتاً، نظير ذلك الحجامة والفصد فإنهما مطلوبان من أجل خروج الدم دفعاً للمرض، ولا يشترط فيهما الإخلاص لله تعالى، بل لو أخرج المحتجمُ الدمَ مرائياً تحقق المطلوب، ومن هذا القبيل أيضاً مسألة التباكي بحيث يتظاهر المؤمن بالبكاء لكونه غير قادرٍ عليه، والتظاهر ـ حسبما قلنا سابقاً ـ خلاف الإخلاص في البكاء، ومع هذا فقد وردت الرّخصة الشرعيَّة به في نصوصٍ كثيرة فاقت التواتر.

(الإيراد الثاني): على فرض كون بعض المراسم الحسينيّة من المسائل العباديّة التي يشترط فيها نيّة الإخلاص لله تعالى كالصلاة والصوم وبقيّة العبادات المنصوصة لكنها ـ أي المراسم المذكورة ـ لا تَحْرُم بطروء عنوانٍ محرَّم عليها كالرياء وما شابه ذلك، بخلاف العبادات المنصوصة فإنها تبطل بطروء عنوانٍ مُحَرَّمٍ عليها كالرّياء؛ فإنه مبطل للصلاة والصّوم وبقيّة العبادات حيث ورد النص عليه ـ أي الرّياء ـ في العبادات الخاصّة دون غيره من العناوين كالعجب، ودون العبادات التي نصّ الشارع المقدَّس على بطلانها بضميمة الرياء، فقياس الرياء في التطبير والمسيرات الحسينيّة على العبادات المنصوصة هو قياس مع الفارق، وذلك من حيث إنّ الأولى لا تبطل بطروء الرياء عليها، بخلاف الثانية لورود النص بذلك، فالتعدي عنه لغيره يعتبر قياساً محرَّماً بالإتفاق.

(الإيراد الثالث): إنّ وجود مرائين أو منحرفين في مسيرات عاشوراء لا يجوّز إلغاءَ الشعائر من أساسها وإلا لساقنا الأمر إلى إلغاء كثير من العبادات المنصوصة ـ كالصوم

والصلاة وغيرها مما يُشْتَرَطُ فيه نيّة القربى ـ لو أتى بها الإنسان بنيّة الرياء والتظاهر بالعبادة، فهل تُمنَع تلك الواجبات لأنّ بعضهم يرائي فيها؟!

لا أظنُّ فقيهاً يقول بذلك، فطروء العناوين غير الشرعيّة على الأمور العباديّة لا يُخرجها عن ماهيتها، ولا يستلزم ذلك حرمتها من الأساس.

(**الإيراد الرابع**): على فرض وجود أفراد مرائين في صفوف المطبِّرين والمواكب الحسينيّة فلا يستلزم أنْ يكون كلّ المطَبِّرين مرائين، بل لا يجوز نعتُهُم بذلك؛ ذلك لأنّ الوجدانَ والإثباتَ الخارجيّ يكذّب الدعوى المذكورة؛ رغم أنَّ أغلب المطبرين وأصحاب المواكب هم أهل تقوى وورع، ووجود بعض المرائين ـ على فرض وجوده ـ لا يمكن تعميم الحكم على الجميع لكونه رجماً بالغيب بل ظنّاً منهيّاً عنه، إذ إنّ الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً.

مضافاً إلى أنّه يجدر بأصحاب الدعوى أنْ يستروا على أولئك المرائين المتسترين في المواكب الحسينيّة؛ لأنّ فضْحَهم حرامٌ لكونه من الغيبة التي نهى عنها المولى عزّ وجلّ؛ ولأنّ حَمْلَ فِعْلِ المسلم على الصحّة من صُلِبِ أحكامنا الدينيّة.

(**الإيراد الخامس**): ليس من وظيفة الفقيه بيان الجزئيات، بل عليه أنْ يبيّن الكليات وليس له أنْ يفتّش عن نوايا الناس، وهل صاحب الدّعوى استقرأ نفوس كلِّ المطبِّرين وأصحاب المواكب الحسينيّة في جميع الأقطار حتى حكم على بعضهم بالرياء والفسق؟!!

وعلى فرض وجود مرائين ومنحرفِين بل وفسّاق مارقين في المسيرات الحسينيّة المقدَّسة؛ فإنّ ذلك لا يسوقنا إلى الدّعوة إلى إلغاء الشعائر برُمَّتِها؛ لأنه يقتضي إلغاءَ كثيرٍ من المراسم العباديّة التي أمرت بها الشريعة لمجرّد أنّ جماعةً يراؤون في بعضها فيتظاهرون بالعبادة والتقى، وهل نمنع الحجَّ لأنّ بعضهم يرائي فيه؟! وهل نمنع الصوم

والصلاة لأجل ذلك أيضاً؟! كلاّ،..بل علينا أن نُخْلِصَ النوايا وندعو الناس إلى ذلك لا سيّما إحياء الشعائر حيث إنّ الإخلاص في إتيانها هو الغاية المنشودة التي من أجلها شُرِّعَت المواكب الحسينيّة كغيرها من الشعائر الإلهيّة، فكلما كان أصحابُها ذوي نوايا حسنة طاهرة كلّما ترقّوا في مدارج الكمال الحسيني الّذي شاء الله تعالى أنْ يكون معراجاً للسالكين إليه تعالى.

وبالجملة: فإنّ استلزام الشعائر للفساد أحياناً ـ على فرض وقوعه ـ لا يوجب تحريمها مطلَقاً وأبداً، ولو أنّ كلّ راجح يستلزم محرَّماً أو يقع فيه محرَّم تركناه، لبطلت الشريعة وقوِّضَتْ دعائم الدّين، فترتُّب بعضِ الآثار السلبيّة على المواكب الحسينيّة لا يستوجب حرمةَ إخراج الدم من الرأس الرّاجح شرعاً؛ فإنّ حرمة الشيء لا توجب حرمة ما يقع فيه، ومَن تغنّى في القرآن لا يُقال له إنّ قراءة القرآن حرام بل التغني بالقرآن حرام، فليس إخراج الدم حراماً، بل الحرام هو الآثار السلبيّة الحاصلة عمداً في المواكب الحسينيّة أينما كانت.

*****

الأمر الثاني

الأدلّة على مشروعيّة التطبير

(معنى التطبير لغةً واصطلاحاً)

التطبير على وزن تفعيل وهو جرح الرّؤوس بالقامات والسيوف يوم العاشر من محرّم الحرام، وهو إسم مصدر، منه اشتقّ الفعل "طَبَرَ" أي قفز واختبأ واختفى، ووقعوا في طَبَار أي داهية، والطُّبَّار: ضربٌ من التين الأحمر، والطَّبَرُ: نوع قديم من السّلاح يشبه الفأس، يقال إنّ الطَّبَر فارسيّة وهي نوع من السّلاح(١٩).

فالتطبير بحسب الإستقراء فيه ثلاثة أوصاف: السّلاح والحمرة والمصيبة "الدّاهية".

وهذه الأوصاف مجتمعةً لا تحصل إلاّ في الحروب حيث تُشال فيها الرّؤوس على الأسنّة و الرّماح، فيصاب ذووها بالمصائب والكرب والحزن، لذا أُطلِقَ هذا اللفظ بالخصوص على مراسم عاشوراء وعلى وجه التأكيد في اليوم العاشر منه حيت تستعمل الأسنّة والرّماح والقامات والصنوج والطبول والأبواق في مواكب مهيبة تجللها رايات حمراء، يلبس أصحابها الأكفان يتقدّمهم مشاعل حمراء فينفخون بالأبواق ويقرعون الطبول والصنوج بقوّة وعنف ويهتفون من صميم أفئدتهم: "حسين...حيدر.." بطور حربيٍّ يزلزل الأرضَ، فتشعِرُّ لها الجلودُ وتذّكِرُكَ تلك اللحظات المرعبة بلحظات اليوم العاشر من محرَّم عندما تكاتف الأعداءُ الكفارُ على الإمام الحسين عليه السلام وذريته وإخوته وأصحابه الميامين.

إنّ مواكب التطبير في عاشوراء شعارُها الدم، فلا ترى إلاّ رؤوساً مخضوبة بدماء ممزوجة بدموع تتحادر بلا استئذان اسفاً وحزناً على الإمام المظلوم عليه السلام، فأصحابها

وإنْ كانوا لم يدركوا نصرة الإمام (عليه السلام) إلاّ إنهم وطّنوا أنفسهم على نصرة مبادئه وشعاراته الخالدة، فتَرَكَ التطبيرُ في قلب كلِّ مطَبِّرٍ ثورةً على الباطل، وعِبْرَةً وعظاتٍ في عقله لا تُمْسَحُ مهما عَصَفَ بها الدّهر وتصببتْ عليها بحار الظلم والخطيئة.

ومواكب التطبير هي الأقدر على إعادة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الحياة؛ لأنّ فيها كلّ ما في الحرب: الطبول، والصنوج، والأبواق، والسيوف التي تقطر دماً، والرّؤوس المخضَّبة والأكفان الحمراء، والهيْجَةُ التي يُحْدِثُها مواكبُ التطبير لا يُحْدِثُها أيُّ خطيبٍ ولا موكبُ تمثيل، فمواكبُ التطبير غنيّةٌ بالواقعيّة بسبب الرّؤوس المخضَّبةِ التي بمجرّد أنْ يشاهدها المرءُ تطْفَرُ الدّمعة من عينه فتركّز الثورة في الأعماق دون تركيبِ مقدّماتٍ للإقناعِ والإعتقادِ.

*****

الأدلّة على مشروعيّة التطبير:

لا نجد فيما لدينا من مجموعةِ الأدلّةِ الشرعيّةِ دليلاً واحداً على حرمة التطبير فليس لدينا دليلٌ خاصٌّ يقول: إنّ التطبير حرامٌ، كما لا يوجد دليلٌ عامٌّ من قاعدة أصوليّة وأخرى فقهيّة يشير إلى حرمة التطبير من قريبٍ أو بعيدٍ، بل العكس هو الصحيح حيث إنّ التطبير قد مرّت عليه الدّهورُ والأحقابُ، وخضعت له أساطين الملّة وأعلام الشريعة في جميع الأعصار والأدوار، فما أنكره منكرٌ ولا اعترضه معترِضٌ، وهو بمرأى منهم ومسمع ومنتدى ومجمع، وقد كان يجري في القرن الماضي أزمنة السيّد بحر العلوم وكاشف الغطاء وغيرهما قدّس الله أسرارهم من التشبيهات التي كانت تسمّى "الدائرة" ما هو أوسع وأشيع، وأكثر وأوفر، مما يجري في هذه العصور، ففضلاً عن سكوت

أولئك الأساطين، فقد كانوا يمدّونهم بالمساعدة ويعضدونهم بالحضور والمشاهَدة، ومع هذا كلِّه فإنّ الادلّةَ الشرعيّةَ على حلّيّةِ التطبير كثيرةٌ هي التالي:

الدليل الأوّل

أصل الإباحة حال الشكّ في الحرمة

أصل الإباحة الدّال على حليّة التطبير حال الشّك في حرمتها، أو حال عدم وجود نصٍّ على الحرمة، وليس في مصادرنا الفِقهيّة الموجودة بأيدينا، دليلٌ على حرمة الجرح أو الإدماء.

والإباحة أحد أنواع الحكم الشرعي وهو خمسة: الوجوب، الحرمة، الإستحباب، الكراهة، الإباحة، ويُطلَق عليها الإباحة الشرعيّة، وثمّة إباحة عقليّة وهي التي يبيحها العقل عند فقدان النص أو الشك بوجوده بعد اليأس من العثور عليه.

والإباحة بكِلاَ قسميها تشمل كافة الأفعال والأقوال الصادرة من المكلّفين، وكافّة الأشياء الموجودة في متناول العباد، فكلّ عملٍ أو قولٍ أو شيءٍ، لا بدّ أنْ يكون محكوماً بأحد هذه الأحكام الخمسة، إذ لم يترك الشارع المقدَّس للمكلَّف عملاً أو قولاً أو شيئاً آخر لم يحكم عليه بحكمه، ولم يصدره إلى المكلَّفين ولو في ضمن الأدلّة الفقهيّة العامّة المقرَّرة، فكلُّ ما لا يوجد له حكم من الأحكام الأربعة، فهو مباحٌ شرعاً وعقلاً للأدلّة الأربعة الدالة على الترخيص: الكتاب، السنة، الإجماع، والعقل.

فمن الكتاب الكريم عدّة آياتٍ منها قوله تعالى:

﴿**لا يكلّف اللهُ نفساً إلاّ ما آتاها**﴾ (الطلاق/٧).

﴿**وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً**﴾ (الإسراء/١٥).

﴿**وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون**﴾ (التوبة/١١٥).

﴿**ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى مَن حيّ عن بيّنة**﴾ (الأنفال/٤٢).

والقدر الجامع لهذه الآيات هو أنّ الله تعالى لا يمكن أنْ يؤاخِذ العبادَ على شيء لم يبيّنه لهم، لكون المؤاخَذة ظلماً يتنزّه عنها الحكيم المتعال الغنيُّ القدير، وإنما يحتاجُ إلى الظلمِ الفقيرُ المحتاج، الضعيف الحقير المسكين الذليل.

أخبار السُنَّة النبويَّة والوَلَويَّة

ومن السُّنّة أخبارٌ كثيرة منها ما ورد:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في المشهور بحديث الرفع: "رفِعَ عن أمتي تسعة: الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يطيقون وما لا يعلمون، وما اضطرو إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة"[٢٠].

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوعٌ عنهم[٢١].

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كل شيء يكون فيه حرام وحلال فهو لك حلال أبداً حتى تَعْرَفَ الحرامَ منه بعينه فتدعه[٢٢].

وعن الحسين بن أبي غندر عن أبيه عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: الأشياء مطلقة ما لم يرد عليك أمرٌ ونهيٌ، وكل شيء يكون فيه حلالٌ وحرامٌ فهو لك حلالٌ أبداً ما لم تعرف الحرام منه فتدعه[٢٣].

وعنه عليه السلام قال: كل شيء مطلَق حتى يردَ فيه نهيٌ[٢٤].

وعنه عليه السلام قال: كل شيء مطلَق حتى يرد فيه نص[٢٥].

وعنه عليه السلام قال: إن علياً عليه السلام كان يقول: أبهموا ما أبهمه الله[٢٦].

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام مَن لم يعرف شيئاً هل عليه شيء؟ قال: لا(٢٧).

وعن حمزة بن الطيار عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: أكتبْ، فأملى عليَّ: "...إن الله يحتج على العباد بما آتاهم وعرَّفهم"(٢٨).

والحاصل: إن هذه الأحاديث واضحة الدلالة على إباحة ما لم يرد فيه نهيٌ من الشارع المقدَّس، وأن أصالة الإباحة الشرعية جارية في كل شيء لم يصل إلى العباد حكم إلزامي في شأنه، ومن هذا القبيل التطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل وما شابه ذلك مما يجري في مراسم عاشوراء.

وأما المدرك الثالث: الإجماع على حلية التطبير، فليس ثمة إجماع على ذلك؛ لأن المسألة من المستحدثات، فلم تكن معهودةً في العصرين الأموي والعباسي، لذا هي من المشهورات عند المتأخرين، بل من المجمع عليها عندهم، فالأصل في المسألة الإباحة، وفتوى واحد أو اثنان بالتحريم يعتبر شواذاً ـ خصوصاً إذا تأملنا الأدلةَ التي اعتمدوها وهي في الواقع دعاوى بحاجة إلى إثبات ـ والشاذ لا خير فيه ولا بُدَّ من طرحه لقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام: "خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر".

فالتطبير من المشهورات التي راجت في الأوساط الشيعية في بداية العهد العثماني، أما بقية الشعائر المقدسة فقد بدأ رواجها منذ عهد الشيخ المفيد حسبما ذكر ذلك إبن كثيرٍ في تاريخه من "أن الشيعة في عاشر المحرَّم عملت مأتمهم ــ أي مراسم عاشوراء ــ وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقَتْ الاسواق وعلقَت المسوح، وخرجتْ النساء سافراتٍ ناشراتٍ شعورهن، ينحنَ ويلطِمْنَ وجوهَهن في الأسواق والأزقة على الإمام الحسين عليه السلام..."(٢٩).

بل إن إبن الأثير وابن خلدون ذكرا ما كان يقيمه الشيعة من المراسم العلوية حيث كانوا يمثلون ـ حسب دعوى المذكورين ـ خروج عائشة يوم الجمل على الإمام علي عليه السلام [(٣٠)].

وكما صرح إبن كثير "بأن عميدَ الجيوش قد منع الروافض ـ أي الشيعة ـ من النياحة في عاشوراء وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر من ذي الحجة الذي يقال له:غدير خم"[(٣١)].

بل إن مواكب عاشوراء في عهد ملوك آل بويه كانت زاهية فترة نشاط الشيخ المفيد وإبن قولويه القمي والسيِّدين الرضي والمرتضى والطوسي، ولولا خروج المواكب إلى الطرقات لبطلت الغاية وفسدت الثمرة وانتفى الغرض المهم من التذكار الحسيني، بل ومن الشهادة الحسينية كما يعرفه كل متعمّق في الأسرار الإلهية.

وبالجملة؛ فإنّ الشعارات الحسينيّة كالنياحة واللطم والتمثيل كانت رائجة في عصر المفيد والطوسي والسيّدين الرّضي والمرتضى ولم يفتِ أحد منهم ولا مَن جاء بعدهم بحرمة تلكم الشعارات التي كان يتأذى منها المخالِفون بل إنّ الحنابلة أكثروا من القتل في شيعة الكرخ لأنهم رفضوا حذف عبارة كُتِبَتْ على لوحة ونُصِبَتْ على أحد المساجد وهي: "محمّد وعليّ خير البشر"[(٣٢)] فلم يزدهم إلاّ إصراراً وصموداً ومواجهةً ولم يبالوا بالنتائج السلبيّة التي لحقتهم ما داموا مع الحقّ يجاهرون به حتى لو أدّى ذلك إلى إبادتهم عن بكرة أبيهم؛ فإنّ مَن كان مع الحقّ، كان الحقّ معه.

وأمّا المدرك الرّابع: العقل؛ فإنه يحكم بقبح العقاب بلا بيان واصلٍ من الشريعة، فلا دليل بين أيدينا يثبت حرمة التطبير، وما ادّعاه أولئك المرجفون من وجود ضرر على النفس من جرّاء التطبير لذا فهو حرام، مردود كما سوف يأتي معنا في فصل دعاوى المحرِّمين للتطبير.

زبدة المخض:

إنّ القواعد والأصول الأوليّة تقضي بإباحة التطبير وضرب السلاسل واللطم واللدم وما شابه ذلك، إذ لا دليل على الحرمة، ومَنْ ادّعاها يجب أنْ يقيم الدّليل على المدَّعى، والأصل مع المنكر للحرمة، ومطالبته بالدليل على خلاف القاعدة المشهورة: "البيّنة على المدَّعي وعلى المنكِر الحلف" فبما انّ الأصل فيها الحليّة وهو بذاته بيّنة، فعلى منكِر الحليّة الدّليل أيضاً؛ لأنّه كما إنّ الإثبات بحاجةٍ إلى دليل، فالنفي أيضاً بحاجة إلى دليل يثبِتُ مقتضاه.

وعليه؛ فإنّ التطبير مباحٌ بمقتضى أصل الإباحة بقسميها المتقدِّمَين، بل راجح ومستحَبٌّ بقصد إعلان شعائر الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام وداخلٌ في باب الجزع والحزن على الإمام الحسين المظلوم عليه السلام وهو ممّا لا ريب باستحبابه والثواب عليه.

مضافاً إلى أنّ المباح يبقى مباحاً إذا لم تعرض عليه جهاتٌ تُحسِّنُه، فإذا عرَضَتْ عليه تلك الجهات المحَسِّنَة فينقلب إليها، فإنْ كانتْ ــ أي الجهة ــ حسنة فيصير حسَنَاً، وإنْ كانت قبيحة فيصير قبيحاً.

*****

الدّليل الثاني

ضربّ الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل هو نوع مواساة لسيّد الشّهداء عليه السلام

إنّ ضـرْبَ الـرّؤوس و الظهـور بالسـيوف والسّلاسـل مواسـاةٌ لسـيّد أهـل الإباء وخامس أصحاب العبا، بل هو بذاته جزعٌ وتلهُّفٌ عليهم، ويظهَر من الأخبار الشريفة أنّ الله تعالى أحبّ مواساةَ الإمام الحسين عليه السلام في مصائبه فأشرك بعض أنبيائه في

بعضها، منها ما أوردناه في كتابنا "شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها" عن ثلّة من المحدثين:

(١) ـ ما روي من أن آدم لما هبط إلى الأرض لم يرَ حوّا، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الّذي قتل فيه الإمام الحسين عليه السلام، حتى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السَّماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقةً لدمه، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ أيكون الإمام الحسين عليه السلام نبيّاً، قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد، فقال عليه السلام: ومَن القاتل له؟، قال: قاتله يزيد لعين أهل السّماوات والأرض، فقال آدم عليه السلام: فأيّ شيء أصنع يا جبرائيل؟ فقال: إلعنه يا آدم فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّا هناك.

إشارات هامّة:

الإشارة الأولى:

أشار الحديث إلى أنّ الله تعالى أسال دم آدم عليه السلام ـ حيث جعله يعثر في الموضع الّذي سيستشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام ـ موافقةً لسيلان دم الإمام الحسين عليه السلام، ومعنى هذا أنّ الله يحبّ أنْ تسيل الدّماء من بني آدم موافقةً لدم الإمام المظلوم الشهيد، ممّا يعني جواز التطبير على السّبط الشهيد المظلوم، فإذا جاز أنْ يُسيل اللهُ دم آدم لما ذكرنا ـ ولِما سترى في الخبر الآتي كيف أنّ الله أسال دماء بعض المرسَلين موافقةً

لسيلان دم الإمام المظلوم ـ جاز للمؤمن أنْ يجعل إرادته في إخراج الدّم من رأسه أو ظهره موافِقةً لإرادة الله تعالى بإخراج الدّم من قدم آدم عليه السلام .

الإشارة الثانية:

المراد من النبوّة المنفيّة في الحديث هي النبوّة الإصطلاحيّة بالأخصّ، لا العامّة، ففرقٌ بين النبوّة التشريعيّة وبين النبوّة التسديديّة، فالثانية كانت ثابتة بلا جدال للإمام الحسين عليه السلام ولبقيّة الأئمّة عليهم السّلام مع الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السّلام، دون الأولى .

الإشارة الثالثة:

إنّ لعن قاتله يوجب تيسير الأمور، وقضاء الحوائج، ولا يخفى ما في العدد أربعة من معنىً عميق، يفهمه المتبصِّرون بحقائق التشريع، وأسرار التكوين؛ والحمد لله .

(٢) ـ وروى صاحب الدّر الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿**فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه**﴾ (البقرة/٣٧) أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السّلام فلقّنه جبرائيل قل: يا حميد بحق محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسِن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان.

فلمّا ذكر الإمام الحسين عليه السلام سالت دموعه وخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرائيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عَبْرَتي؟ قال جبرائيل عليه السلام: ولدك هذا يصاب بمصيبةٍ تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال:يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر و لا معين، ولو تراه يا آدم و هو يقول: وا عطشاه وا قلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه و بين السّماءكالدّخان، فلم يجبه أحد إلاّ بالسّيوف، وشرب الحتوف فيُذبح ذبح الشّاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في

البلدان، ومعهم النّسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم و جبرائيل بكاء الثّكلى.

(٣) ـ ما رُوي من أنّ النّبي إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه و سال دمه، فأخذ في الإستغفار وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فنزل إليه جبرائيل و قال: يا ابراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء و ابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال يا جبرائيل ومن يكون قاتله؟ قال لعين أهل السّماوات و الأرضين و القلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنّك استحققت الثناء بهذا اللّعن .

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه و لعن يزيد لعناً كثيراً و أمّن فرسه بلسان فصيح فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتى تومّن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليَّ فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي و كان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

(٤) ـ وروي أيضاً عن النبي إبراهيم خليل الرحمان أنّه لما وصل إلى كربلاء عثرت به فرسه وسقط عن الفرس وشجّ رأسه فقال: إلهي ما حدث منّي فأخذ فرسه يقول: عظمت خجلتي منك والسبب في ذلك أنه هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء **فقد سال دمك موافقةً لدمه**.

(٥) ـ وروي أنّ النبي موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك ـ أي الشوك ـ في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه فقال: رب ومن يكون الحسين، فقيل له: هو سبط المصطفى محمّد ، وابن عليٍّ المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟، فقيل:

هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع النبي موسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

(٦) - وروي أيضاً أنّ النبي موسى عليه السلام رآه إسرائيلي مستعجلاً وقد كسته الصُّفرة ترجف فرائصه، وجسمه مقشعر، وعينه غائرة، فعَلِم أنّه قد دعي للمناجاة فقال: يا نبيّ الله قد أذنبت ذنباً عظيماً فسأل ربّك أن يعفو عنّي فلما وصل إلى مقامه وناجى قال: ربّي أنت العالم قبل نطقي فإنّ فلاناً عبدك أذنب ذنباً ويسألك العفو قال: يا موسى أغفر لمن استغفرني إلاّ قاتل الحسين عليه السلام قال: يا رب ومن الحسين؟ قال: الّذي مرّ ذكره عليك بجانب الطّور قال: ومن يقتله؟ قال: يقتله أمّة جدّه الباغية الطاغية في أرض كربلاء وتنفر فرسه وتصهل وتقول في صهيله: الظليمة الظليمة من أمّةٍ قتلت ابن بنت نبيّها، فيبقى ملقى على الرمال بغير غسلٍ ولا كفن وينهب رحله وتسبى نسائه في البلدان ويقتل ناصروه وتشهر رؤوسهم مع رأسه على أطراف الرماح، يا موسى صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش يستغيثون فلا ناصر ويستجيرون فلا خافر، فبكى موسى عليه السلام فقال سبحانه: يا موسى إعلم أنّه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرّمت جسده عن النّار.

(٧) - وروي بأسانيد ثلاثة عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ إن أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى لو سألتني في الأوّلين و الآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن علي عليهما السّلام فإنّي أنتقم له من قاتله.

(٨) ـ وعن سعد بن عبد الله القمّي في حديثٍ له مع الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: ما جاء بك يا سعد فقلت: شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا، قال: والمسائل التي أردت أن تسأل عنها؟ قلتُ:على حالها يا مولاي، قال: فَسَلْ قرّة عيني عمّا بدا لك وأومأ بيده إلى الغلام عليه السلام، وذكر المسائل إلى أن قال: قلت: فأخبرني يابن رسول الله عن تأويل كهيعص؟ قال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريّا عليها ثمّ قصّها على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك : إن زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرائيل عليه السلام فعلّمه إيّاها، وكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن عليهم السّلام سرى عنه همّه وانجلى كربه وإذا ذُكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما لي إذا ذكرت أربع منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه الله تعالى عن قصّته فقال كهيعص: فالكاف إسم كربلاء والهاء هلاك العترة الطاهرة، والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الإمام الحسين عليه السلام والعين عطشه، والصاد صبره فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيها النّاس من الدّخول عليه، وأقبل عليه البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهي أتفجع خير خلقك بولده، أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما، ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر، واجعله وارثاً ووصيّاً، واجعل محلّه مني محلّ الحسين عليه السلام فإذا رزقتنيه فأفتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك صلّى الله عليه وآله وسلّم بولده فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك.

(٩) ـ ما جرى على نبيّ الله إسماعيل، ففي صحيحة سماعة بن مهران عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: أنه كان لله رسولاً نبيّاً تسلط عليه قومه فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسول من رب العالمين فقال له: ربك يقرؤك السلام ويقول: قد رأيت ما صنع بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت، فقال عليه السلام: يكون لي بالحسين أُسوة.

(١٠) ـ وفي صحيحة بريد العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً**﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟، فإنّ النّاس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام:

إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله كلّها قائماً صاحب شريعة ، فإلى مَن أُرسِلَ إسماعيل إذاً؟، فقلت: جعلت فداك فمن كان.

قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي عليه السلام، بعثه الله إلى قومه فكذّبوه فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه إسطاطائيل ملك العذاب، فقال له : يا إسماعيل أنا إسطاطائيل ملك العذاب وجّهني إليك ربّ العزّة لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في ذلك. فأوحى الله إليه فما حاجتك يا إسماعيل، فقال: يا رب إنكَ أخذت الميثاق لنفسك بالرّبوبيّة ولمحمّد بالنّبوّة ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمّته بالحسين بن علي عليهما السلام من بعد نبيّها، وأنّك وعدت الحسين عليه السلام أن تكرّ [لعلّه: يكرّ] إلى الدّنيا حتى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تكرّني إلى الدّنيا حتّى أنتقم

ممّن فعل ذلك بي كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام .

(١١) - وروي مثله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد**﴾، أخذ فسلخت فروة وجهه ورأسه فآتاه ملك فقال :إنّ الله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال:لي أسوة بالحسين إبن علي عليهما السلام.

وورد أيضاً بالمستفيض أنّ المولى المعظَّم العباس بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام لم يشرب الماء رغم وصوله إليه أسوةً بأخيه الإمام الحسين عليه السلام(٣٣).

وفي هذه الاخبار إشعارٌ واضحٌ بأنّ الله تعالى أحبّ أنْ تُراقَ الدّماء من الأنبياء ــ فكيف بغيرهم ــ أسوةً بالإمام الحسين عليه السلام حتى لو كان إخراجُ الدّمِ من هؤلاء العظامِ عن غير قصدٍ واختيار، لكنّ الله جلّ وعلا أخرجها لهم عن قصد واختيار، وما اختاره الله للأنبياء فسنفعله لرجحانه واستحبابه، فتكون هذه الأخبار كافية للدّلالة على رجحان التطبير واستحبابه مواساةً لخامس أهل العباء وأصحابه الطيبين.

*****

الدّليل الثالث

صدور الإدماء من المعصومين ﴿عليهم السلام﴾

لا ريب أنّ الإدماء بنفسه ليس حراماً بل هو من المباحات الأصليّة ولكنه قد يجب تارةً وقد يحرم أخرى وهما عنوانان طارئان عليه بالعناوين الثانويّة، فيجب كما لو توقفت الصحة على إخراجه كما في الفصد والحجامة في حال هاج به الدم فكاد يقتله، فيجب حينئذٍ الإخراج دفعاً لمحذور التهلكة، ويحرم كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرض أو موت، وقد يكون مستحباً وراجحاً كما لو كان بقصد المواساة لأهل أصحاب الكساء.

وهنا عدّة أخبار دلّت على صدور الإدماء من الأنبياء والمرسَلين والأولياء المقرَّبين ﴿عليهم السلام﴾، يمكننا تقسيمها إلى طوائف هي ما يلي:

الطائفة الأولى
حصول الإدماء من بعض الأنبياء والمرسَلين

وقد تقدّم شطرٌ منها في الدّليل الثاني، حيث دلّت تلكم الأخبار على صدور الإدماء من بعض الأنبياء دون قصدٍ منهم لذلك، بل الله سبحانه أراد أنْ يكونوا متأسين بمولاهم الإمام الحسين المظلوم ﴿عليه السلام﴾؛ وكأنّ عمليّة التأسي تجعل منهم قدوة

حسنة لأممهم، وتُظهر الأسى والحزن على سيّدهم الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ كلّ ذلك يقتضي تطهير نفوسهم من ترك الأولَى الّذي أُصيبوا به، أو أنه تأكيد لهم بأنّ الإمام الحسين عليه السلام أفضل منهم، إذ ما صاروا أنبياءاً إلاّ بأخذ الميثاق عليهم بولاية أهل البيت عليهم السلام حسبما جاء في الأخبار المتواترة، لذا عليهم أنْ يتأسّوا به، ولا يمكن التأسي بالأدون والأدنى بل دائماً التأسي بالأكمل والأفضل، فتأمّل.

الطائفة الثانية

حصول الإدماء من أئمتنا المعصومين عليهم السلام

لقد صدر الإدماء من بعض أئمتنا عليهم السلام والمقرَّبين إليهم، والإدماء الصّادر منهم كان عِبْرَ ثلاثة طرق: الرّأس والعيون والوجوه. ويظهَر من بعض الأخبار حصول إدماء في العيون من كلّ الأئمّة عليهم السلام لِمَا ورد في خبر إبراهيم بن أبي محمود عن مولانا الإمام الرّضا عليه السلام أنه قال: "...إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا بأرض كربٍ وبلاءٍ، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فيبكِ الباكون؛ فإنّ البكاء عليه يحطُّ الذنوب العِظام"(٣٤) وإقراح الجفون معناه إدماؤها بخروج الدّم منها بدل الدّمع فتأمّل.

وروى المجلسي في جلاء العيون أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام صدر منه الإدماء حيث إنه عليه السلام: "إذا أخذ إناءاً ليشرب، يبكي حتى يملأه دماً"(٣٥).

ورُوي أنه عليه السلام بكى حتى خيف على عينيه(٣٦).

وكذا يصدر الإدماء من الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام كما في زيارة الناحية المقدَّسة بقوله الشريف:

"فلئن أخّرتني الدّهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمَن حاربكَ محارباً، ولمَن نصَبَ لكَ العداوة مناصِباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ لكَ [عليكَ] بدل الدّموع دماً حسرةً عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصّة الإكتئاب"[٣٧].

فإذا جاز للإمام المهديّ عليه السلام أنْ يبكي دماً بدلاً من الدّمع لكثرة الأنين والحزن وفيه من الضرر ما لا يخفى على عاقل حيث يؤدّي البكاء الكثير لا سيّما إذا كان دماً يُسبِّب تضرّر العين مما يؤدّي إلى عدم الرّؤية، فإذا جاز ذلك لمولانا الحجّة عليه السلام فلِمَ لا يجوز لشيعته ذلك أو أدنى منه وهو التطبير على الرأس الّذي لا يؤدّي إلى ضرر كما يحصل في العينين؟

ويؤيّد ما ذكرنا ما جاء في دعاء الندبة الشريف الّذي رواه السيّد إبن طاووس قدس سره في إقبال الأعمال ومصباح الزّائر وجمال الأسبوع، وكذا الشيخ المجلسي قدس سره في بحاره قال: قال الإمام الحجّة عليه السلام: **"فعلى الأطايب من أهل بيت محمّدٍ وعليٍّ فليبكِ الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدّموع وليصرخ الصارخون ويضجّ الضاجّون ويعجّ العاجّون، أين الحسن اين الحسين أين أبناء الحسين..."** ثمّ يقول مناجياً نادِباً: **"هل من معينٍ فأطيلُ معه العويل والبكاء؟ هل من جَزوعٍ فأساعد جزعه إذا خلا؟ هل قَذِيَت عينٌ فساعَدَتْها عيني على القذى؟ هل إليكَ يا ابن أحمدَ سبيلٌ فتُلْقَى..."** فلينظر المؤمن إلى قوله عليه السلام: **"هل قَذِيَتْ عينٌ فساعدَتْها عيني على القذى"** ففيه إشارة واضحة لِمَا يصيبُ العينَ من ضرر القذى ــ أي الشوكة أو التراب اللذان يصيبان العين فيسبّبان لها الإحمرار ونزول الدّم بسبب تمزّق الأغشية، أو أنْ يكونَ نزولُ الدّم بسبب تدفّق الدمع بحيث لا تُتاح الفرصة للدم حتى

ينقلب دمعاً؛ لأنّ الدّمع هو بخار الدّم، فإذا قلّت الرّطوبة وكثر البكاء أكثر من قابليّة تبخّر رطوبات الدّم؛ فإنّ الدّمَ نفسَه يجري من عروق الجفون.

فقوله (عليه السلام): "هل قذيَتْ عينٌ.." دعوةٌ مفتوحةٌ منه ــ روحي ــ فداه إلى جواز كثرة البكاء حتى ولو تضرّرت العينُ فصارت تهمي دماً بدلاً من الدّمع، فإذا جاز تضرُّر العين بالبكاء، وقد يكون ضررُها كبيراً بحيث يؤدّي إلى العمى، فلِمَ لا يجوز التطبير الّذي لا يؤدّي قطعاً إلى ضررٍ كضررِ البكاء؟!!

*****

الطائفة الثالثة

حصول الإدماء من أهل بيت السّبط الشهيد (عليه السلام)

فقد دلّت هذه الطائفة المبارَكة أنّ عدداً من أهل البيت (عليهم السلام) أمثال مولاتنا سيّدة النساء الحوراء زينب (عليها السلام) ومولاتنا رقيّة ومولاتنا الرّباب (عليهما السلام) صدر منهنّ الإدماء من الرّأس والوجوه بل صدر ما هو أعظم وهو الموت حسرةً على فراقه وما جرى عليه، وكذا ما ورد من أهل المدينة حيث لم تبقَ فيها مخدَّرةٌ ولا محَجَّبةٌ إلاّ برَزْنَ من خدورِهِنَّ وخمشْنَ وجوهَهُن، ومن المعلوم أنّ خَمْشَ الوجه سبب لإدمائه، وكذا تغيّر لون البشرة بالجلوس تحت الشمس، وتقشّر الوجه بسبب البرودة في فصل الشتاء ـ كما حصل لمولاتنا الرّباب حيث آلت على نفسها أنْ لا تستظلَّ تحت سقفٍ حتى ماتت ـ فإنه سبب لإخراج الدّم لتفسّخ الجلد ونبوع الدم من تحته كما لا يخفى على العارف اللبيب.

وهنا نذكر بعض الأخبار الدّالّة على المطلوب هي ما يلي:

(١) ـ ففي خبر أورده العلاّمة المجلسي أعلى الله مقامه أنّ مولاتنا أمّ كلثوم أخرجتْ رأسها من المحمل لما أُخِذَت سبيّة إلى الكوفة فقالت لهم: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يومَ فصل القضاء، فبينا هي تخاطبهم إذا بضجّةٍ قد ارتفعتْ، فإذا هم أتوا بالرّؤوس يتقدّمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام وهو رأس زهريٌّ قمريٌّ أشبه الخلق برسول الله ولحيته كسواد السّبج (وهو حجر شديد السّواد) قد انتصل منها (أي خرج منها) الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرّمح تلعب بها يميناً وشمالاً فالتفتتْ زينب عليها السلام فرأتْ رأس أخيها عليه السلام فنطحَتْ جبينها بمقدَّم المحمل، حتى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها وأومأتْ إليه بخرقة وجعلَتْ تقول:

يا هلالاً لمّا استتمّ كمالاً غاله خسفه فأبدا غروبا[٣٨]

ودلالة الخبر واضحة على إباحة إدماء الرأس لفعل مولاتنا زينب عليها السلام ذلك لا سيّما وأنّ ذلك صدر بمرأى من الإمام زين العابدين عليه السلام ولم ينهها عن الإدماء مما يدلّ على الموافقة؛ لأنّ تقريره حجّة، مضافاًإلى أنّ فِعْلَ الصدّيقة زينب عليها السلام ذلك يُعتبر بنفسه حجّة لكونها المعصومة المطهَّرة العالِمة والفَهِمَة غير المفهَّمَة، فإذا ما كان عمل المتشرِّعة حجّة فبطريقٍ أولى يكون عملها حجّة شرعيّة حتى لو لم يكن هناك معصوم يقرِّر عملها، كيف؟! وهي وصيّة خمسة معصومين عليهم السلام، فمولاتنا زينب عليها السلام محدَّثة عليمة بضرورة المذْهَب والتحديث يستلزم العصمة الذاتية لا الإكتسابية، هي كأمها محدَّثة من قِبَل الله عزّ وجلّ.

(٢) ـ ذكر بعض المؤرِّخين أنّ مولاتنا الرّباب عليها السلام بنت إمرئ القيس زوجة مولانا الإمام الحسين عليه السلام وهي أمّ إبنته سكينة عليها السلام قد بقيَتْ سنة بعد شهادة الإمام

الحسين عليه السلام وما برحت عن البكاء والنحيب وعاهدت نفسها أن لا تستظلّ تحت ظلّ لما رأت جسم الإمام الحسين عليه السلام مطروحاً على الأرض ولا يمنعه شيء من أشعّة الشمس حتى بليت وماتت كمداً، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه(٣٩).

حقّ لها أنْ تستشهدكمداً وقد كان الإمام عليه السلام يحبّها هي وسكينة عليهما السلام حتى قال فيهما:

لعمرك إني لأحبّ داراً تحلّ بها سكينة والرّباب

أحبهما وأبذل جُلّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتاب

فما فعلته السيّدة رباب عليها السلام كافٍ في جواز الموت كمداً على الإمام عليه السلام، فبطريقٍ أولى يجوز الأدنى منه وهو الإدماء وغيره لا سيّما وأنه أيضاً لم يرد نهيٌ من المعصوم لها عن ذلك العمل؛ فتأمّلْ.

(٣) - ورود الأدلّة لجواز خمش الوجوه في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وخمش الوجوه يلازم الإدماء، فإذا جاز خمش الوجه، فقد جاز الإدماء. فقد جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام في موثقة سدير أنه قال: "...على مثل الحسين عليه السلام فلتُشَق الجيوب ولتُخْمَش الوجوه ولْتُلْطَم الخدود"(٤٠).

إشكالٌ وحلٌّ: لقد خلت المصادر الحديثية التي بين أيدينا من ضمّ جملة" ولتُخْمَشُ الوجوه"، من هنا حاول بعض البترين التشويش علينا بحجة خلو النصوص من هذه الفقرة...!!

ولكنَّ التحقيق أن يُقال: إن هذه الدعوى ساقطة من أساسها بوجهين هما ما يلي:

(**الوجه الأول**): إن العلامة الراحل السيِّد حسن الشيرازي رحمه الله ذكر الجملة المذكورة في كتابه " الشعائر الحسينية ص ١٤٣ من الطبعة الاولى ١٣٨٤ هجري" فيبدو أنه نقلها من مصدر مخطوط، ونحن نذكرها اعتماداً على ثقتنا بالعلامة الراحل من جهة، وبرجاء كونها صادرة من المعصوم من جهةٍ أُخرى، وأيُّ غضاضة بنقلها من مصدر لم نطلع عليه وقد عثر عليه العلامة الراحل من دون ذكر مصدره..؟! وهناك الكثير من النصوص الفقهية والعقائديَّة والتاريخية المتعلقة بظلامات أهل البيت صلوات الله عليهم ليس لها ذكرٌ في المصادر الحديثية التي بين أيدينا، وإنَّما عثر عليها الأكابر من المحدِّثين في مصادر أُخرى كانت مستورة عن عيون الكثيرين من الفقهاء والأعلام، فمصادرنا الحديثية ليست محصورة بالكتب الأربعة الفقهية وغيرها من الكتب العقائدية والتاريخية المشهورة، بل هناك العشرت، بل المئات من مصادر الحديث قد خُفيَتْ علينا بسبب عوامل التقية وإهمال القيّمين على الحوزات العلميَّة قديماً وحديثاً، فأدَّى ذلك إلى غيابها عنَّا قسراً، وقد نقّحنا الموضوع برمَّتِهِ في كتابنا القيِّم "إتحاف ذوي الاختصاص بالتحقيق في خبر مسلم الجصَّاص" وهو يتناول نطح مولاتنا المطهرة الحوراء زينب سلام الله عليها رأسها الشريف بمقدَّم المحمل، وقد وجد العلامة المحدّث حادثة النطح في كتابٍ معتبر.

(**الوجه الثاني**): لا غرابة في خمش الوجوه وقد جاء في النصوص نظيره بل وأعظم منه، حيث ورد أنّ مولاتنا المطهرة زينب سلام الله عليها قد نطحت رأسها بمقدّم المحمل، كما جاء في الأخبار أيضاً أن نسوة المدينة خَمَشْنَ وجوههن لما سمعوا بخبر شهادة الإمام الحسين عليه السلام ولم يُنقَل لنا ولو بخبر ضعيف أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام نهاهنّ عن ذلك، مما يقتضي الجواز لتقرير الإمام عليه السلام لذلك، وتقريره حجّة بالإجماع.

عودٌ على بدء:

تتميماً لما أشرنا إليه آنفاً نقول:لقد روى السيّد إبن طاووس في كتاب "اللهوف" أنّ بشير بن حذلم لما أخبر أهل المدينة بمقتل الإمام الحسين ورجوع الإمام زين العابدين عليه السلام: "فما بقيت في المدينة مخدَّرة ولا محجَّبة إلاّ برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن، مخمشةً وجوههن ضاربات خدودهن يدعونَّ بالويل والثبور..."(٤١).

وورد أيضاً أنّه لما خطبت مولاتنا زينب في أهل الكوفة، "ضجّ الناس بالبكاء والنحيب والنوح، ونشر النساء شعورهنّ وحثَيْنَ التّراب على رؤوسهِنَّ وخمشْنَ وجوههن ولطمْنَ خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرّجال ونتفوا لحاهم..."(٤٢).

ولا يخفى على اللبيب أنَّ في المدينة بعض الفاطميات الطاهرات أمثال مولاتنا فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام ومولاتنا أُمّ البنين وأُمّ سلمى عليهنَّ السلام، وهؤلاء النسوة صدّيقات وعملهنَّ حُجَّة شرعيَّة لا سيَّما مولاتنا الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسين ومولاتنا أم البنين عليهما السلام، وقد نقَّحنا الموضوع في الوجه الرابع من الفصل الثاني في كتابنا الجديد حول شعيرة التطبير" إتحاف ذوي الاختصاص بالتحقيق في خبر مسلم الجصَّاص" فلْيُراجع.

فإذا جاز خمشُ الوجوهِ ونتفُ اللحى وفيهما ما فيهما من الأذيّة لا سيّما نتف اللحى عند الرّجال إذ يلازم عادةً نزول الدّماء خلال نتف الشعر بقوّةٍ، جاز الإدماء بأيّ كيفيةٍ كانت.

مضافاً إلى ذلك: إن نتفَ اللحى يؤدّي إلى بشاعةِ منظر الرّجل، ومع هذا فقد جاز كلّ ذلك في سبيل سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام جزعاً وحُزْناً على فراقه.

إشكالٌ وحلّ:

إنْ قيل لنا: إنّ الأخبار المتقدّمة الدالة على جواز خمش الوجوه على مصاب الإمام المظلوم عليه السلام مُعارِضة للخبر المروي عن الإمام الحسين عليه السلام حينما ودّع عياله وأخواته وبناته فقال عليه السلام: "يا أختاه يا أمّ كلثوم وأنتِ يا زينب وأنتِ يا رقيّة وأنتِ يا فاطمة وأنتِ يا رباب أُنظرْنَ إذا أنا قُتِلْتُ فلا تشقُقْنَ عليَّ جيباً ولا تخمشْنَ عليَّ وجهاً ولا تقلْنَ عليَّ هجراً"(٤٣).

وبناءً على التعَارضِ المفروض، فلقد ادَّعى النافون لحلية التطبير بأنَّه لا بُدَّ من تقديم الخبر الناهي عن خمش الوجوه على الأخبار المثبتة لجواز الخمش.

والجواب بثلاثة وجوهٍ:

(الوجه الأول): إنّ خبر النهي عن شقّ الجيوب وخمش الوجوه لا يقاوم الأخبار الأخرى الدالّة على جواز الخمش، لكثرة تلك الأخبار وأرجحيتها على خبر النهي عن الخمش إذ هو خبرٌ واحدٌ لا يُعَوَّلُ عليه في مقابل الأخبار المتضافرة بل والموثقة كخبر سدير وغيره من الأخبار الدالة على ما هو أعظم من خمش الوجوه وهو القتل في سبيل زيارته والموت كمداً وحزناً على فراقه، فكلّ هذه الأمور قرائن تدعم الخبر الدال على جواز خمش الوجوه، ومعه كيف يمكن أنْ يترجح ذاك الخبر الشاذ على هذه القرائن الصريحة والأخبار الصحيحة؟!!!

(الوجه الثاني): يُحمل خبر النهي على فترة زمنيّة معيَّنة وهي بداية سبيهنّ حيث أنيط بهنّ حفظ العيال والأطفال والدّعوة إلى الله تعالى وإلى الإمام المظلوم عليه السلام، ومعلومٌ أنّ الدّعوة إلى ثورة الإمام عليه السلام تتنافى مع إظهار الجزع المتمثل بشقّ الجيوب

وخمش الوجوه، ولم يمنعهنّ الإمام (عليه السلام) من البكاء لكونه أرقى درجات تبليغ مظلوميّة الإمام الحسين (عليه السلام).

(**الوجه الثالث**): لم يُطلعنا النافون على الدليل القاطع المؤدي إلى طرح أخبار حلية الخمش..فلم نرَ سوى تبجحات مبنية على أقيسة واستحسانات..!!

إن مقتضى الصناعة الفقهية والأصولية هو أن يفتوا بكراهة خمش الوجوه جمعاً بين الأخبار المتعارضة ولا معنى لطرح الأخبار المجوّزة للخمش التي فاقت عدداً على خبر النهي عن خمش الوجوه على الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

الدّليل الرّابع
التطبير والضرب بالسلاسل هما من باب إظهار الجزع على الإمام الحسين المظلوم (عليه السلام)

إنّ التطبير والضرب بالسلاسل من باب إظهار الجزع على الإمام المظلوم (عليه السلام)، وقد وردت في شأن استحبابه أخبار صحيحة وموثقة كما سوف يأتيك، والجزع لغةً هو نقيض الصبر باتفاق معاجم اللغة، لذا فإنّ كلّ فعلٍ يصدر من صاحب المصيبة يُعبِّر به عن عدم تحمُّله وعن تأثُّره الشديد فهو مصداقٌ من مصاديق الجزع، وليس للجزع درجة محدَّدة حتى يُقال أنّ تخطّيها موجبٌ للحرمة دون ما سواها، وذلك لأنّ حقيقته هو الحزن بلا حدود ـ حسبما أشار اللغويون ـ فكيف يكون له حدٌّ معيَّن وخاصٌّ به؟! وما يجري في مراسم عاشوراء المقدَّسة من الضجيج والعجيج والصّراخ والبكاء مصحوباً بلطم الوجه وضرب الرّأس ولدم الصّدر وما شابه ذلك هو مصداق من مصاديق الجزع لغةً وعرفاً بل هو من المراتب الضعيفة للجزع على سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأمّا المرتبة

الأعلى والأشد فهي الإلقاء في الهلكة وتلف النفس سواء أكان التلف حاصلاً باختيار المكلّف أم كان بغير اختياره كمن لم يقصد إهلاك نفسه لكنّه لشدّة حزنه فَقَدَ توازنه فقتل نفسه، أو أنه ذهب إلى زيارة الإمام عليه السلام وهو يظن بنهاية حياته لو فعل لتربّص الظالمين به حسبما ورد في خبر إبن زائدة(*) ولما جرى على الشيعة من القتل في عهد الإمام الباقر من أجل زيارة جده، وإنْ كان الأولى الترك في عصرنا الحاضر ترجيحاً لنصرة الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام؛ فإنّ ذلك أنجع وأقرب للإمام الحسين عليه السلام وإلاّ ما معنى أنْ نقتل أنفسنا باختيارنا جزعاً على الإمام الحسين عليه السلام ونترك حفيده عليه السلام لا ناصر له ولا مُعين؛ فإنّ ذلك خلاف الاحتياط في زمن غيبة الإمام المعظَّم وليِّ العصر المهديّ الموعود عجّل الله تعالى فَرَجه الشريف.

الجزع على الإمام المعظَّم سيّد الشهداء سلام الله عليه مستحبٌ شرعاً

وعلى كلّ حال؛ فإنّ الجزع بكلّ مراتبه جائز بل مستحبٌّ على الإمام المظلوم عليه السلام ويشهد له الأخبار التالية:

*** الخبر الأوّل:**

ما رواه إبن قولويه القمّي في صحيحة قدامة بن زائدة عن أبيه عن إمامنا السّجاد عليه السلام قال: "...فإنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقُتل مَن كان معه من ولده واخوته وسائر أهله وحُمِلَتْ حُرَمُه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلتُ أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، **فكادت نفسي تخرج** وتبيّنتْ ذلك مني عمّتي زينب الكبرى بنت عليّ عليهما السلام فقالت: ما لي اراكَ **تجود بنفسكَ** يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟! فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع

(*) كامل الزيارات:٤٤٥ باب٨٨ وإنْ كان ظاهر الخبر علم إبن زائدة بالهلاك فتأمل.

وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرعين بدمائهم مرمَّلين بالعرى مسلَّبين.."(٤٤).

والفِقرات السّابقة في الخبر كقوله عليه السلام: "كادت نفسي تخرج" و"مالي أراكَ تجود بنفسكَ" و"كيف لا أجزع ولا أهلع" واضحة المعالم في لغة العرب، فمعنى "كادت نفسي تخرج" أي أوشكتُ على الموت أو الهلاك، ومعنى "أراكَ تجود بنفسكَ" أي كأني أراك في النفس الأخير وكأنّ الموت وشيكاً منكَ.

فالجزع والهلع لو لم يكن محبوباً ومستحبَّاً لَمَا فعله الإمام السجّاد عليه السلام إذ الإمام لا يفعل المباح في أكثر حالاته، ومجرّد كونه مباحاً لا يبرّر للإمام عليه السلام ما يفعله، فلا بدّ من القول باستحبابه؛ لأنّ المباح لا يتقدّم على الإستحباب، وهو على أقلّ تقدير حياة الإمام السجّاد عليه السلام بل المتيقن من الأدلّة وجوب المحافَظة على حياته، فيدور الأمر بين الواجب والمستحب، فيتقدّم الواجب على المستحب، لعلمه بأنّ الجزع المستحبّ لن يكون العلّةَ التامة في موته عليه السلام بل هو جزء علة، فيتعارض الواجب مع المستحب، فيُقَدَّمُ الواجبُ على المستحب لكونه أهمّ من المستحبّ.

وبالجملة؛ فإنّ قوله عليه السلام: "وكيف لا أجزع وأهلع" صريح في استحباب الجزع وأفضليته بل الهلع هو أفحش من الجزع في لغة العرب(٤٥)، من هنا صرّح الفقيه المحقِّق الشيخ خضر بن شلال(*) العفكاوي قدس سره في كتابه "أبواب الجنان" قائلاً: "الّذي يُستفاد من مجموع النّصوص ومنها الأخبار الواردة في زيارة الإمام الحسين المظلوم

(*) نقل الشيخ آغا يترك في الذريعة: بأنّ الشيخ خضر بن شلال رأى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام يعطيه قلماً، فلمّا استيقظ وجد القلم في يده، فألّف به كتابه المذكور "أبواب الجنان".

(عليه السلام) ولو مع الخوف على النفس بجواز اللطم والجزع على الإمام الحسين (عليه السلام) كيفما كان حتى لو عَلِمَ بأنه يموت في نفس الوقت"، ونحن نؤيده في هذه المسألة.

يتضح مما تقدّم أنّ الجزع على الإمام الحسين (عليه السلام) ذو مراتب متفاوتة شدّةً وضعفاً، أضعفها الصراخ والعويل والنحيب والبكاء المتواصل مع لدم الصدور ولطم الوجه وضرب الرّأس باليد وغيرها، وأقواها ما قد يؤدّي إلى هلاك النفس والإضرار الشديد بها، وبين الشدّة والضعف مراتب تقع في الحدّ الوسط بينهما، وما التطبير إلاّ مرتبة من هذه المراتب، إنْ لم يكن مرتبةً من المراتب الضعيفة المتقدِّمة، وإلاّ فأين يقع جزع التطبير من جزع إمامنا السجّاد (عليه السلام) حين يقول: "فكادت نفسي تخرج" وهو قولٌ يطابقُ الواقع مائةً في المائة ليس فيه أدنى حدّ من المبالَغة أو الموارَبة إذ هو قولُ مَن لا يُخطئ أبداً ﴿**إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى علَّمَه شديد القوى**﴾ ﴿**إنما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾. فقول المعصوم (عليه السلام) ليس فيه مبالَغة؛ لأنّ المبالَغة خلاف الواقع والحقيقة، وما كان خلاف الحقيقة فهو كذب يتنزه عنه التقي الورع فكيف بسيّد الأتقياء وإمام المؤمنين السجّاد بن الحسين بن عليّ (عليهم السلام)؟!!

وبالجملة؛ فإنّ التطبير حزناً وجزعاً على سيّد الشهداء (عليه السلام) ما هو إلاّ مرتبةً ومصداقاً من مصاديق الجزع على الإمام الحسين (عليه السلام) والّذي حكَمَتْ باستحبابه الشريعة على نحو التأكيد وندبت إليه أهلَ الإيمان كي يقتدوا بأئمتهم المعصومين (عليهم السلام) الّذين جزعوا حتى كادت نفوسهم أنْ تخرج لأجل الإمام الحسين (عليه السلام)، ويؤيّد ما ذكرنا ما ورد في دعاء النّدبة الشريف بقوله (عليه السلام) معلِّماً لنا كيف نناجيهم قال: "**فعلى الأطايب من أهل بيت محمّدٍ وعليٍّ فليبكِ الباكون، وإياهم فليندب النادبون،**

ولمثلهم فلتذرف الدّموع وليصرخ الصارخون ويضجّ الضاجّون ويعجّ العاجّون، أين الحسن اين الحسين أين أبناء الحسين...".

فالضجُّ والعَجُّ أي الصَّخَبُ ورفع الصوت بشدّة أو كثرة الغبار من شدّة الحركة، والمعنى أين الّذين يندبون ويذرفون الدّموع مع الصّراخ والصّخب وشدّة رفع الصوت بالبكاء.

وعليه فإنّ التطبير مصداق من مصاديق العَجِّ والضجِّ أيضاً، وكذا هو مصداق من مصاديق إحياء الأمر من جهة كونه سبباً قوياً من أسباب الإبكاء الّذي أكّدَتْ عليه الأخبار المقدَّسة.

*** الخبر الثاني:**

ما دلّ من الأخبار من أنّ زوجة الإمام الحسين عليه السلام مولاتنا الرّباب عليها السلام وابنته مولاتنا رقيّة عليها السلام، وكذا مولاتنا زينب عليها السلام وأختها أمّ كلثوم عليها السلام، كلُّهن(*) مِتْنَ كَمَدَاً وحزناً على الإمام الحسين عليه السلام، فإذا جاز الموت كَمَدَاً وحسرةً ـ وهما سببان قويان في

(*) أما وفاة السيّدة رباب صلوات الله عليها، فقد اتفق عامّة المؤرخين على أنها ماتت كمداً وحزناً على زوجها الإمام الحسين عليه السلام، وأما السيّدة رقيّة فقد توفت على رأس أبيها وفمها على فمه الشريف لما أحضروه لها وهو على طشت من ذهب، وكان لها من العمر أربع سنين، وقيل خمس سنين، وقيل سبع سنين، وأمها شاه زنان بنت كسرى خرجت مع أبيها الإمام الحسين عليه السلام من المدينة حين خرج إلى

كربلاء حسبما جاء في معالي السبطين:٢/٢١٤ ونفس المهموم:٤٥٦ نقلاً عن البهائي، وقال الحائري في معالي السبطين: إنّ رقيّة توفيت بالشام. وأما مولاتنا زينب عليها السلام فلا يختلف اثنان على أنّ سبب موتها كان حزناً وكمداً على أخيها عليه السلام، وكذا أختها أمّ كلثوم عليها السلام فقد توفيت حزناً على أخيها عليه السلام بعد شهادته بأربعة أشهر.

تعجيل المنيّة والهلاك ـ جاز بطريقٍ أَوْلَى الأخفّ منه والّذي لا يسبِّبُ الموتَ قطعاً وهو التطبير والضرب بالسلاسل.

إشكالٌ عويصٌ وحلٌّ:

إنْ قيل لنا: إنّ ما جرى على أولئك الفاضلات أمثال مولاتنا زينب وأمّ كلثوم ورقيّة والرّباب عليهنّ السَّلام، لم يكن أمراً إختياريّاً أي أنّ ما أصابهنّ من الحزن والأسى المستلزم للهلاك أو الموت لم يكن باختيارهنّ، بخلاف التطبير المؤدّي إلى الموت و الهلاك أو الضرر البالغ؛ فإنه أمرٌ إختياريٌّ قابلٌ للترك، فقياس إحدى القضيّتين على الأخرى مع وجود فارق.

قلنا: صحيح أنّ مقدِّمات التطبير إختياريّة لكنّ الموت الحاصل أو أقلّ منه كالضرر البليغ ـ على فرض حصولهما وإنْ كنّا لم نرَ ولم نسمع أنّ أحداً تضرّر أو مات من جرّاء ذلك ـ أمرٌ غير اختياري بمعنى أنّ المطبِّر المبالِغ في تطبيره لم يقصد بذلك إهلاكَ نفسِه وإنما يحصل حصل الهلاك بالعَرَض، وحصوله بالعرض لا يسوّغ تحريمه مطلَقاً، مع التأكيد على أنّ مقدّماته الإختياريّة مباحةٌ حسبما أشرنا سابقاً، فإذا ما كانت كذلك فلِمَ تكون النتيجة حراماً ما دام لا يوجد دليل قاطع يدلّ على حرمة التطبير بكلّ مقدّماته ونتائجه، بل العكس، فقد دلّت الأدلّة ـ حسبما أسلفنا ـ على حليته بل واستحبابه ومطلوبيته.

مضافاً إلى ذلك أنّ أولئك النسوة الفاضلات الشريفات كان بإمكانهنّ الصّبر على المصيبة بعدم التفكر بها لئلاّ يؤدي ذلك إلى هياج عواطفهنّ المستلزِم لكثرة الهمّ والغمّ المؤديان إلى الموت والهلاك، باعتبار أنهن قد وصلن إلى مقامات شامخة في المعرفة واليقين والورع والتقوى؛ بل إنهنّ من أهل بيتٍ ليس لهنّ نظير، وعليه فيكون الصبر من المقدمات الإختياريّة تماماً كالتطبير، فيتساوون جميعاً من هذه الحيثيّة، فلمّا لم يَصْبِرْنَ

على فراق الإمام الحسين عليه السلام دلّ ذلك على محبوبيّة الجزع المؤدّي إلى الموت والهلاك، وقس عليها قضيّة النبي يعقوب والنبيّ شعيب ومولاتنا الصدّيقة سيّدة النساء، وكذا مولانا الإمام السّجاد والحجّة المنتظر عليهم السلام؛ فإنّ ما جرى عليهم من النتائج المرّة بسبب مقدّمات الحزن والأسى ما لا يخفى على متفقه عدا عن فقيه، وكان بإمكانهم الصبر على تلك المقدّمات تسليماً لأمر الله تعالى، ولما لم يصبروا دلّ ذلك على أنّ الجزع مطلوبٌ شرعاً، إذ لو لم يكن مطلوباً ما فعله بعض الأولياء العظام أمثال سيّدة العالَم فاطمة عليها السلام وابنتها الصدّيقة زينب عليها السلام وحفيدها الإمام زين العابدين عليه السلام وأخته رقيّة عليها السلام وغيرهم، بل إظهار الجزع لا يخالف مفهوم الصبر ما دام غير مقترنٍ بما لا يتوافق مع إرادة الله تعالى وبعدم التسليم لأمره عزّ وجلّ، وأين هذا من بكاء وجزع هؤلاء الأماجد الاكارم عليهم السلام؟!!

*** الخبر الثالث:**

جاء في خبر بل أخبار عديدة مؤكِّدة للآيات التي دلّت على إظهار النبيّ يعقوب عليه السلام جزعه وهلعه على ابنه يوسف عليه السلام، حتى أدّى جزعه عليه إلى ابيضاض عينيه (أي فقدانه لبصره).

ومضافاً إلى ذلك فقد ابيضّ شعره وتقوّس ظهره وأسرع إليه الهرم حتى قال عنه مولانا الإمام الصادق عليه السلام حين سألوه عمّا بلغ من حزن يعقوب على يوسف عليهما السلام؟ قال عليه السلام: حزن سبعين ثكلى حرّى[٤٦].

وكان ذلك منه مع علمه بحياة ولده، ومع هذا فقد قضى نبيّ الله يعقوب عليه السلام سنينه في الحزن العظيم والجزع الشديد حتى ألحقه بذلك ضررٌ عظيم وهو فقدان البصر

الّذي هو أعزّ شيء في وجه الإنسان، والبصر نعمة لا تُقَدَّر بمال لما لها من أهميّة على الصعيد النفسي والدنيوي، ولو لم يكن الجزع على يعقوب عليه السلام من القربات إلى الله تعالى لَمَا فعله النبي يعقوب عليه السلام ولَمَا قرره المولى عزّ وجلّ في عدّة آيات في القرآن الشريف، فإذا جاز لنبيّ الله يعقوب عليه السلام أنْ يلحق الضرر بجسمه لغياب إبنه الحي، فهل يجوز حينئذٍ إتهام المطبرين حزناً وجزعاً على الإمام الحسين عليه السلام بأنهم يأتون ببدعةٍ ويرتكبون حراماً، بعد أنْ تبيّن لدى القاصي والداني أنّ أحداً لم يتضرّر بالتطبير ولا أننا سمعنا أحداً مات بسبب ذلك، وإنْ وُجِد فهو مما لا يُعتَدُّ به، وأين يقع ضرر التطبير على فرض وجوده من ضرر العمى وفقدان البصر؟!

فلمّا جاز هذا لنبيّ الله يعقوب عليه السلام القدوة الحسنة جاز للمطبرين الشرفاء الأبطال بالأولويّة؛ لأنّ التطبير من أجل الإمام الشهيد المظلوم عليه السلام يدخل ضمن حيثيّات وجهات تميّزه عن حيثيّة جزع وحزن النبيّ يعقوب عليه السلام على إبنه يوسف عليه السلام.

الحيثيات التي تميّز جزع المطبِّر عن غيره:

إن ما يميّز المؤمن الحسيني عن غيره من أقرانه بصفات إيمانية عالية وإخلاصٍ منقطع النظير في اعتقاداته الحقَّة ومسلكه الصحيح ومنطقه القويم الحكيم، كما تحيط به حيثيات تؤكد إيمانه الصحيح، وهذه الحيثيّات هي التالي:

(الحيثيّة الأولى): عظيم منزلة الإمام الحسين عليه السلام عند الله تعالى فلا يُقاس به أحد من الناس لا نبيٌّ مقرَّب ولا رسولٌ صاحب شريعة، إذ هو أفضل من الأنبياء والمرسَلين حسبما جاء في الأدلّة القاطعة من الكتاب الكريم والسُّنّة المطَهَّرة، ففرقٌ بين يوسف عليه السلام وسيّد الشهداء عليه السلام، إذ إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو نفس النبي محمّد صلى الله عليه وآله لقوله صلى الله عليه وآله: **"حسينٌ منّي وأنا من حسين"**، فالإمام الحسين عليه السلام هو نفس

المبعوث رحمةً للعالَمين صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وما أرسلناكَ إلاّ رحمةً للعالَمين**﴾ ويوسف ويعقوب عليهما السلام وكلّ الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام من ضمن العالَمين.

(**الحيثيّة الثانية**): لا يمكن قياس ما جرى على الصدّيق يوسف عليه السلام وبين ما جرى على غريب الطفوف عليه السلام، إذ لا يمكن لأيّه رزيّة في عالَم التكوين أنْ تعادل أو تشبه رزيّة ومصيبة الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام إذ هي فرد لا شريكَ لها على الإطلاق.

(**الحيثيّة الثالثة**): يوجد فَرْقٌ كبيرٌ جدّاً بين ملابسات القضيّتين وآثارهما، فكيف يُقاس بين قضيّة عائليّة محدودة، جوهرها التحاسد بين إخوةٍ لأبٍ واحدٍ في بيتٍ واحدٍ وعائلةٍ واحدةٍ، وبين قضيّةٍ هزّت مشاعر كلّ نبيٍّ قبل أنْ يولد صاحبها، وبكاه كلُّ إنسانٍ حرٍّ وبالأخصّ الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام.

هذه القضيّة الخالدة بكلّ أبعادها وظروفها، بكلِّ أهدافها وآلامها وآمالها وتضحياتها، ومآسيها الجسام القاسية، دوّخت العقول عبر الأجيال والعصور(٤٧).

وصفوة القول:

إذا كان البكاء والجزع على فراق يوسف عليه السلام أطفئا نور بصر يعقوب عليه السلام وهو ضرر متيقن أجازنه الشريعة المقدَّسة لِمَا فيه من سموِّ هدفٍ وجليلِ نفعٍ وجزيلِ فائدةٍ مثمرةٍ، فكيف الحال ببكاء وجزع يستلزم عادةً ضرب الرّؤوس بالقامات والسيوف، وضرب الظهور والصدور بالسلاسل والكفوف مع أنّ مستلزمات الجزع على الإمام عليه السلام ليس فيها أيُّ ضررٍ واقعيّ أصلاً، وما يُشاع من الضرر والإضرار هو مجرّد وهمٍ وسرابٍ لا حقيقة له، والتجربة الطويلة لمواكب التطبير في أصقاع بلادنا الشيعيّة كإيران وباكستان والهند وتركيا والعراق ولبنان والشام وغيرهم من البلدان، تشهد بزيف الدّعوى

المزبورة، وعليه؛ فإذا جاز إلحاق الضرر بالنفس حزناً وجزعاً على يوسف (عليه السلام) بحسب ما جاء في قصّة يعقوب ويوسف (عليهما السلام)، فكيف سيكون القول في مسألة التطبير الحسيني الذي لا ضرر ولا إضرار فيه على النفس إذاً؟ فعلام يشوّش هؤلاء الغوغائيّون من بعض أهل العلم على مواكب التطبير، ﴿**قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون**﴾ (يونس/٥٩)؟!! وهؤلاء كإخوة يوسف إذ قالوا لأبيهم ﴿**قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسفَ حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين، قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾ (يوسف/٨٥ ـ ٨٦).

وأقول مؤكِّداً بأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) منارةً تضيء للناس جميعاً حتى للأنبياء والمرسَلين (عليهم السلام) [أشهد أنّكَ كنتَ نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهَّرة][*]، [وأشهد أنّ دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلّة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يُرى وما لا يُرى][٤٨] وأشهد أنّ في قتلك [انتُهِكَتْ حرمة الإسلام] فليس عجيباً أنْ تُدمى الرّؤوس والصدورُ والظهور بل وتهلك النفوس جزعاً عليه، كما ليس من الغريب على القدرة الإلهيّة التي جعلت من قميص يوسف (عليه السلام) سبباً لردّ بصر أبيه يعقوب (عليه السلام) أنْ تجعل من تراب الغاضريّة الذي سُفِكَ عليه دم سيّد

---

[*] فلم يكن نوراً دون أنْ يترتب على هذا النور غاية وهدف، فالغاية من وجود النور في الأصلاب الشامخة هي تسديد تلك الأصلاب الطاهرة وتقويمها؛ لأنّ الصلب هو العامود الفقري للإنسان، الّذي لولاه لَمَا استقام جسم الإنسان، والمواد الداخليّة هي الجزء المقوِّم للعامود، وكلما كان الجزء نورانياً وقوياً كلما استقام وقوي، فكيف إذا كانت هذه الأجزاء هي نور الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين؟!!

الشهداء (عليه السلام) أبيّ الضيم وأهل بيته وصحبه الأوفياء (عليهم السلام)، شفاءً من كلّ داء، فإذا شفى قميص يوسف شخصاً واحداً؛ فإنّ قميصُ الإمام الحسين (عليه السلام) الّذي هو تراب الغاضريّة شفى الملايين ولا يزال يشفي، فيردّ البصر والبصيرة، ويجلي العقول والنفوس والأفئدة، ويرفع بالنفس الإنسانيّة إلى أوج الكمال والعظمة، فكيف يقاس ــ إذن ــ عظيمٌ كهذا بأدون منه باتفاق الأدلّة؟!! كلا، وربّ محمّد وعليّ وفاطمة والأئمّة (عليهم السلام)، كلا، وربّ خالق الحسين ومربّي الحسين وحبيب الحسين!!!

دعوى وردّ:

إدّعى فقيهٌ ـ كما يزعمون ـ بأنّ الأضرار التي تعرّض لها النبيّ يعقوب (عليه السلام) كبياض البصر لم تكن عن سابق قصدٍ وعِلمٍ بل حصلت فجأةً، بخلاف الأضرار الناتجة عن التطبير فإنها عن سابق تصميم وعلم، لذا جاز للأول دون الثاني.

هذه الدعوى فاسدة وباطلة بوجهين:

(**الوجه الأول**): حتى لو كان الضرر حاصلاً للمطبِّر فليس ثمّة دليلٌ قطعيٌّ يمنع من ذلك، وبالغضّ عن كلّ هذا فهل استقرأ هذا الفقيه كلَّ حالاتِ المطبرين حتى حصل على علمٍ منهم بأنهم يقصدون الإضرار بأنفسهم؟ فقد خلط المشكِّك بين الصغرى والكبرى فجعل التطبير مضرّاً، مع أنّ التطبير ليس فيه شيء من الضرر، وعلى فرض وجود ضرر إلاّ أنه خارج تخصُّصاً عن الضرر المحرَّم، وعلى فرض أنهم قصدوا ذلك إلاّ إننا لم نشاهد أحداً منهم تضرر أو مات من جرّاء التطبير؛ لأنّ عنوان الضرر فيه قيد الإتلاف، ولا إتلاف من جرّاء التطبير، وعلى فرض حصول تلف عند فرد فلا يكون ـ حينئذٍ ـ مناطاً لقاعدة عامّة يسري حكمها على كافة المطبِّرين.

هذا بناءً على الرأي السائد القائل بأنّ التطبير المضرّ حرامٌ، لكنْ بناءً على الرّأي الآخر القائل بالحليّة والجواز بل الإستحباب لكونه من مصاديق الجزع المستحب وإحياء الأمر فلا إشكال في البين وهو الأظهر.

(**الوجه الثاني**): دعوى أنّ يعقوب عليه السلام لم يكن قاصداً الإضرار بنفسه، بحاجةٍ إلى دليلٍ قطعيٍّ كان يجب أنْ يقدّمه لنا ذاك الفقيه حتى نقتنع به، بل العكس هو الصحيح، إذ إنّ المتدبّر بآيات الكتاب الكريم لا سيّما سورة يوسف يرى أنّ قوله تعالى حاكياً عن أولاد يوسف مع أبيهم بقولهم له ﴿**تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين**﴾ حيث كانوا يرون بأمّ أعينهم أيَّ ضررٍ وألمٍ يُلحقه بنفسه بسبب شوقه وحزنه وجزعه على ولده يوسف عليه السلام. فدعوى أنّ يعقوب عليه السلام لم يكن يقصد الضرر دونها خرط القتاد!!!

*** الخبر الرّابع:**

ما ورد في خطبة شريفةٍ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية لعنه الله، ومما قال عليه السلام: [أمّا بعد؛ فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباسُ التقوى، ودرعُ الله الحصينة وجُنّتُه الوثيقة، فمَن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذُّلِّ...إلى أنْ قال عليه السلام: وهذا أخو غامدٍ وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهِدة، فينتزع حِجْلَها وقُلْبَها وقلائدَها ورُعثَها ما تمتنعُ منه إلاّ بالإسترجاع والإسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ ولا أُريق لهم دمٌ، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً...][٤٩].

التدبر في كلام الإمام عليه السلام، إمام الكلام، واضح الدلالة، إذ هو عليه السلام لا يلوم مسلماً مات حزناً أو أسفاً على امرأة معاهِدة سوآء أكانت يهوديّة أم نصرانيّة سُلِبَتْ حليّها و قلائدها وهي كافرة به عليه السلام وبرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، فكيف بمَن مات حزناً وأسفاً على مولاه الإمام الحسين عليه السلام أو أنه ضرب رأسه بشيء صلبٍ جزعاً وأسوةً بالإمام عليه السلام، فهل يا تُرى يكون ملوماً عند الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد فعله المؤمن حبّاً له ولإبنه الإمام الحسين عليه السلام؟! حاشا وكلاّ أنْ يتساوى المؤمن والمعاهِد الكافر عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الّذي يدور الحقّ معه حيثما دار، فإذا جاز الموت أسفاً من أجل إمرأة كافرة؛ فإنّ جرح الرّأس ومستلزماته يكون جائزاً بطريقٍ أَوْلَى لعدم استلزامه الموت، بل ولو استلزم الموت يكون جائزاً أيضاً؛ ما دام المطبِّر يقصد وجه الله تعالى بتعظيم حججه الطاهرين، ومَن يعظّم شعائر الله؛ فإنها من تقوى القلوب؟

ملاحظة هامّة:

إنّ تأسّف أمير المؤمنين عليه السلام على المرأة المعاهدة ليس لكونها معاهدة لاستلزامه التأسف(*) على كافرة وقد قامت الأدلة القرآنية والنبوية على حرمته، وحاشا للإمام عليه السلام أنْ يفعله، بل التأسف عليها لأنها ظُلِمَت، فالتأسف وقع على المظلوميّة بما هي هي لا بمن تتصف بها، مضافاً إلى أنّ الذمية المعاهدة تحت رعاية وحماية المسلمين، فلمّا قصّروا عن حمايتهنّ استلزم أن يتأسف الإمام عليه السلام على ما أصابهنَّ فكأنّ ما أصابهنّ أصابه وسائر المسلمات.

(*) التأسف هو التلهف أي الحزن والتحسُّر، وهما من لوازم الرّقة والرّحمة مع أنّ الكافر لا يستحقها بسبب كفره بالله تعالى وبما جاء به رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

❋ الخبر الخامس:

ما ورد في الخبر المستفيض بل المتضافر من استحباب زيارة الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) مع الخوف على النفس ووجود المخاطر العظيمة المؤدية إلى الموت، وهنا نستعرض عدةَ أخبار تشير إلى ذلك منها:

(١): صحيحة أبي سعيد القاضي قال: دخلتُ على أبي عبد الله (عليه السلام) في غريفة له ـ تصغير غرفة ـ وعنده مرازم، فسمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: مَن أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكلّ قدمٍ يرفعُها ويضعُها عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومَن أتاه في سفينة فكفأت ـ أي انقلبَتْ ـ بهم سفينتهم، نادى منادٍ من السماء: طبتم وطابت لكم الجنّة[٥٠].

(٢): وفي صحيحة عبد الله بن النجار قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): تزورون الحسين (عليه السلام) وتركبون السفن؟ فقلتُ: نعم، قال (عليه السلام): أَما علِمْتَ أنها إذا انكفأَتْ ـ أي قُلِبَتْ على وجهها ـ بكم نوديتم: ألا طبتم وطابت لكم الجنّة[٥١].

هذان الخبران الشريفان يدلاّن على جواز بل واستحباب الزيارة حتى ولو أدّتْ إلى الهلاك؛ لأنّ العادة جرت في تلك الأزمنة أنْ تنكفئ السفن بأهلها لعدم تمكّن صانعيها يومذاك من إتقان صنع السفن بحيث تكون قادرةً على تحمل الرّياح العاتية والأمواج المتلاطمة، فكان ركوبها فيه شيء من إحتمال الضرر بل مظنونه، ومع هذا فقد أجاز مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) تحمّل ذلك الضرر المعتد به عند العقلاء في سبيل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، ويشهد لِمَا قلنا، ما ورد عن بعضهم أنه قال: قيل للإمام الصادق (عليه السلام): يابن رسول الله، إنّ بيننا وبين قبر جدّك الحسين (عليه السلام) لبحراً، وربّما انكفأتْ بنا السفينة (أي من المحتمل أنْ تنقلب بنا السفينة) في البحر؟ فقال

عليه السلام: لا بأس؛ فإنها إنْ انكفأَتْ، إنكفأَتْ في الجنة. فإذا أجاز الإمام الصادق عليه السلام سلوك طريق الخطر المؤدي إلى هلاك النفس في سبيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، جاز لنا بطريق أولى التطبير الّذي لا يصل بمستواه إلى حدّ الضرر البالغ فضلاً عن الهلاك، فيكون فعله جائزاً بل مستحباً بطريق أولى.

(٣): عقد الثقة الجليل الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمي باباً خاصاً في ثواب مَن زار الإمام الحسين عليه السلام على خوف من سلطان الزمان، منها:

(١) ما جاء في صحيحة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوفٍ؟ قال عليه السلام: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وتلقّاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الّذي فيه فوزك(٥٢).

(٢) وفي صحيحة إبن بكير عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام، سأله إبن بكير فقال: إني أنزل الأرّجان ــ مدينة من بلاد فارس ــ وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجتُ، فقلبي وجلٌ مشفِقٌ حتى أرجع خوفاً من السلطان والسُّعاة وأصحاب المسالح(*) فقال عليه السلام: يا ابن بكير أما تحب أنْ يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنّه مَن خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه، وكان محدِّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمَنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإنْ فزع وقرَتْه(*) الملائكة وسكَّنَتْ قلبه بالبشارة(٥٣).

(٣) وفي صحيحة معاوية بن وهب عن مولانا الصادق عليه السلام قال: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوفٍ؛ فإنّ مَن تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أنّ قبره كان

(*) جمع مسلحة وهي الثغور التي يرتب فيها أصحاب السلاح.

(*) وقرته: حدّثته الملائكة.

عنده، أمَا تحبّ أنْ يرى اللهُ شخصَك وسوادَك فيمن يدعو له رسول الله وعليٌّ و فاطمة والأئمّة (عليهم السلام)؟ أمَا تحبّ أنْ تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة؟ أمَا تحبّ أ نْ تكون ممّن يخرج من الدّنيا وليس عليه ذنب يتبع به؟ أمَا تحبّ أنْ تكون غداً ممن يصافحه رسول الله؟(٥٤).

(٤) وفي الصحيح عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم قال: حدثنا مدلج، عن محمد بن مسلم قال: خرجت إلى المدينة وأنا وجع فقيل له: محمد بن مسلم وجع، فأرسل إليَّ أبو جعفر (عليه السلام) شراباً مع غلام مغطى بمنديل فناولنيه الغلام، وقال لي: إشربه فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه فتناولته فإذا رائحة المسك منه وإذا بشراب طيب الطعم باردٍ فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك مولاي: إذا شربته فتعال، ففكرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلمّا استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوّت بي: صح الجسم أدخل.

فدخلت عليه وأنا باكٍ، فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه، فقال لي: وما يبكيك يا محمد؟، قلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي وبُعْد الشقة وقلة القدرة على المقام عندك أنظر إليك، فقال لي: أما قلة القدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا وجعل البلاء إليهم سريعاً، وأما ما ذكرت من الغربة فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله، وأما ما ذكرت من بُعد الشقة فلك بأبي عبد الله (عليه السلام) أسوة بأرضٍ نائيةٍ عنا بالفرات، وأما ما ذكرتَ من حبّكَ قربنا والنظر إلينا وأنك لا تقدر على ذلك فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه.

ثم قال لي: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم، على خوفٍ ووجلٍ، فقال: ما كان في هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومَن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين وانصرف بالمغفرة وسلمت عليه الملائكة وزاره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يصنع، ودعا له، وانقلب بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله.

ثم قال لي: كيف وجدت الشراب؟ فقلت: أشهد أنكم أهل بيت الرحمة وأنك وصي الأوصياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدر على أن أستقل على قدمي، ولقد كنت آيساً من نفسي، فناولني الشراب فشربته، فما وجدت مثل ريحه ولا أطيب من ذوقه ولا طعمه ولا أبرد منه، فلما شربته قال لي الغلام: إنه أمرني أن أقول لك إذا شربته فأقبِل إليَّ وقد علمتَ شدّةَ ما بي، فقلت: لأذهبنَّ إليه ولو ذهبت نفسي، فأقبلت إليك فكأني نشطت من عقال، فالحمد لله الذي جعلكم رحمة لشيعتكم، فقال: يا محمد إن الشراب الذي شربته فيه من طين قبر الحسين عليه السلام، وهو أفضل ما استشفي به، فلا نعدل به، فإنّا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى فيه كل خيرٍ، فقلت له: جُعِلْتُ فداك إنّا لنأخذ منه ونستشفي به، فقال: يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمرَّ بأحدٍ من الجنّ به عاهة ولا دابة ولا شيء فيه آفة إلا شمَّهُ فتَذهَب بركته فيصير بركته لغيره وهذا الذي يتعالج به ليس هكذا، ولولا ما ذكرت لك ما يمسح به شيء ولا شرب منه شيء إلا أفاق من ساعته وما هو إلا كالحجر الأسود أتاه صاحب العاهات والكفر والجاهلية وكان لا يتمسح به أحد إلا أفاق وكان كأبيض ياقوتة فاسْوَدّ حتى صار إلى ما رأيت، فقلت: جُعِلْتُ فداك وكيف أصنع به؟ فقال عليه السلام: تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك تستخف به فتطرحه في خرجك وفي أشياء دنسة فيذهب ما فيه مما تريده له، فقلت: صدقت جعلت فداك، قال عليه السلام: ليس يأخذه

أحدٌ إلا وهو جاهلٌ بأخذه ولا يكاد يسلم بالناس، فقلت: جعلت فداك وكيف لي أن آخذه كما تأخذه؟ فقال لي عليه السلام: أعطيك منه شيئاً فقلت: نعم، قال عليه السلام: إذا أخذته فكيف تصنع به؟ فقلت: أذهب به معي، فقال عليه السلام: في أي شيءٍ تجعله؟ فقلت: في ثيابي، قال عليه السلام: فقد رجعت إلى ما كنت تصنع، إشْرَبْ عندنا منه حاجتك ولا تحمله؛ فإنه لا يسلم لك، فسقاني منه مرتين فما أعلم أني وجدت شيئاً مما كنت أجد حتى انصرفت(٥٥).

(٥) وفي الصحيح أيضاً عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال: حدثني أبو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري قال: حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال: حدثنا محمد بن سلام بن يسار [سيار] الكوفي قال: حدثني أحمد بن محمد الواسطي قال: حدثني عيسى بن أبي شيبة القاضي قال: حدثني نوح بن دراج قال: حدثني قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنكَ تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً، فقلت: إن ذلك لَكَمَا بلَغَكَ، فقال لي عليه السلام: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذِكْرِ فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله **ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه،** فقال عليه السلام: والله إن ذلك لكذلك، فقلت: والله إن ذلك لكذلك يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً فقال: أبشِر ثم أبشِر ثم أبشِر فلأخبرنك بخبرٍ كان عندي في النخب المخزون؛ فإنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقُتِلَ أبي عليه السلام وقُتِلَ مَن كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله وحُمِلَتْ حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فعَظُمَ ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي **فكادت نفسي**

تخرج وتبيَّنَتْ ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليها السلام فقالت عليها السلام: **ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟** فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرَّجين بدمائهم، مرمَّلين بالعري مسلَّبين لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشرٌ كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت عليها السلام: لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله الميثاق أناسٌ من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرَّجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يُدْرَسُ أثره ولا يعفو رسْمُهُ على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت عليها السلام: نعم، حدثتني أم أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زار منزل فاطمة عليها السلام في يومٍ من الأيام فعملت له حريرة وأتاه علي عليه السلام بطبقٍ فيه تمر ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعسٍّ فيه لبن وزبد فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده وعليٌّ عليه السلام يصب عليه الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا به السرور في وجهه ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم وجَّهَ وجهَهُ نحو القِبلة وبسط يديه ودعا ثم خر ساجداً وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر فحزنت فاطمة وعليٌّ و الحسن والحسين عليهم السلام وحزِنْتُ معهم لِمَا رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهبناه أن نسأله حتى إذا

طال ذلك قال له علي عليه السلام وقالت له فاطمة عليها السلام: ما يبكيك يا رسول الله؟ لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك، فقال: يا أخي سرِرْتُ بكم وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه هاهنا فقال: يا حبيبي إني سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته فيكم، إذ هبط عَلَيَّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهنّأَكَ العطية بأنْ جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرِّقْ بينكَ وبينهم، يحبون كما تحب ويعطون كما تعطي، حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناسٍ ينتحلون ملتكَ ويزعمون أنهم من أمَّتِكَ، براءٌ من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائيةً قبورهم، خيرةً من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عز وجل على خيرته وارضَ بقضائه، فحمدْتُ اللهَ ورضِيْتُ بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمد إن أخاك مضطهَدٌ بعدك، مغلوبٌ على أمتك، متعوبٌ من أعدائكَ، ثم مقتولٌ بعدكَ يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية، يكون نظير عاقر الناقة ببلدٍ تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم.

وإن سبطكَ هذا وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام مقتولٌ في عصابةٍ من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرضٍ يقال لها كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض، وأعظمها حرمةً، وأنها من بطحاء الجنة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يُقتَل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة؛ تزعزعت الأرض

من أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك ولشرِّ ما تُكَافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيءٌ من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين؛ الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومَن فيهن إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذبنَّ مَن وتر رسولي وصفيّي وانتهكَ حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعْنِ مَن ظَلَمَ عترتك واستحل حرمتك، فإذا برزَتْ تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قَبْضَ أرواحِها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب وصلَّتْ الملائكة صفاً صفاً عليهم، ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقولٍ ولا فعلٍ ولا نيةٍ فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء عليه السلام بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز وتحفُّه ملائكةٌ من كلِّ سماءٍ مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لمن زاره ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: هذا زائر قبر خير الشهداء عليه السلام وابن خير الأنبياء عليهم السلام، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم ويُعْرَفُونَ به، وكأني بك يا محمد بيني

وبين ميكائيل وعليٌّ امامنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحْصَى عددُهم ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عزّ وجلّ، **وسيجتهد أناس ممن حقَّتْ عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رَسْمَ ذلك القبر ويمحوا أثرَه، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً** ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فهذا أبكاني وأحزنني، قالت زينب عليها السلام: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيتُ عليه أثر الموت منه قلت له: يا أبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك فقال عليه السلام: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بكِ وبنساءٍ أهلك سبايا بهذا البلد أذِلاّء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهرِ الأرض يومئذٍ وليٌّ غيركم وغير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته فيقول: يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناجٍ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر قال زائدة: ثم قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً(٥٦).

(٦) وفي صحيحة هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ قال: أتاه رجل فقال له: يا ابن رسول الله هل يُزَارُ والدك؟ قال: فقال عليه السلام: نعم، ويُصَلَّى عنده، وقال عليه السلام: يُصَلَّى خلفه ولا يُتَقَدَّم عليه.

قال: فما لمن أتاه؟

قال عليه السلام: الجنّة إن كان يأتمّ به.

قال: فما لمن تركه رغبةً عنه؟

قال عليه السلام: الحسرة يوم الحسرة.

قال: فما لمن أقام عنده؟.

قال عليه السلام: كل يوم بألف شهر.

قال: فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟

قال عليه السلام: درهم بألف درهم.

قال: فما لمن مات في سفره إليه؟

قال عليه السلام: تشيّعه الملائكة وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنّة، وتصلي عليه إذ كُفِّن وتكفِّنُه فوق أكفانه، وتفرش له الريحان تحته، وتدفع الأرض حتى تصور من بين يديه مسيرة ثلاثة أميال ومن خلفه مثل ذلك وعند رأسه مثل ذلك وعند رجليه مثل ذلك، ويُفتَح له باب من الجنَّة إلى قبره، ويدخل عليه روحها وريحانها حتى تقوم الساعة.

قلت: فما لمن صلى عنده؟

قال عليه السلام: مَن صلى عنده ركعتين لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه.

قلت: فما لمن اغتسل من ماء الفرات ثم أتاه؟.

قال عليه السلام: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه.

قال: قلت: فما لمن يجهز إليه ولم يخرج لعلة تصيبه؟

قال عليه السلام: يعطيه الله بكل درهمٍ أنفقه مثل أُحُد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفقه ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل ليصيبه، ويدفع عنه، ويحفظ في ماله.

قال: قلت: فما لمن قتل عنده، جار عليه سلطان فقتله؟

قال عليه السلام: أول قطرة من دمه يُغْفَرُ له بها كلّ خطيئةٍ، وتَغْسِلُ طينته التي خُلِقَ منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه، ويشرح صدره، ويُملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تُبقى شيئاً، فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء عليهم السلام ويبشرونه ويقولون له الزمنا ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ويَسْقِي مَن أحب.

قلت: فما لمن حبس في إتيانه؟

قال عليه السلام: له بكل يوم يحبس ويغتم، فرحة إلى يوم القيامة، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه، كان له بكل ضربة حوراء وبكل وجع يدخل على بدنه ألف ألف حسنة، ويمحي بها عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدثي رسول

الله صلى الله عليه وآله حتى يفرغ من الحساب فيصافحه حملة العرش ويقال له: سل ما أحببت، ويُؤتى بضاربه للحساب فلا يُسأل عن شيء ولا يحتسب بشيء ويؤخذ بضبعيه حتى ينتهي به إلى ملك يحبوه ويُتحفه بشربة من الحميم وشربة من الغسلين ويوضع على مثال [مقال] في النار فيقال له: ذُقْ بما قَدَّمَتْ يداك فيما آتيت إلى هذا الذي ضربته سبباً إلى وفد الله ووفد رسوله، ويأتى بالمضروب إلى باب جهنم ويقال له: انظر إلى ضارِبكَ وإلى ما قد لقي فهل شفيت صدرك وقد اقتصّ لك منه؟ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه(٥٧).

(٧) وفي الصحيح عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

قلت: لا، أنا رجل مشهورٌ عند أهل البصرة وعندنا مَن يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي.

قال لي عليه السلام: أفما تذكر ما صنع به؟

قلت: نعم.

قال عليه السلام: فتجزع؟

قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال عليه السلام: رحم الله دمعتك، أمَا إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمِنّا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل ولَمَلَكُ الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها، قال: ثم استعبر عليه السلام واستعبرت معه، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة يا مسمع: إن الأرض و السماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمةً لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحدٌ رحمةً لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرٌّ، وإن الموجع لنا قلبه لَيَفْرَح يومَ يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر لَيَفرح بمُحِبّنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مسمع مَن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً ولم يستق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل وألين من الزبد وأصفى من الدمع وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدر والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً، أما إنك يا كردين ممن تُروى منه وما من عينٍ بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه من أحبنا، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه مَن هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر

أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين، فيقول عليه السلام: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول عليه السلام: ارجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدِّمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع فيقول: إني أهلك عطشاً، فيقول عليه السلام له: زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً، قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره فقال: ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذُكرنا وترك أشياء اجترى عليها غيره وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل نفسه به، عن ذكر الناس **فأما قلبه فمنافق ودينه النصب وأتباعه أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد** (٥٨).

إشارة هامّة حول ماهية الناصبيّ.

ذيل هذه الصحيحة دلالة واضحة على أنّ الناصبي هو كلّ مَن قدّم الشيخين على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليس الناصبيُّ مَن أظهر العداوة فحسب، بل إنّ ذلك أعلى درجات النصب والعداوة لهم عليهم السلام، فللنصب درجات: أولها تقديم الجبت والطاغوت، وثانيهما إظهار العداوة للشيعة لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمّة عليهم السلام، وثالثها إظهار العداوة للأئمّة عليهم السلام وهذا هو المفهوم الصحيح لمفهوم النصب وهو ما نميل إليه تبعاً لثلّة من محققي الإماميّة أمثال الشهيد الثاني والمحدِّث البحراني وآخرين، والله أعلم بحقائق الأمور.

بعد هذا الإسهاب الضخم من الرّوايات الصحيحة التي رواها محدّثون ثقات أجلاّء يتوضح لنا الأمور التالية:

(الأمر الأول): إستحباب إلحاق الضرر بالنفس لو كان ذلك في سبيل زيارة الإمام المعظَّم الحسين عليه السلام.

(الأمر الثاني): عظيم الثواب والأجر، وعظيم المنزلة والزُّلفى والقُربى من الله تعالى بسبب ما يتحمّلُهُ الإنسان من أضرارٍ تلحقُ به، أو مخاطر عظيمة قد تودي بحياته في سبيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

(الأمر الثالث): البُعد التربوي والعقائدي اللذان يفيضان علينا العِبرة والأسوة الحسنة بالإمام الحسين عليه السلام، مضافاً إلى تمتين وتوثيق الرّابطة الصحيحة بين الجماهير وقادتهم الربانيين الحقيقيين وهم الأئمّة عليهم السلام، وإذكاء شُعلة الحق بإحياء القضيّة الحسينيّة مع التأكيد على أنّ الزيارة على خوف تقتضي الإنشداد أكثر إلى المعصوم عليه السلام وتحسّس الآلآم معه، مما يُضفي على الزائر حبَّ الإلتصاق الرّوحي بالإمام الحسين عليه السلام.

من خلال هذا التأكيد على زيارة الإمام المعظَّم أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى على خوف يتضح لنا أنه إذا جاز قتل النفس وتحمّل الأضرار والمخاطر الكبيرة في سبيل إحياء أمر الإمام الحسين عليه السلام، بل يظهر الإستحباب بشكلٍ واضحٍ من تلكم الرّوايات المتواترة، وعليه؛ فما قيمة الضرر الهيّن على فرْضِ وجوده في التطبير حزناً وجزعاً على سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام إذاً؟.

زبدة المخض:

عرفنا من كلّ ما تقدّم (سوآء من قصة يوسف عليه السلام وخطبة أمير المؤمنين عليه السلام وتلكم الأخبار الشريفة) أنّ الإضرار بالنفس لأجل أولياء الله تعالى عليهم السلام والتقرّب إلى الله بالجزع عليهم عليهم السلام يُعتبر من الأمور المستحبّة شرعاً ويثاب مرتكبُها، فدعوى أنّ

الإضرار بالنفس حرام لا تصمد أمامَ تلكم الأدلة المتقدّمة ، وعليه فقد سبق الإستدلال على جواز بل استحباب التطبير على سيّد الشهداء إدراجاً له تحت العناوين الثلاثة المزبورة: أصالة **الإباحة والجزع** والهلع، **وإحياء الأمر** والشعائر.

وثمّة أدلّة أخرى سنعرضها خلال التعرّض لأدلّة المحرِّمين وردِّها في الأمر الثالث إنْ شاء الله تعالى.

*****

الأمر الثالث

دعاوى المحرِّمين للتطبير ودحضها

ممّا لا ريب فيه عند الشيعة الإماميّة استحباب إقامة مراسم عاشوراء من البكاء والتباكي واللطم واللدم والصراخ والضجيج والعجيج والضرب على الرّؤوس والأكتاف بالسلاسل والقامات، وكلّ ذلك يُعتبر من مراسم عاشوراء، إذ كلّها مصاديق ـ حسبما أسلفنا سابقاً ـ لمفهوم الجزع والإحياء، وبعض هذه المصاديق كالضرب بالسيوف على الرّؤوس وإنْ كانت مستحدثة، إذ أوّل مَن فعلها ـ بعد التوابين الّذين ضربوا رؤوسهم بالحجارة ندماً على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام ـ هم الأتراك الشيعة ثمّ انتشرت هذه الشعيرة إلى إيران ومنها إلى العراق ولبنان وباكستان والهند وغيرهم، كلُّ ذلك بمرأى من فقهاء عظام ومراجع كبار ولم يستنكر أحدٌ منهم بل كانوا يشجّعون المطبرين ويدعمونهم وينفقون الأموال عليهم ويباركون لهم تلك الأعمال، ومع هذا فإنّ أوّل مَن شذّ عن

ذلك الإجماع هو السيّد محسن الأمين رحمه الله فحرّم التطبير ظناً منه أنه يوجب إساءة للمذهَب والتشيع، ثمّ خطى طريقه بعضٌ فرموا مَن يفعل ذلك بالجهل والتخلّف، ومع مزيدٍ من الإصرار على التشنيع على مَن يفعل ذلك في عاشوراء بأسلوبٍ مُرٍّ وكريه وشرس، يختزن في طياته الكثير من الحقد والضغينة على تلك الشعيرة وأتباعها، ليس غِيْرَةً على الدّين وإنما إرضاءاً للعامّة المخالفين، أراد ـ هذا البعض ـ التنفيس عنها بهذه الطريقة وهي الغيرة على الدّين، وإلا لو كان استنكاره غيرةً ورحمةً على الدِّين فلِمَ نعت المطبرين العراقيين بأنهم يشربون الخمر ليلة العاشر للإحماء، ولِمَ نعت المطبرين بالجهل والحمق مع أنّ أكثرهم ـ على أقلّ تقدير ـ أصحابُ دِينٍ وورَعٍ ويقلّدون مراجع أفتوا لهم بحليّة التطبير؟

وعلى كلّ حال، لا بدّ لنا من استعراض دعاوى المحرِّمين ثمّ نناقشها فقهيّاً ليتضح وجهُ الحقّ في المسألة، وتلك الدّعاوى هي التالي:

الدّعوى الأولى
التطبير هو إلقاءٌ للنفس في التهلكة

إنّ التطبير حرامٌ لكونه إلقاءاً للنفس في التهلكة التي نهى الله عزّ وجلّ عنها في كتابه الكريم في آيتين كريمتين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**وأنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة..**﴾ (البقرة/١٩٥).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أنْ تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم**﴾ (النور/٦٣).

فالآية الأولى تنهى عن الإلقاء في التهلكة، والآية الثانية تحذّر من مخالفة هذا النهي، وعليه فإنّ التطبير أحد مصاديق الإلقاء في التهلكة لكونه يقتضي الإضرار بالنفس وهو منهيٌّ عنه بحسب دلالة الآية، فمَن فعله فقد خالف أمره تعالى، ومَن فعل ذلك سيقع في العذاب الأليم.

الإيراد على الدعوى المتقدّمة بالوجوه الآتية:

(الوجه الأول): التهلكة المحرَّمة هي التي لا يترتب عليها نفعٌ دنيويٌّ أو أخرويٌّ حيث يكون المقدم عليها عابثاً لا يبتغي وراء فعله غاية منشودة من نصرة حقٍّ أو دفع باطلٍ أو أمرٍ بمعروف ونهيٍ عن منكر، أو لا يترتب عليها إحياء أمر أو تذكير بأمر مهمٍّ مضت عليه السنون والقرون، ومسألة التطبير ليس فيها شيء من العبثيّة بل داخلة في كلّ ما ذكرناه من المصاديق الدالة على نصرة الحق ورفض الباطل وأذنابه وإحياء الأمر المتمثل بآل الله وتذكير بذواتهم وأوامرهم الشريفة المطهَّرة، وأنهم أناس فوق مستوى ما يتصوره البشر في الأنبياء والمرسَلين والقادة الإلهيين وأنهم شردوا وظلموا واعتُدي عليهم ولم يُراعَ لهم حرمة مع جلالة ذواتهم الشريفة وقربها من المبدأ الفياض جلّت قدرته وعلا شأنه.

(الوجه الثاني): إنّ مورد آية: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ هو الإنفاق في سبيل الجهاد وطريق الدين، فترك الإنفاق في هذا السبيل يؤدّي إلى تغلّب العدو على المؤمنين، ويعرّض المؤمنين لعقاب الله تعالى في الآخرة، وقيل إنّ المراد: لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعه، وفي الآية أيضاً دلالة على جواز "الصلح مع الكفار و البغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله

رسول الله عام الحديبيّة وفعله أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين وفعله الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية من المصالَحة لما تشتّت أمره وخاف على نفسه وشيعته"[٥٩].

فمورد الآية ناظر إلى التهلكة في الآخرة بسبب عدم الإنفاق في سبيل الله تعالى، فالتعدي عنه إلى غيره بحاجة إلى قرينة واضحة تثبت المدَّعى، مع إنه يمكن تعميم "سبيل الله" إلى "كلّ ما أمر الله به من الخير وأبواب البر"[٦٠] فيشمل حينئذٍ إحياء الشعائر والتذكير بأيام الله تعالى، فيكون التطبير داخلاً في ذلك، مضافاً إلى دخوله تحت عنوان الجزع، فترك الإحياء بكلّ لوازمه قد يؤدّي إلى التهلكة، فبما أنّ مراسم عاشوراء هي من أيام الله، وهي شعيرة من شعائره، فإهمالها والتشكيك بها يؤدّي إلى الهلاك الأخروي؛ لأنّ الهلاك لا ينحصر بترك الواجب، بل ينسحب إلى ترك المستحب إذا أدى التشكيك بالغاية والهدف وطرح الأخبار الدالة عليه، أو أنّ الهلاك بمعنى خسران الثواب، فيكون أعمّ من كونه خاصاً بالعقاب؛ وإنْ أبيتَ إلاّ الإقتصار على المورد الخاص ـ وهو الجهاد ـ فالآية حينئذٍ خارجة عن موضوع البحث جملةً وتفصيلاً.

والقول بتعميم الآية إلى وجوه البر والخير ـ ومنها مراسم عاشوراء بكلّ مصاديقها المشروعة ـ يُخرج التطبير من عنوان التهلكة تخصصاً حتى مع وجود الضرر تماماً كالجهاد والدّفاع عن الأهل والمال والوطن وما شابه ذلك مما يُعتبر هلاكاً للنفس لكنه محبوب ومرضيٌّ عند الله تعالى، وعليه فإطلاق القول بأنّ: "مطلَق الإلقاء في التهلكة حرام" مخصص بما ذكرنا، بل إنّ كلّ ما قام الدليل الخاص أو العام على ثبوته، يكون حينئذٍ خارجاً حكماً عن عنوان التهلكة.

وبالجملة؛ فإنّ التطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل ولو أدّى إلى ضرر بالغٍ يكون خارجاً عن مفهوم الإلقاء في التهلكة بل يمكن إدراجه تحت عنوان الجزع المخصوص بسيّد الشهداء، إذ كلّ جزع حرام ما خلا الجزع على سيّد الشهداء (عليه السلام)، فكما انّ

جهاد الأعداء والمشركين والدّفاع عن الأهل والوطن واجب، كذا الجزع بمصاديقه المتفاوتة يكون قريباً من الواجب وهو المستحب لكونه أمراً غير ملزمٍ لكنّ إهماله من رأس يؤدي إلى التهلكة الروحيّة والنفسيّة بل إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

وعليه؛ فإنّ مورد الآية أعمّ من الإنفاق الواجب ـ أقصد الجهاد ـ بل يشمل حتى المستحبات المؤكدة، إذ إنّ مورد الإنفاق ذو مصاديق متعدّدة لا يمكن حصرها في واحدٍ دون البقيّة، كما إنّ مفهوم التهلكة عام لا يمكن قصره على عدم الجهاد فحسب بل يتعداه إلى بقيّة المصاديق المعتبرة التي قام الدليل الخاص والعام على ثبوته وإدراجه تحت مفهومه العام، فكما إنّ التهلكة قد تحصل من ترك الواجب، قد تحصل أيضاً من ترك المستحب، من هنا بكى مولانا آدم عليه السلام على خطيئته وهي تَرْك الأولى سنين متمادية وهو يطلب الغفران من ربه حتى تاب عليه ببركة الأسماء المقدَّسة من أصحاب الكساء عليهم السلام، وهكذا استغفر داود ويونس عليهما السلام من تَرْك الأولى تماماً كما يستغفر المذنبون من تَرْك الواجب أو فِعْل الحرام، فالهلاك ذو مصاديق متفاوتة شدّةً وضعفاً، أقلُّها وأضعفها المستحب أو تَرْك الأولى.

(**الوجه الثالث**): لو سلّمنا أنّ الآية تنهى عن الهلاك المدّعى وهو النهي عن التطبير لاستلزامه الضرر الشديد ـ بزعمهم ـ لكنّ الواقع والوجدان يكذّبان ذاك الإدّعاء، إذ ليس ثمّة مَن يتضرر ممن يمارس عمليّة التطبير، ولم نسمع ولم نرَ أحداً مات نتيجة ضرب الرّأس بالقامات وما شابه ذلك، بل لم نسمع أحداً مرض مرضاً خطيراً أو غير خطير أو انه ازداد مرضه من خلال ذلك، بل العكس هو الصحيح؛ فإنّ مَن يعاني من أمراض مزمنة وفتاكة كالسرطان والسّل والطاعون قد شُفوا لما طبّروا على الإمام المظلوم عليه السلام، وإنني شخصيّاً أطبّر كلّ سنة مع أولادي وجمع من إخواني المؤمنين الموالين فلم يتضرر أحدٌ منا على الإطلاق، بل إننا شُفينا من أمراض مستعصية كانت ملازمة لنا منذ أمَدٍ

بعيد، وقد رأيتُ شخصياً أحد الأصدقاء ممن كان مستوى الدم لديه منخفضاً جدّاً لكنه لما طبّر تعافى والآن هو في صحّة جيّدة، مضافاً إلى أنّه لا يصح أنْ نحرّمه لأنّ فرداً أو أفراداً قليلين ـ على فرض وجودهم ـ تضرروا إذ لا تعدو حالاتٍ شاذة لا يُعبأ بها، ولا يمكن على أساسها أنْ يقوم الحكم الشرعي العام، إذ الأحكام الشرعيّة لا تنصبّ على الحالات الشاذة، إذ الشاذ بحكم المعدوم لا يصلح أنْ يقوم عليه حكم شرعي عام يسري على كلّ المكلَّفين، ولو اتفق حصول ضرر في حالات نادرة فإنّ ذلك لا يوجب التحريم أصلاً، إذ هو لا يعدو أمراً نادراً قد تكون له أسبابه الخاصّة التي لا ربط لها بممارسة التطبير، بل ربما يكون حصول التضرر بسبب شيء آخر غير التطبير، وعلى فرض أنّ الضرر حصل من التطبير فلا يكون مبرراً لإنشاء حكم بحرمة التطبير حسبما أشرنا سابقاً، فهو تماماً كمَن تضرر بطعام أكله؛ فإنّ ذلك لا يدعونا إلى تحريم ذاك الطعام من الأصل كما لا يخفى على الفقيه النحرير.

إذن ما اعتمدوه من الإستدلال بآية التهلكة غير تام أصلاً. أمّا الآية الثانية وهي: ﴿**فليحذر الّذين يخالفون عن أمره..**﴾ فهي أيضاً لا تدلّ على المطلوب إذ إنّ التحذير من العذاب إنما يكون ثابتاً في حق المكلَّف فيما لو خالف حكماً ما ورد الدليل الخاص أو العام على تشريعه، وأين هذا من حكم التطبير الّذي تستند حليته على الدليل العام وهو أصل الإباحة وعنوان إحياء الأمر والتذكير بأيام الله تعالى حسبما أفدنا سابقاً.

وبالجملة؛ فالتطبير ليس داخلاً في مفهوم الإلقاء في التهلكة، فمورد الآيتين اللتين استدلّوا بهما على حرمة التطبير موردهما العذاب الإلهي في الآخرة، وليسا في مقام تأسيس أو إنشاء حكم على حرمة التطبير؛ لأنّ الله تعالى عندما يحذر الناس نفسه إنما

يحذرهم من العذاب الّذي يواجههم به في الآخرة، وكذا الفتنة ليست هلاكاً وموتاً، فالتطبير ليس هلاكاً وليس فتنة.

إنْ قيل: إنّ الآية في مقام تعليل مخالفة أوامر الله تعالى، والمخالفة سبب في إصابة العذاب الأليم، والتطبير مخالف لأوامر الله ﴿عزّ وجلّ﴾، فمستحقه يستوجب العذاب.

قلنا: إنّ الآية ليست في مقام إنشاء حكم على حرمة التطبير بشكل خاص، وإنْ كانت كذلك في مقام مخالفة أوامر المولى بعد ثبوتها بدليل خاص أو عام، وحيث إنّ التطبير لم يقم الدليل الخاص والعام على حرمته فيبقى على أصالة الحلية فلا تشمله ــ إذاً ــ الآية المباركة.

الدّعوى الثانية
التطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل
مضران بالصحة والنفس، وكلُّ إضرارٍ بالنفس حرامٌ
عقلاً وشرعاً

إنّ التطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل مضرٌّ بالصحّة وبالنفس، وكلُّ شيءٍ يضرُّ بالنفس يعتبر محرَّماً شرعاً وعقلاً، وأصحاب الدّعوى ركّبوا صغرى وكبرى منطقيّة معوجّة، فالصغرى هي: إنّ التطبير مضرٌّ بالنفس، والكبرى هي: إنّ كلّ مضر بالنفس حرام، فالنتيجة: انّ التطبير حرام لأنه مضرٌّ بالنفس.

يرد على الدعوى المتقدّمة بالوجوه الآتية:

(**الوجه الأول**): ليت أصحاب الدّعوى نقّحوا لنا الصغرى التي ادّعوها و أين يكون هذا الضرر الّذي يُلحقه التطبير بالنفس والصحة؟!! أهو يا تُرى في نفس الإدماء أم هو في جرح الرأس المشتمل على الإدماء؟ فإنْ كان هذا الضرر المحرَّم ـ بنظرهم ـ

لمجرّد خروج الدّم، فلم نسمع أحداً من الفقهاء قاطبةً أفتى بحرمته، إذ إنّ مجرّد خروج الدم من البدن أو إخراجه بسكين أو بآلة بطبيعته ليس محرَّماً أو علّةً في الحرمة، إذ ثمّة موارد يترتب عليها خروج الدم كالفصد والحجامة، حيث أوصى بهما أئمتنا الأطهار عليهم السلام، وقد فعلوه مراراً وتكراراً أمام أعين أصحابهم وذويهم، وقد أخبرونا صلوات ربي عليهم عن المنافع الصحيّة الكثيرة لهذين الأمرين، وقد أكّد الطبُّ الحديث على فوائد الحجامة والفصد وأنه ينبغي للإنسان أنْ يُخرج مقداراً من الدّم بين الفينة والأخرى لأجل ضخّ دمٍ جديدٍ في بدن الإنسان، وذلك أنّ الله تعالى أعطى بدن الإنسان قدرةً على توليد دمٍ جديدٍ يبعثُ النشاط في بدن الإنسان حينما يفقد مقداراً من دمه، لذا فإننا نرى كثيراً من الناس يبادرون إلى المستشفيات أو بنوك الدّم للتبرّع بمقادير من دمائهم بحسب ما فيه من الفائدة الصحية لهم، هذا مضافاً إلى أنّ الإنسان لطالما يتعرض في حياته لكثيرٍ من الحوادث التي قد يفقد فيها مقداراً كثيراً من دمه ولا يؤثّر ذلك عليه ولا على قدراته، إذ سرعان ما يرجع إلى حالته الأولى، من هنا؛ فإنّ فقدان الجسم لمقدارٍ من الدم لا يُعدُّ ضرراً بل يترتب عليه نفع وفائدة، لذا فلا يُعدُّ هذا الأمر بشيء خصوصاً فيما نحن فيه، حيث إنّ المحرِّمين للتطبير يؤكدون على مسألة التبرّع بالدّم بدلاً من التطبير، مع أنه ثمّة نقاش معهم في أصل مشروعيّة التبرّع بالدم التي أجازوها وجعلوها عوضاً عن التطبير التي هي في الواقع كالحجامة، ولا يمكن استبدال الفصد بالحجامة إذ بينهما بونٌ شاسع، فالحجامة هي إخراج الدم الفاسد من الشرايين الدقيقة وتستحب في الرأس والكتفين، والفصد إخراج الدم من العروق الغليظة، ومورد الأول هو تنظيف الجسم من التراكمات والدّهونات الزائدة في الجسم، ومورد الثاني تقليل نسبة الدم النظيف الفائض، لذا لا يصحّ الخلط بينهما، فلا يُقال لمن أراد

تخفيف ضغط الدم، إنّ عليكَ بالحجامة، كما لا يُقال لمِن أراد تقليل التراكمات عليكَ بالفصد أو التبرّع بالدّم؛ لأنّ أحدهما لا يحلّ مكان الآخر من الناحية الشرعيّة والطبية.

هذا كلّه بناءاً على أنْ تكون حرمة التطبير لمجرّد خروج الدّم من الرأس، وقد أشرنا أنّ نفس خروجه ليس فيه شيء من الحرمة ولم يحرّمه أحد من الفقهاء على الإطلاق، وأمّا بناءاً على أنّ الحرمة إنما هي لمجرّد جرح الرأس الّذي قد يذكره البعض عنواناً للضرر، فيرد عليه أيضاً: إنّ مثل هذا الضرر بل الأشدّ منه قد أجازه الفقهاء برمّتهم ما دام لا يؤدّي إلى شللٍ في أحد أعضاء البدن، ولا يكون سبباً لقطع تلك الأعضاء أو فسادها، ولا يفقد الإنسان قدرةً من قدراته أو حاسّةً من حواسه، ولا يصيبه بداء عِضال أو مرضٍ مزمنٍ يُقعده عن الحركة و العمل إذ أجازوا ممارسة الرياضات العنيفة مثل المصارَعة والملاكَمة والجودو والكراتيه والكونغ فو والكينغ بوكسينغ وغيرها مع ما تسببه من الآلآم الشديدة والجراحات و الرّضوض والكسور غير البالغة، بل أجازوا ما هو الأكثر من ذلك في التدريبات العسكريّة لأجل تهيئة الجيوش وإعدادها للدّفاع وقت الحاجة عن الدّين والوطن أو النفس والمصالح المهمّة، كما إنهم أجازوا الرياضات التي يترتب عليها أضرار بالغة متيقّنة كسباق الخيل والدراجات الناريّة والسيارات والزوارق السريعة، والتزلج في المناطق الخطرة مع القفز من الإرتفاعات العالية إلى غيرذلك من صرعات هذا العصر وجنونه.

ليت شعري كيف يجيز القائلون بحرمة التطبير حزناً على الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الأمور التي تقدَّمَتْ مع ما فيها من الضرر، وفي نفس الوقت يحرّمون التطبير الّذي هو أقلّ ضرراً من كثير من الألعاب الرياضيّة؟! أليس عجيباً وغريباً أنْ يحلّل هؤلاء الألعاب الرياضيّة العنيفة مع ما تسبِّبه من أضرار بالغة على فاعليها، ولكن عندما يصل الدور

إلى التطبير تذكيراً بأيام الله يرجفون ويتتلجلجون بشعارات التحريم والإنكار؟ لقد أرضوا المخالِفِين وأسخطوا الطاهِرِين وصدق المثل السائر: "قد ضلّ مَن كانت العِمْيان تهديه".

ومَن كان من العامّة كقاب قوسين أو أدنى فقلمه ولسانه لا يرعُفُ إلاّ بالشر، فمثله كمَن جعل إحدى يديه سطحاً، وملأ الأخرى سلحاً، نعم، إنهم متهتكون عاقُّون لا يبالون ولا يخافون، ومَن كان عاقاً فلا خير فيه، فعليه أنْ يجدّد التوبة.

(**الوجه الثاني**): إنّ الصغرى المنطقيّة وهي: "إنّ التطبير حرامٌ لأنه مضرٌّ بالصحة والنفس" ليست من مهام ووظائف الفقيه، بل وظيفته كغيره من المكلَّفين بيان تحديد الكبرى المنطقيّة والعمل على ضوئها وهي: "كلّ ما يضرّ بالصحة والنفس ضرراً بالغاً مؤدياً إلى الهلاك أو تلف عضو فهو حرام". وما جرى على هؤلاء المحرِّمين للتطبير أنهم وقعوا في اشتباه خلط الصغرى بالكبرى، فتركوا الثانية وعملوا بالأولى، مع أنّ ماهيّة الصغرى ليست من وظائفهم وشؤونهم؛ لأنّ وظيفة الفقهاء هي أنْ يخبروا عن الحكم الشرعي ويكشفوا عنه، والمكلَّف هو الّذي يتولى تطبيق الحكم على نفسه أو على مورده، فعلى الفقيه أنْ يقول: إنّ كلّ ما يُضرّك أيها المكلَّف عليك اجتنابه" والمكلَّف هو بنفسه يتولّى تطبيق ذلك، أمّا أنْ يقوم الفقيه بتطبيق ذلك عن المكلَّف، فذاك أمر لم يدلّ الدليل الشرعي عليه، لكون التطبيق موضوعاً من المواضيع التي يتساوى فيه الفقيه وبقيّة المكلَّفين، وعلى فرض أنّ الفقيه شخّص وحدّد الموضوع وحَكَم على ضوئه بأحد الأحكام الخمسة؛ فإنّ تشخيصه لا يكون حجّةً على غيره بل حجّة على نفسه، فهو تماماً كتشخيص الفقيه لهلال شهر رمضان أو شوال؛ فإنّ رؤيته للهلال ليس مسوّغاً لعامّة مقلِّدِيه بوجوب الصيام أو الإفطار لكونه فرداً واحداً لا بدّ معه من فرد آخر عادل، تكون شهادتهما مسوّغاً شرعيّاً لصيام أو إفطار مَن يثق بعدالتهما ووثاقتهما، ومسألة التطبير نظير مسألة رؤية الفقيه للهلال؛ فإنّ ذلك حجّة على نفسه

ولا تعمّ غيره وليس لصفة الإجتهاد والفقاهة أثر في تطبيق المورد على الآخرين، ولا هي مزية توجب تقديمه على غيره.

إشكال وحلّ:

إنْ قيل: إنّ كون الفقيه حاكماً توجب مزية له فتجب إطاعته فيما لو رأى من المصلحة المنع عن التطبير أو بعض الأحكام والشعائر.

قلنا: إنّ الحكومة إنما تكون حجّةً على المقلِّد في مورد الفتوى والقضاء بين المتنازعَين حسبما دلّت عليه حسنة إبن حنظلة ولا يمكن التعدّي عن هذين الموردين إلى غيرهما أصلاً، وقد فصّلنا ذلك في بعض بحوثنا الفقهيّة فلتراجع(٦١).

عودٌ على بدء:

إذن لا يجوز للفقيه أنْ يفرض الصغرى على المكلَّفين بل عليه بالكبرى، ولو سلّمنا بأنّ له الحق في تحديد الصغرى؛ فإنّ الواقع العملي يشهد بعدم ترتب أي ضرر على المطبِّرين، ولا أظنّ ذا وجدان صافٍ ينكر ذلك، بل مَن كان مريضاً يشفى بالتطبير وقد لاحظنا ذلك من خلال ما شاهدناه من البعض ولله الحمد، ففي كلّ عام من شهر محرَّم يطبّر المئات بل الآلآف من محبّي الإمام سيّد الشهداء عليه السلام ولم نشاهد أحداً منهم مات أو تضرّر من التطبير بل إنّ يد القدرة الإلهيّة تمسح على رؤوسهم وتبارِك بأكفهم التي بها يضربون رؤوسهم المجروحة تعظيماً ليوم الله الأعظم...يوم مولانا أبي عبد الله المظلوم عليه السلام...

ولو فرضنا وجود ضرر يلحق الإنسان بسبب التطبير فلا يكون مبرِّراً ودليلاً كافياً أو ملاكاً تامّاً للتحريم والمنع، إذ متى حرّمتِ الشريعة كلّ عملٍ يسبِّب الضرر للإنسان ابتداءاً من الخدشة الصغيرة وانتهاءاً بالقتل أو الموت، وما يقع بين هذين من مراتب

كثيرة للضرر بالنفس؟ بل إنّ الضرر الحاصل لبعض المطبِّرين ـ على فرض وجوده ـ قد تكون له أسبابه الخاصّة التي لا ربط لها بممارسة التطبير، ولعلّ الضرر الحاصل حينئذٍ قد يكون بسبب طعامٍ أكله المطبِّر أو بتعرضه للهواء في ساعة باردة أو حارّة...أو لعدم مراعاته لبعض قوانين الصحّة، فظنّ أولئك المشكِّكون بأنّ التضرر حصل من التطبير؛ فإنّ سوء اعتقادهم بالتطبير أدّى إلى أنْ ينسبوا كلّ ضررٍ حال التطبير هو بسببه، لكنْ لا عتب على أولئك الجاهلين الغافلين، فعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٍ، وعين السّخط تبدي المساويا، ولو أنهم أحسنوا الظن بأولئك الشرفاء الّذين يرجعون في مسألة التطبير إلى علماء ومراجع أفتوا لهم بالحليّة لكان خيراً لهم وأفضل تأسياً واقتداءاً بما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً"(٦٢)، وعن أبي المأمون الحارثي عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له، إلى أنْ قال: وأنْ لا يكذّبه، إلى أنْ قال: وإذا اتهمه انمات الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء(٦٣). وعن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: "إياكم والطعن على المؤمنين"(٦٤).

ولو أنهم وجدوا خللاً و عيباً في مواكب التطبير فستروا عليه وغطّوه صوناً لتلك المواكب الشريفة من أنْ يصمها الأعداء بالعار والشنار لكان لهم عند الله تعالى أجراً عظيماً، وليتذكروا قول الشاعر:

إنْ تجد عيباً فسدّ الخللا   جلّ مَن لا عيبَ فيه وعلا

وبالجملة؛ ليس في الشعائر الحسينيّة ما يضرّ بالصحّة والنفس، فالتطبير لا يزيد على جرح الرأس ببضع جراحات ونزف كمية محدودة من الدم لا يضرّ بالجسم، بل

ينفعه تماماً كالحجامة والفصد، بل يمكن القول أنّ التطبير هو حجامة دون أنْ يقصد المطبِّر ذلك؛ لأنه كما تستحب الحجامة على الكتفين، تُستحب في الرّأس حسبما ورد في الأخبار التي منها:

(١) ــ معاني الأخبار، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله رفعه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: احتجم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رأسه وبين كتفيه وفي قفاه ثلاثاً، سمى واحدة النافعة، والأخرى المغيثة، والثالثة المنقذة(٦٥).

(٢) ــ وبإسناده إلى أحمد بن أبي عبد الله، عن الحسن بن علي، عن أحمد بن عائذ، عن أبي سلمة وهو أبو خديجة واسمه سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجامة على الرأس على شبر من طرف الأنف، وفتر(*) من بين الحاجبين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسميها بالمنقذة. وفي حديث آخر قال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتجم على رأسه ويسميه المغيثة أو المنقذة(٦٦).

(٣) ــ ومنه، عن أحمد بن محمد، عن أبيه محمد بن خالد، عن إبن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحجامة في الرأس شفاء من كل داء إلا السّام(٦٧).

(٤) ــ ومنه، عن الخضر بن محمد، عن الخراذيني، عن أبي محمد بن البردعي، عن صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتجم ثلاثة؛ واحدة منها في الرأس يسميها المتقدِّمة [المنقِذَة]، وواحدة بين الكتفين يسميها النافعة، وواحدة بين الوركين يسميها المغيثة(٦٨).

(*) الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهما.

(٥) ــ وقال عليه السلام: الحجامة في الرأس شفاء من سبع؛ من الجنون، والجذام، والبرص، والنعاس، ووجع الضرس، وظلمة العين، والصداع(٦٩).

(٦) ــ وعنه عليه السلام قال: إحتَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وآله في رأسه وبين كتفيه وقفاه وسمى الواحدة النافعة والأخرى المغيثة والثالثة المنقذة(٧٠). وفي رواية أخرى: أنه احتجم وسط رأسه.

وفي غير هذا الحديث سمّى التي في الرأس المنقذة والتي في النقرة(*) المغيثة والتي في الكاهل النافعة وروي المغيثة(٧١).

(٧) ــ الكافي، عن عدة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن علي بن فضال عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجامة في الرأس هي المغيثة تنفع من كل داء إلا السام، وشبر من الحاجبين إلى حيث بلغ إبهامه ثم قال عليه السلام: هاهنا(٧٢).

إذن الحجامة في الرّأس مستحبة؛ فإنّ فيها شفاءاً من كلّ داء إلاّ أنّ الفرق بين التطبير وبين الحجامة في الرّأس، أنّ الأوّل حجامة غير مقصودة، بمعنى أنّ مَن يطبّر لا يقصد الحجامة المسنونة وإنْ كانت النتيجة واحدة وهي خروج الدّم من الرأس، أمّا الثانية وهي الحجامة عند الحجّام ــ أمر مقصود، وكلاهما واحد لكونهما يصبان في هدف واحدٍ وهو إخراج الدم من الرأس، لكنّ التطبير يزيد الحجامة بكثرة الثواب لاقترانه بتعظيم مصيبة الإمام الحسين وتذكير الناس بها، بخلاف الحجامة فإنّ صاحبها يقصد النفع الشخصي، وشتان بين مَن يقصد التعظيم ومَن يقصد النفع الشخصي!

وأمّا ضرب الأكتاف بالسلاسل؛ فإنه لا يضرّ الأكتاف بل يسبّب قوّة جلدها، لذا فإنّ رياضي الكونغفو والكاراتيه والملاكَمة يتعمّدون ضرب أيديهم وأكتافهم لتكتسب

(*) النقرة: ثقبٌ في وسط الورك في أسفل العامود الفقري.

مناعةً وقوّةً يمكنها تلقّي الضربات القويّة من الخصم أو لتزيد من قوّة الضربة للخصم، فضرب الأكتاف بالسلاسل وغيرها ينبّه الجلد ويعطيه قوّة وصلابة ومناعة فأي إشكال حينئذٍ يترتّب على ذلك؟ ولو فرضنا أنّ فرداً تضرّر بواحدة من هذه الشعائر كالتطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل بحيث يؤدّي إلى هلاك نفسه أو طرف من أطرافه فإنه يحرم عليه بالنسبة إلى نفسه فقط(*)، ولكنّ هذا داخل في العناوين الثانويّة التي لا تؤثر على أحكام العناوين الأوليّة، وأين هذا من موضوع البحث؟! فكلّ شيء إذا أصبح ضرَرِيّاً يحرُم وإنْ كان بعنوانه الأوّلي واجباً كالصوم والحج، فهل يبرّر لنا هذا أنْ نقول: إنّ الصوم والحجّ محرَّمان لأنهما قد يؤديان إلى ضرر؟!!

(**الوجه الثالث**): إنّ الضرر الحاصل من التطبير ــ على فرض حصوله ووجوده ــ ليس من القبائح الذاتية التي لا يمكن أنْ تطرأ عليه العناوين الثانويّة الأخرى، فهو ليس كالظلم الّذي لا يمكن أنْ يطرأ عليه عنوان يجعله حسناً وجميلاً بل يبقى على صفة القبح الّذي تقتضيه طبيعته، بل التضرر بالتطبير هو من قبيل الكذب الّذي يطرأ عليه عنوان ثانوي يجعله حسناً كمن يكذب لينجي مؤمناً من القتل، فهو حَسَنٌ لطروء عنوان النجاة عليه، فالتطبير خاضع في حسنه وقبحه للعناوين الطارئة عليه، فقد يحسن، وقد يقبح إنْ عرض عليه ما يقبّحه، وقد يكون راجحاً، وأخرى مرجوحاً.

فجرح الإنسان لرأسه وإيلام نفسه ليس قبيحاً ذاتياً كما هو الحال في الظلم، إذ لو كان كذلك لم يجز الحكم شرعاً وعقلاً بجواز الجرح حتى في مقام المعالجَة، مع أنّ عامّة الفقهاء أفتوا بالجواز لدفع محذور الهلاك أو تلف عضو آخر.

(*) هذا بناءً على قول مَن قال بحرمة التطبير إذا أدّى إلى ضرر، وأمّا بناءاً على الرأي الآخر القائل بالحليّة حتى في حال الضرر كما هو الأظهر والأقوى عندنا فالأمر واضح جلي حسبما أشرنا سابقاً.

(**الوجه الرابع**): لا يوجد أيُّ دليلٍ فقهيّ يُثبت أنّ كلّ ضرر محرَّمٌ، بل المتيقن من الأدلة الشرعيّة هو حرمة الضرر المؤدّي إلى الهلاك، أو ما كان ضرراً بالغاً يصل بصاحبه إلى حدّ قطع عضو أو التسبّب بحدوث مرض عضال.

فالضرر الّذي يحرُم تحمُّله باتفاق علماء الإماميّة مؤيداً بالعقل هو الضرر الّذي يكون بلا هدف عقلائي صحيح، وأمّا إذا كان لأجل هدفٍ عقلائي صحيح فلا يوجد رواية أو قاعدة عامّة تدلّ على حرمته، من هنا جرت السيرة العقلائيّة والمتشرعيّة على جواز تحمُّل المرتاضين كثيراً من المشقّات المضنية التي تُنهِك قواهم، وتحمّل أصحاب الحِرَف الشاقة صعوبات تبري أجسامهم، وتُضعف جميع أجهزتهم العضليّة دون أنْ يكون محرَّماً عليهم.

فالحقيقة أنّ الإنسان في أغلب حالاته الدينيّة والدنيويّة إنْ لم يكن في جميعها في معرض إلحاق الضرر بالنفس على اختلاف مراتبه، أوليس أفضل الأعمال أحمزها؛ وإنّ الثواب على قدر المشقّة حسبما جاء عن المعصومِين عليهم السلام؟! لذا تعلو درجات العباد بقدر ما يلقون من أذىً وعنتٍ في سبيل الله تعالى، ولعلّ الجهاد والمرابطة في سبيله عزّ وجلّ من أوضح مصاديق إلحاق الضرر الشديد بالنفس، فيكون واجباً في أحيان ويكون مستحباً في أحيان أخرى له الأولويّة على كلّ عمل آخر، وهكذا فإنّ السعي للوقوف بوجه الظالِمِين وطلب إصلاح المجتمع، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر في بعض درجاته العليا، ونشر دين الله تعالى، كلُّ ذلك وغيره يستلزم إلحاقَ الضرر الشديد بل الهلاك والموت في بعض المراتب والدّرجات، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، فالذهاب إلى الحجّ وزيارة المعصومين عليهم السلام مشياً على الأقدام كما يفعله شيعة العراق وإيران سدّدهم المولى، وتجشّم المتاعب الصعبة والمعاناة الشديدة في تلكم الأسفار

البعيدة مما حثّت وأكّدت عليه شريعة الله تعالى، وقِسْ على ذلك ما يلحق الإنسانَ من أضرار استعمال الأدويّة المختلفة لعلاج الأمراض، بل ما سيسبّب الموت في أكثر الأحيان كالمصل الكيميائي لمعالجة السرطان، وكذا أضرار العمليات الجراحيّة، وأضرار تلوّث البيئة، والعيش في المدن الملوَّثة، وأضرار كثرة المواد الكيمياوية التي أخذت تدخل في أجزاء طعامنا الحيواني والنباتي، وأضرار الأصوات على المخّ والقلب والجهاز العصبي، وأضرار التدخين واستعمال الأدوية المهدِّئة إلى آخر ما هنالك من أنواع الأضرار التي تحيط بنا ونسعى إليها بأنفسنا ونبذل الأموال في أحيانٍ كثيرة لأجل الوصول إليها؛ ومن هذا القبيل أضرار التدخين ومدى تأثيره على الصحة والإقتصاد، ومع هذا لم نسمع أحداً من أولئك المحرِّمين ما يثير مشكلة ضدّ المدخنين كما يثيرها ضدّ المطبّرين، بل ترى هؤلاء يسكتون عن اللواط والسحاق والزنا والسفور والسرقة ولم يبدوا أيَّ اعتراض على هذه المنكَرات مع أنّ أضرارها الرّوحيّة والنفسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة والصحية تفوق أضرار التطبير ـ لو فرضنا وجوده ـ أضعافاً مضاعَفة ومع هذا لم ينبسوا ببنت شفة عن أضرار تلكم الأمور المذكورة فأين الإنصاف يا تُرى؟! فتلك المنكَرات بكلّ ضررها القطعي لا يعارضها أحد، وحتى لو عارضوها فإنّ معارضتهم لها لا تبلغ نسبة واحد بالمائة مما أبدوه ويبدونه في معارضتهم للتطبير حزناً وجزعاً على الإمام الحسين عليه السلام.

(الوجه الخامس): ليس في شريعتنا المقدَّسة دليلٌ خاص يقول: "إنّ كلَّ ما يضرُّ بالصحّة حرام" حتى يصحّ التمسّك بعمومه، بل كل ما يوجد في هذا الباب هو قوله تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ وأحاديثٌ جمةٌ تُفيد: بأنّ إهلاك النفس أو إهلاك أحد الأطراف حرامٌ، ولا أحد من الفقهاء يناقش في حرمة إهلاك النفس أو أحد الأطراف، فمَن انتحر أو شلّ أحدَ أعضائه فقد اقترف جريمة كبيرة، لكن يستثنى

من ذلك بعض الموارد التي دلّ عليها الدليل الخاص أو العام؛ فإنها خارجة تخصصاً عن حرمة الإهلاك والإتلاف، وعليه فليس كلُّ ما يضرُّ بالصحّة داخلاً في عنوان إهلاك النفس أو الطرف.

إشكال وحل:

إنْ قيل: إنّ الحديث الوارد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام" دالٌّ على حرمة إلقاء النفس في الضرر، فيكون ممسكاً لحرمة التطبير.

قلنا: لا يصحّ الإستدلال بالحديث المذكور في المورد المتنازع عليه وهو "التطبير" وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: إنّ الحديث المذكور لا يشمل المواردَ التي فيها ضررٌ قطعاً، فهو خارج حكماً عن هذه الموارد كالجهاد والحج والختان وثقب الأنوف والآذان لتعليق الخزائم والأقراط، وكذا دفع الخمس والزكاة وتمكين النفس من الحدود والقصاص والتعزيرات، والصبر على المصائب ومجاهدة النفس بترك الأخلاق الرديئة، وتحمُّل المرأة لأوجاع الحمل والولادة وما شابه ذلك كالحجامة والفصد وشقّ سنام الإبل في الحج، كلّ ذلك يتضمّن جرحاً وإدماءاً وألماً أمر الشارع المقدَّس بفعله لأجل غاية وهدف، ومسألة التطبير من هذا النوع الّذي يترتب عليه غاية وهدف، قد أجازها الشارع المقدَّس بنحو الدليل العام لا سيّما أصل الإباحة ـ على أقلّ تقدير ـ إنْ لم يكن مستحباً حسبما اشرنا سابقاً إدخالاً له تحت عنوان الجزع وتعظيم الشعائر والتذكير بأيام الله تعالى، فكما إنّ تلكم الأمور قام الدليل الخاص على وجوبها أو استحبابها، كذا التطبير؛ قام الدليل العام على جوازه أو استحبابه، فلا فرْقَ من الناحية الفِقهيّة الإستنباطيّة بين الدليلين الحاكيَيْن لتشريع حكم على موضوع من الموضوعات في عصر

غيبة مولانا الإمام المغيَّب صاحب الزّمان عجّل الله تعالى فَرَجَه الشريف وكثَّرَ الله أعوانه وأنصاره.

الأمر الثاني: إنّ الحديث المذكور يشير إلى أنه لا توجد أحكام ضررية في الإسلام(*)، ولا يشير إلى حرمة تحمُّل الضّرر مطلَقاً، ولهذا لا يحرم نذر صوم الدهر سوى العيدين ـ الأضحى والفطر ـ ولا يحرم إدامة الوضوء والتزام جميع النوافل والسعي ماشياً إلى الحج والعتبات المقدَّسة وإحياء الليالي بالعبادة، مضافاً إلى وجود أدلّة تدلّ على أنّ أئمتنا الطاهرين عليهم السلام كانوا يتحمّلون الضرر بل يُلحقونه بأنفسهم لوجه الله تعالى ويقرّرون تحمّل الضرر لغيرهم، وكذا ما فعله الأنبياء والمرسَلون، فها هو النبيّ آدم عليه السلام بكى على فراق الجنّة حتى فتح الدّمعُ في خدّيه إخدودين، والنبيّ يعقوب عليه السلام إنتحب على فراق ابنه يوسف عليه السلام حتى سأم أولاده من بكائه الّذي أدّى إلى ابيضاض عينيه، وها هو النبيّ يحيى بن زكريّا عليه السلام خدّ الدّمع حفرتين في وجنتيه حتى وضعت أُمّه عليهما لبداً، وبكى النبيّ شعيب عليه السلام حبّاً لله حتى فَقَدَ بصره، وها هو نبيّنا الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وقف في محرابه حتى تورّمت قدماه، وكذا مولاتنا سيّدة العالَم فاطمة عليها السلام صلّت في محرابها حتى تورّمت قدماها الشريفتان، واستقت عليها السلام بالقِربة حتى أثّر ذلك في صدرها المقدَّس، وطحنت ـ فديتها بنفسي ـ حتى مجلت يداها الطاهرتين، وإنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يناجي ربّه كلّ ليلة حتى تعتريه من الله تعالى غشوة يخرُّ منها كالخشبة اليابسة وكان عليه السلام يأكل الجشب والخبز اليابس حتى

(*) بمعنى أنّه لا توجد أحكام ضررها أكثر من نفعها، بل المنفعة غالبة على الضرر وإلا فلا يخفى وجود أحكام يترتب عليها ضرر كالقصاص والجهاد ولكنه ضرر قليل حسبما أشرنا.

ضعُفَ جسده، وأَنّ الإمام الحسن (عليه السلام) حجّ ماشياً خمسةً وعشرين حجّةً والنجائب تُقاد خلفه وقد تورّمت قدماه من كثرة المشي، وأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) حمل على كتفه الجراب إلى دور اليتامى والمساكين حتى وجد على كتفه الشريف بعد شهادته جرحٌ لم يعرفه الأعداء وعرّفه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأنه أثر الجراب، وأنّ أهل الكساء (عليهم السلام) صاموا ثلاثة أيام دون أنْ يفطروا بغير الماء، فقدّر الله عزّ وجلّ إيثارهم بسورة الدهر، والإمام السجّاد (عليه السلام) بكى وانتحب على أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) طول عمره وقد عاش دائم السقم والحزن نحيف البدن، واصفرّ لونه بالإستدامة على العبادة وعمشت عيناه من السهر ودبرت جبهته وخرُم أنفه من السجود، وضَعُفَ من كثرة العبادة حتى كانت الريح تحرِّكه، ولما سأله جابر الأنصاري البقاء على نفسه، أجابه (عليه السلام): لا أزال على منهاج أبويَّ متسياً بسنتهما حتى ألقاهما، والإمام الكاظم (عليه السلام) قد هزل من العبادة حتى صار كالشن البالي من العبادة، وكان إذا سجد بدا وكأنه ثوب مطروحٌ على الأرض، وأنّ الإمام المهديّ (عليه السلام) يبكي حتى يتحادر الدم من عينيه بدلاً من الدّموع، وأنّ الرّباب زوجة الإمام الحسين (عليهما السلام) آلت على نفسها بعد رجوعها إلى المدينة أنْ لا تستظلّ تحت سقفٍ حتى تقشّر جلدها من وهج الشمس وعاشت (عليها السلام) سنة بعد الإمام (عليه السلام) ثمّ ماتت (عليها السلام) كمداً وحسرةً على زوجها (عليه السلام)، وهكذا ماتت كمداً مولاتنا رقيّة والعقيلة الصدّيقة زينب (عليها السلام) إلى غير تلك النظائر الدالة على حصول الضرر من أولياء الله تعالى من أجل هدف أسمى وغاية نبيلة، مما يعطينا انطباعاً خاصاً وتصوراً عاماً على أنّ مجرّد الإضرار بالصحّة غير محرَّم في الإسلام، بل هو محمود إنْ كان في سبيل الله، من هنا قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إيما مؤمنٍ مسّه أذىً فينا صرف الله عن وجهه الأذى...".

من كلّ هذا ظهر أنّ كلّ ما يضرّ بالصحّة و النفس ليس حراماً بشكل مطلَق كما يبدو لبعض المترأسين على الشيعة بقوّة الحديد والنار والجَلْد بالسياط لمن خالفهم، بل إنّ بعض مراتب الإضرار بالنفس والصحة يكون مطلوباً عرفاً وشرعاً حسبما أشرنا، وحيث إنّ مواكب التطبير لا ضرر فيها أصلاً حسبما شهدت به التجربة ودلّت عليه سيرة الشيعة الكرام في كلّ عامٍ أيام عاشوراء، لذا فهي جائزة ـ حسبما أشرنا سابقاً ـ بل ومستحبّة شرعاً، فتأمّل.

❁❁❁❁❁

الدّعوى الثالثة
التطبير والضرب بالسلاسل لم يكن معهوداً
في زمن الإئمّة المعصومين عليهم السلام

إنّ التطبير والضرب بالسلاسل "لم يكن معهوداً أو ليس له سابقة في زمن الأئمّة المعصومين المطهَّرين عليهم السلام، ولم يرد في حديث أنهم عليهم السلام أمروا بها، أو أيّدوها بشكلٍ خاص ولا بشكلٍ عام"[٧٣] فهي إذن بدعة أقحمها بعض الشيعة في الشعائر، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

وبتوضيحٍ آخر: إنّ البدعة هي إضافة شيء جديد إلى الدين ما هو من الدين أصلاً ولا فرعاً، والتطبير هو إدخال شيء في الدين هو في الأصل ليس من الدين.

والظاهر لنا من خلال تتبعنا لمفهوم البِدْعة أن صاحب الدعوى المتقدِّمة قد أخذها من علماء المخالفين الذين يرون أن البِدعة هي:"كلّ محدثة لم يرد فيها نصٌّ عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

يرد على هذه الدعوى المتقدِّمة بالوجوه الآتية:

(الإيراد الأول): ليس كلّ جديد بدعة، وإلاّ لحكمنا على كثير من الأحكام الشرعيّة بالبدعة باعتبار أنه لم ترد فيها رواية خاصة، وإنما دلّ عليها الدليل العام والقواعد العامّة، فالبدعة المبغوضة عبارة عن تشريع حكمٍ إقتراحيٍ لم يكن في الدّين ولا من الدين، والأخبار الواردة في ذم البدعة والمبتدع ناظرة إلى التشريع في الدين، بل هي واردة مورد حكم العقل بقبح التشريع من غير المشرّع بعنوان أنه شرع إلهي ومستمد من الوحي السماوي، وإلاّ فأين محلّ الشبهات الحكمية التي وردت الروايات بالبراءة فيها وحكم العقل بقبح العقاب عليها؟

فالتطبير وبقيّة الشعائر مما اشتُهرت عندنا نحن الشيعة، وما اشتهر وتعارف عند الخواص والعوام ليس مما نهى عنه الشرع أو حكم بقبحه العقل وإلاّ لحكمنا على عامّة الفقهاء المتأخرين بأنهم أصحاب بدعة، ويؤسفنا أنّ بعض مَنْ حرّم التطبير ونَعَتَ فاعله بالمبدع في الدّين، قد نعت بذلك كلّ الفقهاء الّذين أفتوا بحليّة التطبير بأنهم أصحاب بدعة.

مضافاً إلى أنّ عدم ورود تأييد من المعصوم للتطبير بشكل خاص وعام يُعتبر مزحةً لا يكاد يصدّقها متفقه عدا عن فقيه، إذ كيف يرد فيها نص خاص وهي كغيرها من الحوادث الطارئة التي قام الدليل على إثبات حكمها، فشرب التتن ـ مثلاً ـ والإستنساخ وزرع الأعضاء وغيرها من المواضيع التي قام الدليل العام على إثبات حكمها ـ جوازاً أو منعاً ـ لم تكن معهودة أو لها سابقة في عصورهم عليهم السلام، فلو أنّ كلّ شيء لم يكن

معهوداً أو لم يرد فيه تأييد منهم في عصرهم عليهم السلام فيحرم، إذاً لحرم كثير من الموضوعات التي يترتب عليها حكم شرعي والتي أفتى بها عامّة فقهاء الإماميّة، ولما أمكن لصاحب الدّعوى المزبورة أنْ يفتي بحليّة كثير من الموضوعات التي لم تكن لها سابقة في عصورهم عليهم السلام بل عليه حينئذٍ أنْ يفتي بالحرمة لكونها لا سابقة لها.

فعلى ضوء هذا الكلام يُعتبر ركوب الطائرة أيضاً حراماً لأنّ ذلك لم يكن له سابقة في عصورهم عليهم السلام فلِمَ يفتِ صاحب الدّعوى لمقلّديه بجواز ركوبها؟!!

(الإيراد الثاني): إنّ القول بحلية التطبير لا يعني أنه صار جزءاً أصيلاً من الدّين، أي حينما نقول بحلية التطبير؛ فإننا لا نجعله من الأركان التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لا يمكن أنْ نجعله مصداقاً من مصاديق مفهوم البدعة المتقدّم؛ لأنّ التطبير لا يضيف شيئاً إلى دين الله مما هو ليس منه، إذ غاية الأمر أنّ التطبير مظهرٌ من مظاهر الحزن والجزع على سيّد الشهداء عليه السلام اللذين أكّدت عليهما سنة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وأوصت بهما، وليس خفياً؛ فإنّ الحزن والجزع على مراتب متعددة، يختلف التعبير عنها من إنسانٍ لآخر بحسب انفعاله وتأثره، فقد يكون التعبير عن الحزن بالتحسّر والتوجع أو بالإكثار من الإسترجاع والحوقلة، أو بالسكوت والإنطواء، أو بترك الملذات والمسرات بارتداء الثياب السّوداء أو بالبكاء والنحيب أو بالصراخ والعويل، أو بلطم الوجه ولدم الصدر، أو بضرب الرأس أو الجسد باليد أو بالحجر كما فعل التوابون في عهد الإمام السجّاد عليه السلام، أو بضرب نفسه بالأرض إلى آخر ما هنالك من مظاهر متنوعة في إظهار الحزن والجزع، وما التطبير حزناً وجزعاً على الإمام الشهيد المظلوم عليه السلام إلاّ مرتبة من تلكم المراتب التي يراها المحبّون أنها وسيلة للتعبير عن حزنهم وجزعهم لهذه المصيبة العظمى والرزيّة الكبرى بل هي نوع تذكير بأيام الله تعالى

حسبما أسلفنا سابقاً، فأين وجه تسمية التطبير ووصفه بأنه بدعة إذن؟ أليس الأولى أن نصف مَن حكم بكونه بدعة من دون دليل من الكتاب والسنة؛ بأنه أتى ببدعة، بل لم يكتفِ بذلك حتى رمى فقهاء الإماميّة "حفظ الله الورعين منهم ورحم الماضين" بأنهم أصحاب بدعة؟

(**الإيراد الثالث**): لم نرَ بحكم ما لدينا من الأدلّة الشرعيّة الإستنباطيّة دليلاً واحداً يدلّ على حرمة التطبير، فلم يَرِد في النصوص الشرعيّة الواردة عن أئمتنا (عليهم السلام) ولو بخبرٍ واحدٍ يقول: إنّ التطبير حرام أو أنّ اللطم حرام، فإذا لم يوجد أيُّ نصٍّ شرعيٍّ يحرّم التطبير فيبقى حينئذٍ ــ أي التطبير ــ على أصالة الحلية التي عمل بها فقهاء الإماميّة قديماً وحديثاً طبقاً للقاعدة المسنونة عنهم (عليهم السلام): "كلّ شيء لكَ حلال حتى تعلم الحرام بعينه فتدعه"، فيعتمد عامّة الفقهاء في أصول استنباطاتهم للأحكام على الأصل العملي عند فقدان النص الخاص، وحيث إننا وبنحو قطعي لا نملك نصاً أبداً من كتاب ولا من سنة يمنع من التطبير حزناً وجزعاً على الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا وجب علينا والحال هذه أنْ نتمسّك بأصل الحلية الّذي سنّه لنا أئمتنا (عليهم السلام) في حال لم نعثر على دليل خاص، وعليه فالتطبير حلال طبقاً للقاعدة العامّة ــ وهي أصالة الحل ــ المنصوص عليها في أصول الفقه والمعتمَدة في عمليّة الإستنباط الشرعي.

(**الإيراد الرابع**): أي علاّقة أو ملازَمة بين شرعيّة الشيء وبين قدمه أو حداثته، فحلال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامه (صلى الله عليه وآله وسلم) حرامٌ إلى يوم القيامة أيضاً، فمن السخف القول بأنّ الحلال هو ما كان متعارفاً في عهود الأئمّة (عليهم السلام)، ولم يتفوّه به أحد من فقهاء الإماميّة على الإطلاق، نعم، المخالفون يميلون إلى هذا الرأي الفاسد ومَن سار على طريقهم من شواذ الشيعة.

(الإيراد الخامس): دعوى أنّ مواكب التطبير حزناً على الإمام الحسين عليه السلام محرَّمة؛ لأنها لم تكن معهودة في عصور الأئمّة عليهم السلام هزيلة جدّاً، إذ عدم معهوديتها في عصور الأئمّة عليهم السلام لا يستلزم حرمتها وإلاّ لحرّمنا كثيراً من الأمور بسبب عدم معهوديتها في عصور الأئمّة الأطهار عليهم السلام، مضافاً إلى أنّ مواكب التطبير بهذه الهيئة المعروفة في زماننا لم تكن موجودة في أزمنة الأئمّة عليهم السلام لسبب جداً واضح وهو التقيّة الشديدة التي عاشها أئمتنا عليهم السلام وشيعتهم، مع التأكيد على أنّ الأصول النظرية لهذه المواكب الشريفة من دون تحديد لهيئة معيَّنة لها تجيز لنا كلّ وسيلة مشروعة يمكن من خلالها إظهار الحزن والجزع على سيّد الشهداء عليه السلام؛ فإنّ لذلك مدخليّة في إحياء القضيّة الحسينيّة الشريفة وإذكاء وقودها وتوهجها في العقول والقلوب، مع التأكيد على ما صدر من البكاء دماً وخمش الوجوه إلى نطح الرؤوس، بالحجارة أيام التوابين، كلّ ذلك إشارات ودلالات على حلية التطبير واستحبابه.

وبالجملة: لا ملازمة بين إباحة التطبير وبين معهوديّته في عصورهم عليهم السلام بعد أنْ علِمْنا أنّ أحاديثهم عليهم السلام لم تحدّد لنا طريقة التعبير عن الحزن والجزع على سيّد الشهداء عليه السلام ولم تجعل الأمر توقيفياً على نحو معيَّن أو كيفيّة مخصوصة، بل فتحت الباب بتأكيد معنى الجزع واستحبابه واستحباب إظهاره على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وما التطبير إلاّ مصداقاً من مصاديق إظهار الجزع والحزن لأجل هذه المصيبة العظمى والرّزيّة الكبرى التي ليس لها شريك ونظير في عالَم الملاحم ولن يكون لها مثل هذه التراجيديا الأليمة.

(الإيراد السادس): إن الشيعة في عصور الأئمة الأطهار سلام الله عليهم كانوا يعيشون التقية الملزمة عليهم لحفظ وجودهم من الإندثار والهلاك، فعدم وجود أمثال

هذه الشعائر المباركة في عهودهم الشريفة ـ بسبب عدم قدرتهم على إقامتها ـ لا يستلزم عدم مشروعيتها في هذه الأزمنة المريحة التي أنعم الله تعالى بها علينا كشيعة نحيي شعائر أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، ولو فُسِحَ المجال للشيعة يومذاك كما فُسح لهم في هذه الأزمنة لما قصَّروا في إقامة الشعائر بكلّ مصاديقها.

*****

الدّعوى الرّابعة

هذه الشعائر توجب استهزاء الأجانب بنا

إنّ التطبير يوجب استهزاء الأجانب بالشيعة، بل إنّ المجتمع الّذي تدور فيه مواكب التطبير مجتمعٌ خرافيٌّ وغير منطقي[(٧٤)].

نورد على هذه الدعوى بالوجوه الآتية:

(**الإيراد الأول**): إنْ كان المراد بالخرافة هو أنّ التطبير لم يكن له وجود في عصر النص، إذاً ثمّة الكثير من الأحكام المستنبطة لا وجود لها في الشريعة أصلاً في عصر النص، وإنْ كان المراد منها هو أنه ليس لمتعلقها وجود في الخارج، فهو أمرٌ يكذّبه الوجدان، إذ إنّ التطبير له وجود خارجاً ويتصف بأوصافٍ شتى، فتارةً وصفناه بأنه مظهرٌ من مظاهر الحزن والجزع على سيّد الشهداء (عليه السلام)، ومرّةً وصفناه بأنه تعظيم للشعائر، وأخرى بأنه تذكير بأيام الله تعالى، وهذه الأوصاف الثلاثة كلها حقيقة موجودة في الواقع الخارجي، فأين الخرافة التي لا وجود لها بيننا؟!!

وإنْ كان المراد بالخرافة أنّ التطبير هو جزء من الدّين فهو أمر باطل ولا أحد يعتقده ممن يقول بحلية التطبير، بل هو وسيلة تعبيريّة عن الحزن والجزع وتعظيم الشعائر، وكلّ ذلك أمرت به الشريعة المقدَّسة، فلا معنى حينئذٍ لوصف التطبير بأنه خرافة لا حقيقة له في الخارج، أليس الأولى أنْ نصف مثل هذا الكلام بالخرافة؛ لأنه تحدث عن معنىً لا أساس له، وحَكَمَ عليه بشيءٍ لا وجود له أصلاً، والحقيقة أنّ هذا الكلام هو الخرافة بعينها.

(الإيراد الثاني): ما من دينٍ أو مذهبٍ إلاّ وله مراسم تخصُّه، يعمل أتباعه بها ويفخرون على غيرهم بانتسابهم إليها، وما نملك لا يملكه غيرنا، إذ إنّ واقعة الطف لا نظير لها في عالَمَ الإمكان، فتعظيم تلك الواقعة بتمثيل ما جرى على صاحبها عليه آلاف التحيّة والسلام بإظهار كلّ وسائل الحزن عليه لتذكير العالَمَ بمأساته عليه السلام التي لا تضاهيها مأساة، تعتبر في الواقع من أهمّ ما ينبغي أنْ يفعله المسلم في زماننا هذا وفي كلّ زمنٍ، مع التأكيد على أنّ البكاء أيضاً يوجب استهزاء الأجانب بنا فلِمَ لا يحرّمه صاحب الدّعوى وأمثاله مع أنه قد دلّت الأخبار الكثيرة على استحبابه والحثّ عليه، وهؤلاء المحرِّمون أنفسهم يتظاهرون بالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام في كلّ عام أمام الآلآف من أتباعهم، فهلاّ حرّموا البكاء أيضاً حتى لا يكون وصمة عارٍ عليهم؛ لأنّ الأجانب يستهزئون بالبكاء على رجلٍ مات منذ مئات السنين؟!!!!

نقول لأولئك الّذين يخجلون من شعائرهم: إنّ الدّين لا يُهْجَر ولا يتغيّر باستهزاء المعاند أو الأجنبي، بل علينا أنْ نسخر نحن ممن يرى الدعارة فخراً والغدر هوىً واللواط والجناية تقدُّماً ثمّ يتّهمنا بالرجعيّة والهمجيّة والتخلُّف.

(الإيراد الثالث): كيف يصغي هؤلاء السذج إلى سخرية الأعداء واستهزائهم ويصدّقونهم في استهزائهم وقد نهانا الله تعالى عن تصديق الفاسقين والكافرين بقوله

تعالى: ﴿**إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أنْ تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ (الحجرات/٦) فسخريتهم واستهزائهم هو نبأٌ، له خلفيات غير سليمة، فكيف يجوز لأولئك المحرِّمين الإصغاء إلى الفاسقين والكافرين مع أنهم يدّعون أنهم أولياء للأمور ويقفون موقفاً سلبياً من الكفار والفاسقين؟ فهل يجوز الإصغاء إلى هؤلاء، ونعت المطبِّرين والعلماء الّذين أفتوا لهم بالجواز بأنهم مبتدعون ورجعيون؛ لأنّ الأجانب يستهزئون بالتطبير؟!! وهل يجوز لمن شمّر عن ساعده لمحاربة الكفّار والمنافِقين أنْ يلتمس الأعذار لهم ويحرّم شعيرةً لأنّها تُسخطهم وتعكِّر عليهم صفو عيشهم؟!!!

صدق الله العليّ العظيم حينما قال: ﴿**لن ترضى عنكَ اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتّبعتَ أهواءهم بعد الّذي جاءَكَ من العِلْم ما لكَ من الله من وليٍّ ولا نصير**﴾ (البقرة/١٢٠).

فما عجز عنه الأعداء حقّقه بعض العلماء، وسؤالنا لهؤلاء: متى كان استهزاء الأعداء وسخريتهم دليلاً على تحريم الحلال وتحليل الحرام؟!!! ومَن هم هؤلاء المستهترون المستهزئون الساخرون؟ وما قيمة سخريتهم واستهزائهم بنا؟ وما هو قدرهم وشأنهم عند الله تعالى حتى نقيم لاستهزائهم وزناً؟!

إنّ أعداء الله تعالى من المخالِفين والمعاندين والمنافقين والمشركين مذ كانوا ولا يزالون دائماً يسخرون ويستهزئون بديننا وعقائدنا وأحكامنا الشرعيّة وعباداتنا ومناسكنا وأعرافنا وتاريخنا، فهل يكون استهزاؤهم مبرراً لترك وهجران ديننا و تاريخنا؟!!

إنّ الإستهزاء والسخرية من الأمور التي واجهت كلّ وليّ ورسول ومصلِحٍ على مرّ الدهور والعصور، وها هو القرآن الكريم يحدّثنا بأجلى آياته كيف كان الإستهزاء عادةً متأصّلة بالكافرين ينعتون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسل الله قبله، لذا قال تعالى:

(١) ـ **﴿ولقد استهزئ برُسلٍ من قبلك فحاق بالّذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾** (الأنعام/١٠).

(٢) ـ **﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتُهم فكيف كان عقاب﴾** (الرّعد/٣٢).

(٣) ـ **﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين، وما يأتيهم من رسولٍ إلاّ كانوا به يستهزءون﴾** (الحجر/١٠ـ١١).

(٤) ـ **﴿وإذا رآك الّذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الّذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرّحمان هم كافرون﴾** (الأنبياء/٣٦).

(٥) ـ **﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الّذي بعث الله رسولاً﴾** (الفرقان/٤١).

(٦) ـ **﴿بل عجبت ويسخرون، وإذا ذُكّروا لا يذكرون وإذا رأوا آيةً يستسخرون﴾** (الصافات/١٢ـ١٤).

(٧) ـ **﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾** (الكهف/١٠٦).

(٨) ـ **﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كُنّا نعُدُّهم من الأشرار اتخذناهم سِخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾** (ص/٦٢ و٦٣).

(٩) ـ **﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾** (الزمر/٤٨).

فالكافرون كانوا يستهزءون بالرّسل، ولم يعبأ الرّسلُ بهم، فالموقف الشرعي منهم هو أن نسخر من مقالتهم كما سخروا منا، وأن نبتعد عن مجالسهم وأقوالهم كما ابتعدوا عن مجالسنا، قال تعالى:

(١) ـ ﴿ويصنع الفلك وكلّما مرّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه قال إنْ تسخروا منا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون﴾ (هود/٣٨).

(٢) ـ ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفرُ بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذاً مثلهم، إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾ (النساء/١٤٠).

(٣) ـ ﴿يا أيها الّذين آمَنوا لا تتخذوا الّذين اتّخذوا دينكم هزواً ولعباً من الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين﴾ (المائدة/٥٧).

إنّ كلام الله تعالى يصدع في أسماعنا بأنّ كلّ الرّسل والأولياء كانوا في معرض استهزاء وسخرية الكافرين والمنافقين والفاسقين فما كان منهم إلاّ الثبات والإصرار، وما كانوا يعبأون بطنطنات الساخرين وازدرائهم ما داموا على طريق الحق وفي سبيل الله تعالى! وما يحيرني هو أنّ أولئك المدّعين كيف يفتون في مقابل كلام الله تعالى، فإنْ كانوا جاهلين بتلكم الآيات فتلك مصيبة وإنْ كانوا عالِمين فالمصيبة أعظم!!

إنّ على المؤمن ـ وبطريق أولى الفقيه القائد الّذي يجعل نفسه قيّماً على الحالة الإسلامية بل يعتبر أنّ له ما للنبيّ والعترة (عليهم السلام) من الولاية ـ أن يصبر ويصمد أمام سخرية الأعداء ويقف منهم موقف الشاجب والرافض لاستهزائهم بالإبتعاد عنهم لا أنْ يسايرهم ويجاريهم فيقلب الحلال إلى حرام، والحرام إلى حلال بحجّة أنهم يستهزءون بنا،

قال تعالى: ﴿**لتُبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الّذين أشركوا أذىً كثيراً وإنْ تصبروا وتتقوا فإنّ ذلك من عزم الأمور**﴾ (آل عمران/١٨٦)، هذه الآية وأمثالها تبيّن لنا كيف يجب أنْ نتصرّف مع المستهزئين، كما انها تأمرنا بألاّ نتخذهم أولياء ونلقي إليهم بالمودّة، وتوصينا بالثبات والصبر في مواجهة أذاهم وسخريتهم، فليس في كتاب الله آية تأمر المؤمن بالتنازل عن دينه في حال استهزأ به كافر، فلا مجال أنْ نُلغي بسبب الإستهزاء والسخرية ما هو صحيح في نفسه ومباحٌ وجائز بحسب القواعد العامّة الإستنباطيّة التي سار على نهجها عامّة فقهاء الإماميّة، ألم يطرق مسامع أولئك المحرِّمين ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): "فأبشِرْ وبشِّرْ أولياءَكَ ومحبِّيْكَ من النعيم وقرّة العين بما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر، ولكنّ حثالةً من الناس يعيّرون زوّار قبوركم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمّتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي"(٧٥).

لقد دعا الإمام الصادق (عليه السلام) في سجوده لزوّار جدّه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: "اللهمّ يا مَن خصّنا بالكرامة ووعدنا بالشفاعة وخصّنا بالوصيّة، وأعطانا عِلْمَ ما مضى وعِلْمَ ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا إغْفِرْ لي ولإخواني وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) الّذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في بِرّنا ورجاءً لِمَا عندكَ في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّكَ (صلى الله عليه وآله)، وإجابةً منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرَّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد وشرَّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم

إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس ، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى توافيهم على الحوض يوم العطش.

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عز وجل لظننت أن النار لا تطعم منه شيئا أبداً والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ ثم قال: يا معاوية لم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أرَ أن الأمر يبلغ هذا كله، فقال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض(٧٦).

وأيضاً عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "الحمد لله الّذي جعل في الناس مَن يَفِدُ إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهذون بهم ـ أي يسخرون بهم ـ (ن خ: يهذؤنهم) ويقبّحون ما يصنعون"(٧٧).

وعن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما ألقى من قومي ومن بنيّ إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين (عليه السلام) من الخير إنهم يكذّبوني ويقولون: إنّكَ تكذب على جعفر بن محمّد! قال (عليه السلام): يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاؤوا، واللهِ، إنّ الله ليباهي بزائر الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، والوافد يفده الملائكة المقرَّبون وحَمَلَة عرشه، حتى إنه ليقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين (عليه السلام) أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة بنت

رسول الله، أما وعزتي وجلالي وعظمتي لأوجبنّ لهم كرامتي ولأدخلنهم جنتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي.

يا ملائكتي هؤلاء زوار الحسين حبيب محمّد رسولي ومحمّد حبيبي، ومن أحبني أحبَّ حبيبي، ومَن أحبَّ حبيبي أحبَّ مَن يحبّه، ومَن أبغض حبيبي أبغضني، ومَن أبغضني كان حقاً عليَّ أنْ أعذّبه بأشدّ عذابي، وأحرقه بحرّ ناري، وأجعل جهنّم مسكنه ومأواه، وأعذّبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالَمين"[٧٨].

وبالجملة؛ فإنّ الإستهزاء والسخرية لا يبرّران رفع الأيدي عن الأحكام الشرعيّة؛ لأنّ سخرية الأعداء ليست معياراً ومناطاً للحلال والحرام، ومَن حاول مسايرتهم وإرضاءهم سيكون في مقابل كتاب الله تعالى الآمر بمخالفة الفاسقين والكافرين ﴿**ولئن اتبعت أهواءَهم بعد الّذي جاءك من العِلم ما لك من الله من وليٍّ ولا نصير**﴾ (البقرة/١٢٠).

أراد هؤلاء المحرّمون تنكيس التطبير الّذي هو شعيرة حسينيّة إرضاءً للأجانب، لكنّ الله أبى إلاّ أنْ يتمّ نوره ولو كره الكافرون، وصدق ما روي عن مولاتنا زينب (عليها السلام) قالت: فوالله إنّ ذلك لعهدٌ من رسول الله إلى جدّكَ وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمّة، وهم معروفون في أهل السماوات إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرَّجة وينصبون لهذا الطف عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء (عليه السلام) لا يُدْرَس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علوّاً"[٧٩].

نعم، أرادوا محو ذكره وشعائره فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علوّاً ولو كره المشركون...والكافرون...والمنافقون... والمشكِّكون.

والخلاصة: إنّ سخرية واستهزاء الأجانب أو المخالِفِين لا يغيّر الأحكام الشرعيّة وإلاّ لغيّر الأنبياء والمرسَلون والأولياء عليهم السلام أوامرهم وسيرتهم وعباداتهم؛ لأنّ الأعداء قد استهزأوا بهم وسخروا منهم، وقبل أنْ يسخر منا الأعداء، فليسخروا من أنفسهم الخبيثة وعاداتهم التعيسة وأفعالهم الخسيسة، وقبل أنْ يلمزوا بنا، عليهم أنْ يروا ما عندهم من عقائد عفنة وفقهٍ معوَجٍّ وأقيسةٍ ملتوية، وطرق صوفيّة مأخوذة من شياطينهم وعفاريتهم، وصدق عليهم المثل الرائج: يرى الذبابة في عين غيره ولا يرى الخشبة في عينه، وهؤلاء نظير رُهم بنت الخزرج حيث عيّرت ضرتها بعيب كان فيها، فقالت لها الضرّة: رمتني بدائها وانسلَّتْ.

فأما الأجانب الغربيون والشرقيون الّذين لا يلتزمون بالإسلام ديناً، فإنّ ما لديهم من الطقوس الدينيّة والصوفيّة والعادات الغريبة ما تضحك منها الثكلى، ويكفي ما يفعلونه في أسبوع الآلام من صلب بعض الناس حيث يثبتونهم بالمسامير بأيديهم وأرجلهم على الأخشاب وهم أحياء ، ويعتبرون ذلك تقديساً وإظهاراً للحزن وتعبيراً عن آلام نبيّ الله عيسى الّذي صلبه اليهود بحسب زعمهم، ولماذا لا يرون اللواط والسحاق والزنا ومحاربة الثيران وغرز السهام فيها أمام آلاف من الناس المبتهجين بتألم الثور وهو يصارع مغروراً لا رحمة في قلبه، ولا أحد يعتبرها همجيّة وتخلفاً بل يعتبرونها تقدّماً وحضارةً وفنّاً أصيلاً يفتخر به الإسبانيون والفرنسيون بشكلٍ عام؟!! فلِمَ لا يمنعها الاسبان لأنها خلاف الحضارة والشفقة والرفق بالحيوان، ولئلاّ يبتعد المسلمون عن المسيحيّة لو لم يقضوا عليها؟!

وأما المخالفون فحدّث ولا حرج؛ فإنّ إلقاء نظرة على كتبهم الفقهيّة والعقيديّة المليئة بالخرافات والخزعبلات ما يكون كافياً بأن يسخروا من أنفسهم قبل أنْ يسخروا بغيرهم، فلماذا نستسلم ـ إذن ـ لحملات التشنيع المغرضة من قبلهم على مراسم عاشوراء، وهي حملات تخفي وراءها توجهات عدائيّة لتحطيم أفضل شعيرة في الإسلام ألا وهي الحِداد والبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، حيث إنه يؤجّج نار الغضب[*] على أعداء أئمتنا الأطهار عليهم السلام، ويبرز العشق للإمام الحسين عليه السلام حيث يولّد تكاتفاً حول قضيّته الكبرى التي أساسها تدعيم أصول العقيدة والثورة على الظلم والظالمين، وهذان أمران لا يحبُّ أعداءُنا أنْ نتّصف بهما، لذا سعوا ويسعون دائماً لتحريك فئات سياسيّة وحزبيّة تتظاهر وتتمظهر بثوب الدّين ولها بسطٌ وهيمنة في الأوساط الشيعيّة، لتصدّر الفتاوى والأحكام في تحريم كلّ ما لا يتناسب والفكر الأشعري المخالِف للشيعة أصولاً وفروعاً، وأعظم شيء يقضُّ مضاجعهم هو التطبير وضرب الأكتاف بالسلاسل والسياط، من هنا باتوا يرمون المطبرين والبكائين بالجهل والتخلف والهمجيّة والقسوة، و...و...، فكانت لديهم أساليب مختلفة في المكر والخديعة والمحاربة بحيث يرون أنها تؤثر في إضعافنا وإسقاط إرادتنا وإصرارنا على إقامة الشعائر برمّتها دون أنْ نستثني واحدةً منها.

---

[*] ورد سابقاً في صحيحة معاوية بن وهب أنّ الإمام الصادق عليه السلام دعا لزوار الإمام الحسين عليه السلام فقال: اللهم ...اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي عبد الله الحسين... رجاءً لِمَا عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا أرادوا بذلك رضوانك.."؛ فإدخال الغيظ على الأعداء ـ في بعض الأحيان لا سيّما في مراسم مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام ـ مطلوب شرعاً بحسب ما جاء في هذه الصحيحة المباركة.

ولو أردنا أنْ نسايرهم فيما يفترون ونخضع لأجوائهم المملوءة بالمكر والخديعة، إذاً لكنا ألغينا منذ أمدٍ بعيدٍ أغلب تلكم الشعائر المقدَّسة وعلى راسها البكاء والتطبير، ولو أردنا أيضاً أنْ نخضع لأجواء السخرية والإستهزاء لَكَان لِزاماً علينا أنْ نلغي الكثير من الأحكام التي لا تتناسب مع الأجانب، فكان من اللازم إلغاء عقوبة رجم الزانية المحصنة والمحصن لأنّ ذلك محرّم عند الأجانب، وكذا علينا أنْ نلغي قطع يد السارق لأنه سرق ربع دينار، وغير ذلك من التشريعات التي يرفضها العلمانيون جملةً وتفصيلاً، ويشوشون على البسطاء من الناس بزرع الشبهات حول مراسم عاشوراء والتشكيك بها.

ودعوى أنّ بعض الناس يشعرون بالخوف والرّهبة عندما يشاهدون الدّماء تسيل من رؤوس المطبّرين، لذا لا بدّ من مراعاة حالهم لا سيّما إذا أدّت مشاهدتهم للتطبير الصدود عن التفكير بالإسلام لذا لا بدّ من منع التطبير حرصاً على ذلك الأمر.

هذه الدعوى مردودة: إذ إنّ ذلك يقتضي أنْ نجمّد كمّاً هائلاً من الأحكام الشرعيّة التي لا تتناسب مع تلك الفئة من الناس؛ لأنّ مشاهدة بعضها يؤدي إلى الإحساس بالخوف والرّهبة نظير ما يترتب على رجم المحصنة بالحجارة حتى الموت أو بقطع يد السارق وغيرهما من الأحكام التي يترتب عليها آثار دمويّة مخيفة ومرعبة، وكما لا يجوز لنا أن نجمِّد الأحكام الشرعيّة الواجبة، كذا لا يجوز لنا أنْ نجمّد المستحبات إلاّ إذا أدّت إلى ضرر عظيم على فاعلها، فيجوز تركها لمن يتضرر بفعلها ضرراً يمنعه من أداء الواجب، أما أنْ يكون المستحب سبباً في جلب الإستهزاء والسخرية فليس هذا مبرراً كافياً لتركه؛ وذلك كما انَّ المستحب أو المباح قد يؤدي إلى الإستهزاء والسخرية كذا الواجب يؤدي إلى السخرية من الأعداء والمخالفين، فما دام التطبير قام الدليل

الشرعي على حليته وأيده العقل إذ لا يرى قبحه فلماذا إذن يكون فيه توهين للمذهب؟!!

زبدة المخض:

إنّ ما استند إليه مَن حرّم التطبير حزناً على سيّد الشهداء (عليه السلام) دونه خرط القتاد، وقد رأيت ـ أخي القارئ ـ تلك الدعاوى وأنها لا تثبت أمام النقد والنقاش لوهنها وضعفها ومخالفتها لصريح الحق، لذا لا يمكن أنْ تكون أساساً أو مستنداً وملاكاً تاماً لصدور فتوى شرعيّة صحيحة بأيّ وجه من الوجوه، وعلى هذا؛ فإنّ ما توهموه دليلاً ما هو إلاّ بدعة من بدع المخالفين والمائلين إليهم يرومون من خلالها إبعاد المؤمنين الطيبين عن الإرتباط بالإمام الحسين (عليه السلام) لأنه يقضّ مضاجعهم ويقوّض عروشهم الزائفة.

إنّ الإنصياع وراء تلك الدّعاوى الداعية إلى ترك الشعائر الحسينيّة لمجرّد ضحك الأعداء وسخريتهم، يكشف عن انهزاميّة بالغة في نفوس هؤلاء المتحزبين لأفكار العامّة، كما يدلّ ويكشف عن وجود عقد نفسيّة عند هؤلاء تجعلهم يقفون اتجاه المراسم الحسينيّة وبالأخص التطبير موقفاً سلبياً بل يقفون موقفَ الساخرين من المطبرين الشرفاء، ونحن نذكرهم بقوله تعالى: ﴿**يا ايها الّذين آمَنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أنْ يكنّ خيراً منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومَن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾ (الحجرات/١١).

إنَّ السخرية هي الإزدراء والإستهزاء بالآخرين، واللمز هو التعييب على المؤمنين أمام الناس، والآية الشريفة نهت عن كلّ ذلك، فهلاّ ارتدع أولئك المرجفون الّذين يلمزون ويسخرون بالمطبرين الّذين ما فعلوا ذلك إلاّ ابتغاء رضوان الله تعالى وفي سبيل

الإمام الحسين عليه السلام، فبدلاً من أنْ يوكافأوا بجميل الذكر والثناء العطر، أهالوا عليهم بالشتائم والألقاب المحرَّمة ووو...﴿**بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان**﴾.

****

هوامش الفصل الثالث

(١) ـ المنجد الأبجدي:٥٩٨، ولسان العرب:٤٠٨/٤.

(٢) ـ كتاب العين للفراهيدي:٢٥١/١، ولسان العرب:٤١٣/٤.

(٣) ـ لسان العرب:٤١٤/٤.

(٤) ـ بحار الأنوار:٣٢٠/٩٨.

(٥) ـ نظرتنا الفقهية في الشعائر الحسينيّة:١١.

(٦) ـ كامل الزيارات:٢٥٧ح٢٨٦ باب٤٩.

(٧) ـ كامل الزيارات:٢٥٧ح٣٨٧ باب٤٩.

(٨) ـ تفسير الميزان:٣٧١/١٤.

(٩) ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة/مفاتيح الجنان:٦١٩.

(١٠) ـ مفاتيح الجنان:٦٢٢.

(١١) ـ تفسير العياشي:٢٣٩/٢، وتفسير نور الثقلين:٥٢٦/٢.

(١٢) ـ تفسير نور الثقلين:٥٢٦/٢ح٧.

(١٣) ـ تفسير نور الثقلين:٥٢٦/٢ح٩.

(١٤) ـ تفسير نور الثقلين:٥٢٦/٢ح٨.

(١٥) ـ بحار الأنوار:١٩٤/٥٠ح٦ ـ ٧ وج٢٣٨/٢٤.

(١٦) ـ بحار الأنوار:١٩٩/١ح٣ ـ ٦.

(١٧) ـ بحار الأنوار:٢٠٠/١ح٧.

(١٨) ـ بحار الأنوار:٢٠٠/١ح٨، وأمالي الطوسي:٢٨٨/١.

(١٩) ـ المنجد:٦٥٦، والمعجم الوسيط:٥٤٩، ولسان العرب:٤٩٥/٤.

(٢٠) ــ بحار الأنوار:٢/٢٨٠ح٤٧ باب٣٣.

(٢١) ــ بحار الأنوار:٢/٢٨٠ح٤٨ باب٣٣.

(٢٢) ــ بحار الأنوار:٢/٢٨٢ح٥٨.

(٢٣) ــ بحار الأنوار:٢/٢٧٤ح١٩.

(٢٤) ــ بحار الأنوار:٢/٢٧٤.

(٢٥) ــ بحار الأنوار:٢/٢٧٢.

(٢٦) ــ بحار الأنوار:٢/٢٧٢.

(٢٧) ــ أصول الكافي:١/١٦٤ح٢.

(٢٨) ــ أصول الكافي:١/٢٦٤ح٤.

(٢٩) ــ البداية والنهاية:١١/٢١٥ حوادث عام٣٥٤.

(٣٠) ــ الكامل في التاريخ:٨/٢٣٢و٦٣٢ حوادث عام٣٧٥هـ، والعبر لإبن خلدون:٤/٤٤٧.

(٣١) ــ البداية والنهاية:١١/٣٤٤، وأبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد:٢/٤٩١.

(٣٢) ــ الكامل في التاريخ:٩/٥٧٧.

(٣٣) ــ الشعائر الحسينيّة:١٣٦.

(٣٤) ــ بحار الأنوار:٤٤/٢٨٣ح١٧.

(٣٥) ــ الشعائر الحسينيّة:١٢٧ الطبعة الأولى.

(٣٦) ــ بحار الأنوار:٤٦/١٠٨.

(٣٧) ــ بحار الأنوار:٩٨/٣٢٠.

(٣٨) ــ بحار الأنوار:٤٥/١١٥، والمجالس الفاخرة:٢٩٨.

(٣٩) ـ الكامل في التاريخ:٤/٨٨ حوادث عام٦١هـ، والمحبر:٣/١٣، ومنتهى الآمال:١/٨١٩.

(٤٠) ـ الشعائر الحسينيّة للشيرازي:١٤٣ ط. ثانية، والتهذيب:٨/٣٢٥، وجامع أحاديث الشيعة:٣/٤٩٢.

(٤١) ـ اللهوف على قتلى الطفوف:٢٢٧، والمجالس الفاخرة:٢٧٥.

(٤٢) ـ اللهوف على قتلى الطفوف:١٩٩.

(٤٣) ـ نفس المصدر:١٤١.

(٤٤) ـ كامل الزيارات:٤٤٤ح١ باب٨٨.

(٤٥) ـ مجمع البحرين:٤/٤١١ مادة هلع.

(٤٦) ـ تفسير البرهان:٢/٢٦٧ح٢.

(٤٧) ـ من وهج العشق الحسيني:١٣١.

(٤٨) ـ كامل الزيارات:٣٦٤ باب٧٩ح٦١٨.

(٤٩) ـ نهج البلاغة/صبحي الصالح/٦٩ خطبة٢٧.

(٥٠) ـ كامل الزيارات:٢٥٧ح٣٨٦.

(٥١) ـ كامل الزيارات:٢٥٧ح٣٨٧.

(٥٢) ـ كامل الزيارات:٢٤٢ح٣٥٩.

(٥٣) ـ كامل الزيارات:٣٤٣ح٣٦٠.

(٥٤) ـ كامل الزيارات:٣٤٣ح٣٦١ باب٤٥.

(٥٥) ـ كامل الزيارات:٤٦٢ح٧ باب٩١.

(٥٦) ـ كامل الزيارات:٤٤٤ح١ باب٨٨.

(٥٧) ـ كامل الزيارات:٢٣٩ح٣٥٧ باب٤٤.

(٥٨) ـ كامل الزيارات:٢٠٣ح٢٩٠ باب٣٢.

(٥٩) ـ تفسير مجمع البيان:٢/٢٧.

(٦٠) ـ تفسير مجمع البيان:٢/٢٦.

(٦١) ـ ولاية الفقيه العامّة في الميزان.

(٦٢) ـ أصول الكافي:٢/٣٦٢ح٣، وبحار الأنوار:٧١/١٨٦ باب١٣ح٧، ونهج البلاغة قصار الحكم/٣٦٠.

(٦٣) ـ الوسائل:٨/٥٤٥ باب١٢٢ من أبواب أحكام العشرة:ح١٠.

(٦٤) ـ أصول الكافي:٢/٣٦٠ح٥.

(٦٥) ـ بحار الأنوار:٥٩/١١٢ح١٢.

(٦٦) ـ بحار الأنوار:٥٩/١١٢ح١٣.

(٦٧) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٠ح٤٤.

(٦٨) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٠ح٤٥.

(٦٩) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٦ح٨١.

(٧٠) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٧ح٨٤، ووسائل الشيعة:١٢/٧٣ح١٠.

(٧١) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٧ح٨٤.

(٧٢) ـ بحار الأنوار:٥٩/١٢٩ح٩٣.

(٧٣) ـ أجوبة الاستفتاءات:٢/١٢٩ سؤال٣٨٥، وخطاب القائد:١٨ بشيء من التصرف بالألفاظ.

(٧٤) ـ خطاب القائد:١٩.

(٧٥) ـ وسائل الشيعة:١/٢٩٨ باب٢٦ح١.

(٧٦) ـ كامل الزيارات:٢٢٨ح٢ باب٤٠، وبحار الأنوار:١٠١/٨ باب١ح٣٠.

(٧٧) _ كامل الزيارات:٥٣٧ باب١٠٨ح٨٢٩.

(٧٨) _ كامل الزيارات: ٢٧١ باب٥٦ح٤٢٢.

(٧٩) _ كامل الزيارات:٤٤٥ باب٨٨ح١.

❁❁❁❁❁

الفَصْلُ الرَّابِع

(شبهاتٌ واهيةٌ ودحضها)

بسمه تعالى

بعد أنْ عجز أدعياء العِلم من الإستدلال على حرمة التطبير والضرب بالسلاسل ولم تنجع وتنجح معهم كلّ الوسائل التي استخدموها لمنع تلكم المظاهر المقدَّسة إنْ كان بواسطة التكليف الشرعي الولايتي أو بالقمع والقسر والضرب بل والحبس، أو بواسطة التفسيق وإلصاق التُّهَم والصفات الذميمة والقبيحة، عمدوا إلى أسلوبٍ آخر لا يقلّ همجيّةً عن سابقاته وهوإلقاء الشبهات والتشكيكات على مراسم عاشوراء ليسهل النيل منها وإطفاء وهجها المتوقّد مما يعرِّض قضيّة عاشوراء للضمور والإضمحلال في الوجدان العام للأمة شيئاً فشيئاً، فهذه التشكيكات وإنْ كانت واهنة وواهية كبيت العنكبوت إلاّ أنّ الرّدّ عليها واجبٌ لكونه دفاعاً عن المؤمنين الملتزمين بالشعائر الحسينيّة، ولئلاّ يؤدّي عدم الرّدّ إلى إضعاف الشعائر المقدَّسة وبالتالي إضعاف المؤمنين بها والتهكّم عليهم...! وإليكم أهم تلكم التشكيكات ثمَّ نعقبها بالتفنيد العلمي بفضل الله تعالى وبركة النبي وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم:

التشكيك الأول

يطبّر بعضُ الناس في النبطيّة كلّ عام لأولادهم الصغار، مع أنه لا يجوز للوالد أنْ يتصرّف ببدن ولده، بل ورد أنه لو ضربه فاسودّ الجلد أو اخضرّ فعليه الدية، فكيف بمَن يقشر جلد ولده الصغير، وهذا عين ما يفعله المطبرون حيث يقشرون جلود رؤوسهم أو جلد مَن يطبرون على رأسه فإنّ عليهم الدية كما هو ملحوظ في باب

الديات، ففي الحارصة وهي التي تقشر الجلد فيها بعير، والدامية وهي التي تأخذ من اللحم يسيراً فيها بعيران، والهاشمة وفيها عشرة، وعليه فإنّ مَن يطبّر؛ عليه الدية لكونه ارتكب حراماً.

نورد على هذا التشكيك بالوجوه الآتية:

(**الوجه الأول**): إنّ جرح رأس الطفل بالموْسَى ـ آلة حادة ـ وغيره ليس حراماً، بل هو مباح كما أسلفنا سابقاً، والمباح قد تعرض له جهات محسِّنة، فإنّ جرح الرّأس في يوم عاشوراء راجح لكونه مواساةً لسيّد أهل الإباء عليه السلام وإظهاراً للتفجّع والتلهف عليه وعلى أهل بيته وصحبه بتمثيل ما جرى عليهم من إسالة الدماء على وجوههم وأجسامهم، بل إنّ الضرب بالسيوف أو الخناجر والإدماء للصغار والكبار مباح بمقتضى أصل الإباحة بل راجحٌ بقصد إعلان الشعائر للأحزان الحسينيّة، وعلى هذا أفتى عامّة فقهاء الإماميّة إلاّ مَن شذّ عن طريقة آل البيت عليهم السلام وسلك منهج أعدائهم.

(**الوجه الثاني**): إنما تثبت الدية على الضارب فيما لو جناه إنسان على آخر عدواناً وظلماً وعبثاً لا ما إذا فعله الإنسان بنفسه أو بغيره لأجل هدف روحي وفكري ومادي، وإلاّ أين يقع حكم الحجامة من الحارصة والدامية والهاشمة، وهل على الحجّام أنْ يدفع الدية للمحتجم أو لا ديّة عليه مع أنّ الحجامة نفعها مادّي؟ قام الإجماع بعدم دفع الدية وذلك لمشروعية الحجامة وقيام الدليل الخاص عليها، وكذا التطبير قام الدليل العام ـ وهو أصل الإباحة ـ على حليته ومشروعيته، فلا يعدّ حينئذٍ ظلماً وعدواناً وعبثاً، وكذا ما تعارف من تزريق الأبر في الجسم وتجميل الاعضاء، فلم يفتِ أحدٌ من المتأخرين بوجوب دفع الدية على الطبيب لقصور الأدلة على وجوب دفع الدية في

أمثال هذه الموارد، فإذا جاز الترقيع والتجميل وتزريق الابر ــ وكلّ ذلك يترتب عليه إدماء وتقشير للجلد لمصلحة المريض المادية، جاز بطريق أولى جرح الرأس حزناً وتذكيراً بما جرى على الإمام المظلوم سيّد الشهداء عليه السلام، مع إنّ الهدف الرّوحي اسمى وأفضل من الهدف المادّي .

(الوجه الثالث): التطبير بالرأس للطفل داخل في باب الحجامة، وقد ورد في الأخبار استحباب الحجامة في الرأس للصغار والكبار، وقد سمّاها النبي صلى الله عليه وآله بالمغيثة والمنقذة، من هذه الأخبار ما ورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وأشار بيده إلى رأسه ـ عليكم بالمغيثة، فإنها تنفع من الجنون والجذام والبرص والآكلة ـ السرطان ـ ووجع الأضراس(١).

وعنه أيضاً عليه السلام قال: الحجامة في الرأس شفاء من سبع: من الجنون والجذام والبرص والنعاس، ووجع الضرس، وظلمة العين، والصداع(٢).

وعنه أيضاً قال عليه السلام: الحجامة تزيد العقل وتزيد الحافظ حفظاً(٣).

وعنه أيضاً قال عليه السلام: الحجامة في الرأس هي المغيثة، تنفع من كلّ داء إلاّ السّام، وشبر من الحاجبين إلى حيث بلغ إبهامه(٤).

وعنه أيضاً قال عليه السلام: إذا بلغ الصبي أربعة اشهر فاحتجموه في كلّ شهر مرّة في النقرة فإنه يجفف لعابه ويهبط بالحرّ من رأسه وجسده(٥).

إذن يستحب الحجامة للطفل لفائدتها وأهميتها سوآء أكانت في النقرة وهي ثقب وسط الورك أم كانت في الرأس للخبر المتقدم وللإطلاقات الدالة على استحباب الحجامة بالرأس وهي شاملة للصغار والكبار لأنّ الأخبار ليست في صدد تقييد الحجامة بالكبار، ولو أراد المعصوم عليه السلام الكبار فقط لَكَان نصب قرينة، ومع عدم

النصب يبقى اللفظ منعقداً في الإطلاق لا سيّما وأنّ المعصوم (عليه السلام) في مقام البيان مع ارتفاع التقيّة، وعليه فعلام يشوّش المرجفون من دعاة الوحدة على تطبير الكبار والصغار؟!! فإذا كان التطبير للصغار عملاً همجياً بنظرهم فبماذا سيجيبوننا عن اغتصاب الأطفال في الغرب ونكاح الأمهات والأخوات واللواط المشرَّع في قوانينهم وكذا السحاق وو...؟!! أو أنّ كلّ ذلك سيتغاضون عنه، ويتفرّدون بمهاجمة التطبير عبر عمائم لم يكمل إيمانها بأهل البيت (عليهم السلام) سوى أنها تنتسب بالإسم والعنوان إليهم (عليهم السلام)، لا سيّما بعض السادة المشكِّكين والمنتقصين من أمر شيعة آل محمّد (عليهم السلام)، وصدق عليهم ما ورد عن بعض أئمتنا (عليهم السلام) في الصحيح: "إتّقوا السفياني واتّقوا الشذاذ من وِلْدِ آل محمّد".

حذارِ مِنْ أتباع الوحدة!

لقد اتخذ هؤلاء من شعار الوحدة الإسلاميّة والحفاظ على مصلحة الأمة غطاءاً للطعن بالمهتمين بدراسة تاريخ آل محمّد (عليهم السلام) وشعائرهم المقدَّسة والأخبار الدالة على الولاية والبراءة من أعدائهم، بحجّة أنّ إثارة الحديث حول كلّ ذلك يؤدي إلى إثارة الإختلافات الإسلاميّة التاريخيّة الدفينة والحساسيات الدينيّة والمذهبيّة القديمة، وبدعوى أنّ هذا اللون من الإثارة الفكريّة يساهم في خلق أجواء الفرقة بين المسلمين ويكرّس الإختلاف المذهبي في الأمّة.

وخلاصة الإجابة على هذا الموقف السلبي من الأخبار الصادرة عن عترة آل محمّد (عليهم السلام) أنه يستبطن اعتراضاً صريحاً على الله تعالى، ويستلزم نسبة اللغو والعبثيّة له جلّ شأنه ولرسوله والأئمّة (عليهم السلام) لأنهم المصدر الحقيقي لهذه الأخبار، ولأنهم المبلغون الأمناء لها عن الله تعالى، فلو لم توجد هناك مصلحة إلهيّة واقعيّة في بيانها، لَمَا كان ثمة مبرِّر

لتكليف خاتم الرّسل صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام بتبليغها إلى الأمّة، فمن الغريب العجيب أنْ تصبح الدّعوة لوحدة الأمّة سبباً للنهي عن الإنفتاح على ثقافة الأخبار الدالة على حوادث سبقت، وحوادث ستكون، هذه الأخبار التي اهتمَّتْ بعلاج أسباب التمزّق والفتنة، لكنْ ما أشبه اليوم بالأمس حين أدركت عائشة خطأها في خروجها من بيتها إلى البصرة في حرب الجمل عندما نبحتها كلاب الحوأب أثناء سيرها إلى البصرة، فتذكرت تحذير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها ولنسائه يوم قال لهنّ: "أيتكُنَّ تنبحها كلاب الحوأب، إياكِ أنْ تكوني أنتِ يا حميراء"[٦] وما أن سمعت عائشة بنباح الكلاب حتى عادت إلى صوابها وصرخت بأعلى صوتها: "أرجعوني، أرجعوني، أرجعوني" فقال لها الزبير: "أوللحرب جئتِ يا أمّ المؤمنين، وإنما خرجت للإصلاح بين المسلمين"[٧] ثمّ جاءها طلحة بخمسين رجلاً يقسمون لها أنّ الكلاب التي تنبحها ليست كلاب الحوأب[٨].

وهكذا فتح طلحة والزبير باب الإحتيال على المغيبات باسم الدّين وتحت غطاء الحفاظ على وحدة الأمّة ومراعاة مصلحة المسلمين، وجاء من بعدهم معاوية وأمثاله، وقد سبقه إلى ذلك خلفاء الجور الّذين تقمصوا الخلافة بغير حقٍّ.

نقول للمعاصِرين أتباع النهج العمري والزبيري والأموي والعباسي والمحذرين من خطورة الأخبار وثقافة التولي والتبري، إنّ هذه الأخبار لا سيّما التي دلّت على فتنة الخلافة والصراع السياسي عليها والإقتتال من أجلها لا زالت حتى اليوم، تمثل محور جميع الفتن والإختلافات القائمة في الأمّة، وإنّ ما تعانيه الأمّة من اختلاف عقائدي وتشريعي وتشرذم مذهبي وصراع سياسي إنما يعود سببه الأساس لعدم رجوعها لأمر الله

تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يخصّ هذه الفتن، ولعدم تحكيمها لرسالة الغيب الإسلاميّة التي اهتمَّتْ بعلاج جميع الإختلافات الواقعة في الأمّة بعد وفاة نبيها حتى قيام الساعة.

والواقع إنّ الإنفتاح الفكري الواعي على ثقافة الإسلام المتمثلة بالأخبار الخاصة بعلاج مشاكل الأمّة وفتنها واختلافاتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو وحده الطريق الشرعي والسياسي الإسلامي الصحيح في منهج الدّعوة إلى وحدة الأمّة والحفاظ على مصلحتها وكيانها العقائدي والتشريعي والسياسي، ومن خلال هذا المسلك يمكن للأمّة على اختلاف مذاهبها أنْ تعود من جديد إلى مبدأ التحاكم إلى القرآن والسنّة النبويّة اللذين يؤمّنان مصلحتها ويحققان وحدتها في أمر الدين والدنيا.

وشتّان ما بين وحدة عقائديّة تشريعيّة تقوم على أُسس قرآنيّة ونبويّة، تباركها يد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين وحدة تنطلق من اعتبارات سياسيّة ترقيعيّة موقتة تحكمها المنافع الدنيويّة والمصالح السياسيّة المادية.

إشكال وحلّ:

إنْ قيل: إنّه لا ولاية للأب في الإضرار بالطفل فلا يجوز له أنْ يجرح رأس إبنه، ولأنه تعذيب وحشي للطفولة(٩).

قلنا: لا ولاية للأب على الطفل في الأمور التي تؤدي إلى الهلكة والإضرار المعتد به وما دون ذلك فللأب الولاية عليه للأصل، وللسيرة القائمة بين المتدينين لا سيّما المتشرعة منهم، حيث للأب الولاية على الطفل في الأمور الجائزة شرعاً كما لو أمره بكنس الدار وشراء الأغراض والحاجيات من الدكان وما يترتب عليها من ضرر غير معتدّ به عند العقلاء، مضافاً إلى تطبير الأطفال تماماً كخرم أنوفهم وآذانهم وختان الذكور منهم وخفض الإناث، فبما أنّ هذا جائز شرعاً ولا يصحّ الإشكال أن يرمي

فاعله بأنه يعذّب طفله لأنه عمل وحشي كذا لا يصحّ له أنْ يرمي مَن يطبّر لطفله لأنه في الواقع بمثابة الحجامة التي دلّت الأخبار على استحبابها حتى للصبيان أولاد أربعة أشهر كما أسلفنا، اللهم إلاّ إذا كان صاحب الإشكال يعتقد بقرارة نفسه ولم يُبده لنا أنّ الحجامة وخرم الآذان والأنوف وخفض الجواري وختن الذكور أمر وحشي وتعذيب للأطفال يحرم على الأهل أنْ يفعلوا ذلك بأبنائهم؟!!

مضافاً إلى أنّ تطبير بعض الآباء لأبنائهم أسوةً بأطفال الإمام الحسين عليه السلام وما أصابهم يوم العاشر من محرّم فيه أجر عظيم؛ لأنّ الثواب على النية، والنية أفضل وأهمّ من العمل حسبما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**قل كلٌّ يعمل على شاكلته**﴾ (الإسراء/ ٨٤). وعن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: النية أفضل من العمل...ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿**كلٌّ يعمل على شاكلته**﴾ يعني على نيته، وفي حديث عن مولانا الإمام الرّضا عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أوقف المؤمن بين يديه، فيكون هو الّذي يتولى حسناته فيعرض عليه عمله، فينظر في صحيفته، فأوّل ما يرى سيئاته فيتغير لذلك لونه، وترتعد فرائصه وتفزع نفسه، ثمّ يرى حسناته فتقرّ عينه، وتسرّ نفسه، وتفرح روحه، ثمّ ينظر إلى ما أعطاه الله من الثواب فيشتدّ فرحه، ثمّ يقول الله عزّ وجلّ للملائكة: هلمّوا بالصحف التي فيها الأعمال التي لم يعملوها، قال: فيقرئها، فيقولون: وعزتك إنّا لنعلم أنّا لم نعمل منها شيئاً، فيقول: صدقتم نويتموها فكتبناها لكم، ثمّ يُثابون عليها[١٠].

فإذا كان الثواب على مجرّد النية بحسب ما جاء في الخبر، فكيف إذا كانت مقرونةً بالعمل الصالح ؟! ومن هذا القبيل التطبير حزناً على الإمام عليه السلام وتذكيراً بمصابه وما جرى عليه وأطفاله وعياله، فلا شكّ أنّ الثواب سيتضاعف لاقتران النية بأعظم مصاب لأشرف مخلوق.

التشكيك الثاني

التطبير يؤدّي إلى ضرر الإغماء لذا فهو حرام

يرد على هذا التشكيك بما يلي:

إنّ نفس الإغماء ليس ضرراً معتدّاً به، فالإغماء بنفسه ليس حراماً، إذ قد يُغمى على الإنسان بسبب كثرة الحزن أو الفرح والإلتذاذ الجنسي أو كثرة الرّكض وما شابه ذلك ولم يحرِّم أحد من الفقهاء الفرح والإلتذاذ والرّكض، إلخ... والّذين يُغمى عليهم من المطبِّرين ـ على فرض حصوله وإلاّ لم نسمع أحداً أُغمي عليه منهم ـ يكون نتيجة عدم تناوله للطعام قبل التطبير أو بسبب آخر لا علاقة له بالتطبير، وإلاّ قد يغمى على غير المطبِّرين ممن يتبرعون بالدم فيصابون بالإعياء والدّوار، ومع هذا لم نسمع هؤلاء حرّموا التبرّع بالدّم بل نراهم يشجّعون عليه ويدعون بالخير لفاعله ولو أدّى إلى موته، وعلى فرض أنّ الإغماء حصل بسبب التطبير فليس ثمّة ما يدلّ على حرمته لعدم كونه ضرراً معتداً به، وعلى الأقل نجري فيه أصل الإباحة عند الشك في الحرمة لا سيّما وأنه لا يترتب عليه موت أصلاً ولا عطب عضو وما شابه ذلك، ولو سلّمنا بوجود ضرر بسببه فإنه يحرم حينئذٍ على نفس الشخص وليس ملاكاً تاماً ومناطاً كاملاً لإنشاء حكم عام بالحرمة، ولا أظنّ فقيهاً لديه حِسُّ الفقاهة يفتي بحرمة ذلك؛ فتدبّر.

مضافاً إلى أنّ ثمّة أخباراً صحيحة تشير إلى أنّ الإمام الرّضا ﷺ أُغمي عليه مرّتين لما أنشده دعبل ﷺ تائيته المشهورة التي فيها: "إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده..." فلطمت النساء وعلا الصراخ من وراء الستر وبكى الإمام الرّضا ﷺ.

فإذا جاز للإمام الرّضا (عليه السلام) أنْ يتعرض لسبب الإغماء[*] باختياره وقدرته على عدم الإغماء لكونه من ربه كقاب قوسين أو أدنى، وهو محلّ مشيئة الله ومعدن علمه، فلماذا لا يجوز لشيعته ضرب الرّؤوس والظهور ولَدْم الصدور وأمثالها مما هو دون الإغماء بكثير، بل حتى لو أدّى إلى الإغماء غير الإختياري؟!! فإذا جاز للإمام الرّضا (عليه السلام) الإغماء الإختياري فيجوز لشيعته الإغماء غير الإختياري بطريق أولى.

ولو قيل لنا: إنّ إغماءه (عليه السلام) غير اختياري فيجوز له دون ما يحصل لبعض المطبرين!

قلنا: إنّ القول بعدم اختياره (عليه السلام) يستلزم العبث في أفعال المعصوم (عليه السلام) إذ كلّ شيء أحصاه الله في إمامٍ مبين، مضافاً إلى أنه لو سلّمنا بذلك فيتساوى حينئذٍ المعصوم (عليه السلام) مع غيره في مسألة الإغماء غير الإختياري، فإذا جاز للإمام (عليه السلام) يجوز لغيره بطريقٍ أولى لكونه (عليه السلام) قدوة وأسوة حسنة يجب اتباعه في ذلك، فإننا نفعل ما يفعله، ونترك ما يتركه ﴿**وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ ﴿**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾.



---

[*] الإغماء إذا كان بمعنى فقدان الإدراك والعقل فهو نقص وعيب ورجس يتنزّه عنه الإمام المعصوم (عليه السلام) طبقاً للأدلّة القطعيّة التي منها آية التطهير، وإذا كان بمعنى التجلي وزيادة الفيض والكرامة فهو حقٌّ لا ريب فيه بل هو المتعيِّن من الإغماء.

التشكيك الثالث

إنّ أكثر المطبِّرين والمشاركين في مواكب التطبير فسقة فجرة، لا يلتزمون بالأحكام والواجبات الشرعيّة، "لذا نريد تصفية هذه المحافل من كل ما علق بها من مظاهر التخلّف"(١١).

نورد على هذا التشكيك بالوجوه الآتية:

(الوجه الأول): ليس من وظيفة الفقيه أنْ يفتّش عن أحوال الناس ونواياهم فليس له أنْ يقول: فلان فاسق يطبّر، وفلان يرائي يطبّر، بل عليه أنْ يبيّن حكم الله في كلّ واقعة يُسأل عنها وليس مطالَباً أنْ يفتّش عن مقاصدهم وأهدافهم، عليه أنْ يقول: عظِّموا شعائر الله، وأحيوا أمر أهل البيت عليهم السلام، والناس هم الّذين يختارون الطرق والمسالك والكيفيّة التي من خلالها يعظّمون الشعيرة ويحيون الأمر، هذا إنْ كان صاحب هذا الإشكال يعتقد بأنّ التطبير والضرب بالسلاسل شعيرتان من الشعائر الحسينيّة، وإنْ لم يعتقد ـ وهو الأرجح حسبما صرّح ذلك في بعض كتبه ـ بكونهما كذلك فلا يحقّ له أنْ ينعت مَن يفعلهما بالتخلّف لكون هؤلاء المطبرين يقلّدون فقهاءاً يجيزون لهم ذلك، مما يقتضي نعت هؤلاء الفقهاء بالتخلف والهمجيّة وهو نوع استعلاء وكبر بل في الواقع هو همجيّة في القول وتخلف في الفكر والمعتَقَد، فإذا ما كان التطبير نوع "تخلّف ويشوّه صورة الشيعة في العالَم"(١٢) فلماذا لا يشوّه ضرب الولد للوالدين صورة التشيّع

بل صورة الإسلام عندما أجاز المذكور(*) لمقلّديه ذلك، أليس هذا تخلفاً وهمجيّة وخلافاً للقرآن الكريم الّذي أمر بالإحسان إلى الوالدين، والإحسان إليهما أنْ لا تقل لهما أفٍّ حسبما جاء في الآيات الكريمة، والضرب خلاف الإحسان لأنه أعظم بكثير من كلمة أفٍّ، إنه اجتهاد في مقابل كتاب الله تعالى، لكنه تقدّم وحضارة بنظره لأنه كذلك بنظر الغربيين المتحضرين، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين.

(**الوجه الثاني**): وعلى فرض وجود فسّاق في مواكب التطبير فإنّ ذلك لا يسوقنا ويدعونا إلى إلغاء الشعائر الحسينيّة وإلاّ لأدّى ذلك إلى إلغاء الواجبات كالصوم والصلاة والحجّ والزكاة والخمس..إلخ، لأنّ قسماً من الناس فسقة ويصلّون ويصومون ويحجون لكنهم يزنون ويشربون الخمر وينظرون إلى النساء بشهوة، فهل إنّ فعل بعض المحرَّمات يسوّغ لمرتكبيها أنْ لا يصلّوا أو يصوموا إلخ... كما إنّ مَن كان يرائي في صلاته، فهل يسوغ لنا أنْ نقول له: يحرم عليك الصلاة لأنك ترائي في صلاتك أو يحرم على بقيّة المكلّفين أن يصلّوا لأنّ زيداً يرائي في صلاته؟!! لا أحسب أنّ فقيهاً من فقهاء أبي حنيفة جوّز ذلك مع ما عنده من الفتاوى الترخيصيّة الهائلة، فكيف بمَن يرى نفسه زعيم الحالة الإسلاميّة والمرجع الديني الأعلى ويغالي أتباعه بإلصاق الألقاب والأوسمة عليه كزخّ المطر، في حين أنهم يستحقرون مناوئيه من أهل العِلْم، ويتعجبون من علمه الغزير قائلين صباحاً ومساءً ﴿**حاشَ لله ما هذا بشراً إنْ هذا إلاّ ملكٌ كريمٌ**﴾ (يوسف/٣١).

(*) قال في كتابه فقه الشريعة: ٦٣٢/١: إذا توقف أمر الوالدين بالمعروف من قِبَل الولد على الإغلاظ في القول أو الضرب أو الحبس أو نحو ذلك جاز أو وجب القيام به، لأنّ ذلك من مصاديق البرّ بهما.." فعلى الآباء إذن أنْ ينتبهوا إلى أبنائهم عندما يرتكب الآباءُ الأخطاءَ لأنّ أبناءهم لهم بالمرصاد بحسب فتوى مقلّدهم السيد المذكور!!!

(**الوجه الثالث**): إنّ الحكم على بعض المطبِّرين بالفسق والفجور هو في الواقع إسائة ظن، وإنّ الظن لا يغني من الحقّ شيئاً، بل الأجدر والأوجب على مَن ألصق بهم هذه الفرية أنْ يحملهم على الصحة ويستر عليهم لأنّ الله يحبّ الستر على عبيده كما يجب أن يستر بعضهم على بعض، فأين قاعدة حمل المسلم على الصحة التي دائماً يرفعونها وينادون بها، هل إنها تسري على جميع الناس ما عدا المطبِّرين فإنهم خارجون عن القاعدة المذكورة حكماً وموضوعاً؟!

(**الوجه الرابع**): إنّ وجود فسقة في بعض مواكب التطبير أو كلها لا يستلزم أن نمنع التطبير ونحرّمه، لأنه إذا كانت القاعدة انّ كلّ عمل صحيح يمارسه جمعٌ كثيرٌ ممن يسيئون التصرف في أعمال أخرى لا بدّ من منعه والوقوف ضدَّه فإنه سينجرُّ لا محالة إلى كلّ ما هو جميل وصحيح في حياة الناس، وبالتالي يؤدي بنا إلى تعطيل الأحكام والواجبات، وفي ذلك مفسدة عظيمة لا تُحمَد عقباها، فلو أنّ إنساناً أساء سمعةَ المؤمنين بأفعاله المحرَّمة هل يمكن أنْ نتّهم بسببه عامّة المؤمنين ونُخرجهم من الدّين؟! ولو أساء إنسانٌ أداء بعض المراسم الدينيّة فهل يستلزم هذا أنْ نحرّم تلك المراسم لأجل الّذي أساء إليها؟! لا أظنّ عاقلاً يجيب بـ: نعم.



التشكيك الرّابع

إنّ التطبير إسراف وذلك لإهدار كميّة من الدماء دون فائدة، فالتبرّع بها يكون مانعاً للإسراف والهدر، وسبباً عظيماً ليستفيد منها المرضى، فيكون التبرّع بالدّم أمراً حضارياً، "والتطبير نوعاً من أنواع التخلّف"(١٣).

نورد على هذا التشكيك بالإيرادات الآتية:

(الإيراد الأول): عند التدقيق في كلمة إسراف وهدر يتضح أنّ استعمالها في مورد التطبير غير صحيح بحسب الإصطلاح؛ لأنّ تعريف الإسراف أو الهدر هو بمعنى أن تتلف مالاً له قيمة ومنفعة دون أنْ تحصل على فائدة مرجوّة، قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ: "مَن كان له مال فإياه والفساد، فإنّ إعطاءَك المال في غير وجهه تبذير وإسراف..."(١٤)، وقال الإمام الصادق ﷺ: "إنما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن"(١٥).

ففي الإسراف قيدان: التلف والإضرار، ومَن قال إنّ التطبير ليس فيه نفع؟ وما قيمة قول مَن قال إنه ليس فيه نفع؟ بل التطبير فيه نفعٌ مادّيٌّ ومعنويٌّ، أمّا النفع المادّي ــ فحسبما قلنا سابقاً ــ إنه بمثابة حجامة غير مقصودة، وأمّا النفع المعنوي فكثير، ويكفي أنه تذكير بأيام الله تعالى، وقد قلنا إنّ الأئمّة ﷺ هم ايام الله تعالى التي أوصى الله سبحانه وتعالى بهم ﴿**وذكّرهم بايام الله إنّ في ذلك لآيا تٍ لكلّ صبّارٍ شكور**﴾ (إبراهيم/٥) بل هو تعظيم لشعائر الله؛ لأنّ الإمام الحسين ﷺ أعظم شعيرة

عند الله تعالى، والمراسم المتعلقة به كالتطبير والضرب بالسلاسل وغيرهما هو تعظيم لِمَا جرى عليه عليه السلام وتفخيمٌ لأمره عليه السلام بإبراز مظلوميّته.

إنّ باب المنافع والمقاصد المعنويّة أوسع بكثير من باب الماديات لا سيّما في حياة أهل الإيمان والورع والتقوى، وعليه فكيف يكون الدم المنزوف من رؤوس المحزونين على سيّد الشهداء عليه السلام هدراً دون قيمة معنويّة تتناسب والمقام الحسيني العظيم؟ وما ينفثه أولئك المصوِّرون والصحفيون ومراسلو الأخبار والمعمَّمون المشكِّكون أتباع الوحدة والّذين في قلوبهم زيغٌ ومرض، تحت دعوى أنهم لا يرون فائدة في مواكب التطبير، أولئك لا قيمة لكلامهم، ولا اعتبار لوزنهم، إنهم وطاويط الليل يخافون الضجيج والعجيج فيلجأون إلى مغاراتهم المظلمة فلا يرون نور النهار لأنه يعمي أبصارهم وبصائرهم.

إنّ نزْف مقدار من الدّماء ايام عاشوراء لأجل ترسيخ القيمة المعنويّة لواقعة الطف، لا يدرك قدرها إلاّ خاصّة أوليائه، وعليه فكيف يكون إسرافاً وهدراً كما يدّعون؟! بل العكس هو الصحيح حيث إنّ في نزْف الدم من الرأس فوائد طبيّة جمّة، حيث ذكرَتْ التقارير العلميّة أنّ كثيراً من الأمراض المستعصية في الرأس والبدن لا يمكن الشفاء منها إلاّ بواسطة جرح الرأس، وقد ذكرنا ما ورد في بعض الأخبار المقدَّسة عنهم عليهم السلام الدّالة على أنّ الحجامة تشفي من الآكلة والجذام والبرص والشقيقة وهي أمراض عجز عن علاجها أكابر الأطباء قديماً وحديثاً، من هنا أدرك العلمانيون الماديون أهميّة الحجامة، فأنشأوا معاهد خاصّة لتخريج الأخصائيين في الحجامة، ويُقبل الآلاف من المرضى على العلاج بها من السرطانيات والامراض الخطيرة المستعصية، وقد شاهدتُ شخصياً أحد العراقيين تعافى من سرطان الإمعاء بعد أنْ

عجز أطباء طهران عن شفائه، كما انّ أحد الاخوة المؤمنين وهو ممن أُحب قد تعافى من مرضٍ مستعصٍ بعد أنْ طبّرنا سويّة على سطح داري، وقِسْ عليها ما يجري في النبطيّة وغيرها من الأماكن الخاصّة بعاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام)، فاين الضرر يا تُرى؟ بل والله إنها معجزة من معاجز الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فليخسأ المرجفون فإنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟!!

(الإيراد الثاني): إن التبرع بالدم لا يصلح أن يكون بديلاً عن شجِّ الرأس، وذلك لأن التبرع بالدم ليس من مصاديق الشعائر الحسينية عرفاً.

(الإيراد الثالث) :التبرّع بالدّم إنما يتمّ بواسطة العروق الغليظة وهو دم نظيف خالٍ من الرّواسب التي طالما تكون في الدّم المتواجد في الشرايين الدقيقة التي تخرج بواسطة الحجامة، لذا أكّد الأطباء أنّ الدّم إذا خرج من الشّرايين الدقيقة ـ أي من غير الأوردة الغليظة ـ تتجدّد الخلايا، وتخفُّ الرواسب المتواجدة في الدم، لذا فإنّ وظيفة الكِلى هي تكرير الدّم من الأوساخ وتنقيته من الرواسب العالقة به، من هنا إذا تعطّلت كليتي الإنسان فإنه بحاجة إلى عمليّة غسل الدّم في كلّ أسبوع أو أسبوعين. **وعليه**؛ فإنّ الحجامة أو التطبير يفيدان الجسم ويعينان الكِلى على تأدية مهامها بشكل أسرع وأفضل، لذا أوصت الأخبار المقدَّسة بالحجامة لأهميتها الكبرى في سلامة الجسم بشكلٍ عام، ولو تبرّع إنسانٌ بالدّم فلا يغنيه عن الحجامة قطعاً؛ لأنّ الحجامة شيء، والتبرّع بالدم شيء آخر، ولا يمكن الخلط بينهما، وما المانع أنْ يطبّر الإنسان بالسّنة مرّة، ثمّ بقيّة السّنة يتبرّع كيفما يشاء إنْ كان قادراً على التبرّع؟!!

مضرات التبرع بالدم:

وإذا كان في التطبير مضرّة ـ حسبما يدَّعي المشكِّكون ـ فإنّ في التبرّع بالدّم مضرّات عديدة ذكرها الأطباء والأخصائيين، هي الآتي:

المضرة الأولى: إنّ الدّم المتبرَّع به للبنوك سيكون فاسداً بعد ثلاثة أشهر، لا سيّما إذا كانت البنوك ليست بحاجة إلى هذه الدّماء، فيتمّ تخزينها لمورد الحاجة، مما يقتضي القول بوجود إسراف حقيقةً في التبرّع.

المضرة الثانية: إنه قد يُتَبرَّع بدماء كثيرة من فصيلة معيَّنة أكثر من القدر الّذي يُحتاج إليه، وبذلك ستذهب هدراً بعد مدّة الخزن المعلومة، مضافاً إلى أنّ ما يُبذَل من أموالٍ وجهودٍ من قِبَل المؤسَّسات وبنوك الدم في أدائهم لعملهم هذا، سواء في الحفظ والخزن أو في الإتلاف بعد ذلك حين فساد تلك الدماء أو بسبب عدم الحاجة إليها، إذ إنّ عمليّة الإتلاف بحاجة أيضاً إلى جهدٍ ومتابَعة، وماذا يفعل دعاة التبرع بالدم بدلاً من الحجامة عندما تنجح مساعي الأطباء في استحداث دم اصطناعي بديلاً عن الدم الطبيعي؟! هل يبقون بدمائهم الوسخة بسبب أرواحهم النتنة في داخل أجسامهم لأنّ إخراجها مستحب فقط لإنقاذ مريض أم أنهم يسعون بكلّ جهدهم لإخراجها لئلاّ تسبّب لهم أخطاراً تؤدّي إلى هلاكهم إنْ شاء الله تعالى؟!

المضرة الثالثة: إنّ الدّماء المتَبَرَّع بها قد يستفيد منها أناس يجرون الويلات على مجتمعاتهم ويكونون سبباً للإجرام والإفساد، وهو أمر حاصلٌ قطعاً عند أكثر المتبرعين بالدّم حيث لا يلاحظون هذا الأمر، فإنّ الإعانة على الإثم حرام، وهل ثمّة إثم أعظم من إعطاء الدم لمجرم فينتعش ويجدّد نشاطه للإجرام والرّذيلة؟!.

مضافاً إلى أنّ المستشفيات التي يُتبرّع إليها بالدّم، تستفيد الأموال الطائلة بسبب بيع هذه الدّماء دون تمييز بين الغني والفقير، بل لا يُعطى لمحتاجه إلاّ بدفع ثمنه، مع أنه

دمٌ وهبه صاحبه لمحتاجه، فبذا يكون المتبرع بالدم مسهماً في تقوية الضلال والفساد المتفشي في تلك الأماكن التي لا يُراعى فيها حرمة لفقيرٍ أو مسكين، وكأنها أُنشأت للأغنياء فقط مع أنهم لا يتبرعون بدمائهم حفظاً لها لتكون سبباً لإفسادهم وظلمهم إلاّ مَن رحم ربي وهم قليل...

ومع وجود هذا الإحتمال المعتَد به سيقوى احتمال الإسراف والإهدار في الدّماء المتبرَّع بها بنحو أكثر من احتمال هدره في مواكب التطبير، بل حسبما قلنا لا إهدار في دماء التطبير لأنها دماء فاسدة، خروجها يبعث النشاط في خلايا الجسم، فأين الإسراف إذن؟؟!

وعلى فرض ترتب ضرر ومفسَدة بالتطبير فإنه يتساوى حينئذٍ ـ على أقلّ تقدير ـ مع الضرر المترتب على عملية التبرع بالدم، فتحريم التطبير حينئذٍ دون التبرّع بالدم يُعتبَر تحريماً من دون دليلٍ قاطعٍ، بل إنّ التبرّع للآخرين لا سيّما المفسدين والمجرمين والمخالفين يُعتبر حراماً وجريمة عظمى وخيانة في حقّ الآمنين والمستضعَفين، بل هو في الواقع إحياء للجريمة والظلم والإفساد، فالواجب على أولئك المشكِّكين أنْ ينهوا عن التبرّع بالدّم لكلّ شاردٍ ووارد لا أنْ يتكاتفوا على ضرب الشعائر وتحريمها؟!

ليت شِعري كيف يشجب هؤلاء الّذين ألصقوا بأنفسهم الفقاهة الكبرى والمرجعيّة العظمى على الأمّة مسألةَ التطبير والضرب بالسلاسل ويعتبرون إنفاق الأموال عليها حراماً وجريمةً في حين يجيزون إنفاق الأموال الطائلة على استراحة الساحة على طريق مطار بيروت الدّولي حيث لم يترك فخارة أثريّة إلاّ وزيّن بها مطعمه الشهير بـ "الساحة" والّذي يذكّرك بقصور هارون الرّشيد والمأمون العباسي، كما يجيز لنفسه إنفاق الأموال على النساء الفاتنات المقرَّبات إلى أذنابه وأعوانه يتمتعون بهنّ ويتصببون بغرامهنّ، وهل من الشرع أنْ ينفق سهم الإمام عليه السلام وسهم السادة والصدقات على الحدائق الغنّاء

ومدن الملاهي والمطاعم وفنادق الأربعة نجوم بل وخمسة ولا يجيز الصدقات المندوبات "على الهيئات والمواكب الحسينيّة التي تصرف جزء من تلك الأموال على شؤون التطبير وضرب السلاسل"[١٦] فيجوز ـ بنظره ـ صرْف السهمين الشريفَيْن على مصالحه الشخصيّة ومَن يلوذ به كحراسه وأعوانه وأقربائه وما ينفقونه على النساء الفاتنات ولا يجوز صرف الصدقة على الهيئات الحسينيّة لا لشيء سوى أنّ في الفنادق والملاهي أمراً يبعث النشاط في القوّة الجنسيّة ويدعو إلى التحلل والرذيلة والإنغماس بالدنيا، وكلّ ذلك منفيٌّ في المواكب الحسينيّة، فليس فيها سيقان الفاتنات وليس فيها ملاهي ومقاهي البعيدين عن التقى والبعيدات، إنه يذكّرك بالدنيا، وأمّا الآخرة فلا يريد لأتباعه أنْ يعيشوها من خلال البكاء "لأنّ الإستغراق في المأساة بالطريقة البكائيّة يملأ النفس بالكثير من الدخان العاطفي الّذي يمنع وضوح الرؤية في النظر إلى العناصر الحقيقيّة..."[١٧].

واعجباه من أناسٍ يحرّمون حتى الصدقات على مواكب عاشوراء لأنّ بعضاً منها يطبّر وفي نفس الوقت يرون ما يُنفق من الأموال الطائلة ومن جهود إنسانيّة هائلة تُبذل مع ما يرافقها من احتمالات الأضرار الصحيّة كالتدريبات العسكريّة والرّياضيّة وبذل الجهود الإعلاميّة الهائلة لأجل أنْ يشترك فريق كرة القدم في دوري من الدوريات الرياضيّة حتى وإنْ لم يصل إلى الفوز، بل وتكلّفه مقابلة إعلاميّة في صحيفة أو على طبق فضائي في بعض الأحيان مبالغ باهظة من أجل أن يوصل صوته، ويكفي للتدليل على ذلك إذاعته في بيروت حيث تكلّفه مبالغ ضخمة إنْ كان على صعيد البرامج والموظفين، أو على صعيد تقوية المحطات الخاصة المتعلقة بالبثّ إلى البلدان المجاورة للبنان، كلّ ذلك جائز من أجل تسويق أفكاره، ويُعتبر المساهمون في دعمها مأجورين ومثابين ولهم من سماحته صكّ البرائة من النار تماماً كما يفعل القساوسة عندما يعترف

الجاني بجريمته وذنبه!!! وا أسفاه على أمّةٍ باعت عقلها وروحها لأناس ركبوا الموجة وجاءت بهم أحزاب ومنظّمات انبثقت من أحزاب عامّيّة تريد أن ترجع عهد الدّولة العثمانيّة والقوميّة العربيّة التي شيّد بنيانها عمر بن الخطّاب!!

نعم، إنّ الإنفاق على مطعم الساحة ومقهى فانتازيا وفريق المبرّة الرّياضي جائز ومأجور فاعله، أمّا الإنفاق على المواكب الحسينيّة فحرام في منطق المتقدمين الحضاريين....!

إنّ موكب عاشوراء بلبلت أفكارهم ونغّصت عيشهم لأنها تملأ النفس بالكثير من الدخان العاطفي ـ حسب تعبير المعهود ـ لأنّ البكاء والتطبير وبقيّة المراسم ليس فيها شيء من الترف واللعب واللهو الّذي يحبّه أولئك المتحضّرون، إنهم يريدون للفرح واللهو أنْ ينطلقان بدلاً من الدموع والحسرة على الإمام المظلوم عليه السلام، ولو سنحت لهم الظروف المؤاتية لَمَنعوا الكثير من مفاهيم الإماميّة ومعتقداتها لكونها تعارض توجهاتهم الحزبيّة والسياسيّة وانكبابهم على الدّنيا وزخارفها، إنهم أناسٌ متلونون، يجب أنْ تحذر منهم القواعد الشيعيّة الموالية للعِترة الطاهرة عليهم السلام، لا سيّما العلماء الأتقياء والخطباء الصالحون، وأخصُّ بالذّكر قرّاء العزاء الحسيني، حيث عليهم أنْ يجنّدوا طاقاتهم لخدمة آل البيت عليهم السلام أكثر فأكثر بدفع الشبهات من خلال مراجعة أهل الذكر من العلماء الورعين المتمسِّكين بخطّ آل البيت عليهم السلام، وأنْ لا يستكبروا على التعلّم والسؤال لأنّ ذلك يحجب عن قبول الحق والإنصياع إليه، وبالتالي يجرّ إلى إنكار الإمامة من أصلها أعاذنا الله تعالى وجميع المؤمنين الأتقياء من سوء الخاتمة والمصير.

إنْ قيل: إنّ إثارة الحزن بالوسائل المتعارَفة في يوم عاشوراء " يُعطي صورة مشوَّهة عن الإسلام والمسلمين من حيث دلالته على التخلُّف في التعبير عن الحزن تحت عنوان

المواساة، بل إثارة الحزن إنما يتمّ بالوسائل الإنسانيّة الحضاريّة والتبرع بالدم للجرحى من المجاهدين والفقراء تحيّة لدم الإمام الحسين عليه السلام وتقدمة له وصدقة عن روحه، فإنّ في ذلك اسلوباً حضارياً على مستوى الإيمان.."(١٨).

قلنا: لقد أشرنا سابقاً إلى الفرق بين التبرّع بالدّم وبين التطبير أو الحجامة، ولا يمكن استبدال أحدهما بالآخر، وأمّا كون الوسائل المتعارفة في إحياء المراسم العاشورائيّة أمراً غير حضاري، فهو أمر اعتدنا على سماعه منذ سنين، ولم يقتصر الأمر غير الحضاري على ضرب الرّؤوس بل تعدّاه إلى اللطم واللدم والبكاء حيث اعتبره في سالف الأيام وما يزال أمراً غير حضاري، ونحن نسأله: ما معنى الحضارة التي يكررها دائماً في خطاباته ووسائل الإعلام التي تلهث وراء كلّ رخيص لمجرّد دراهم بخسٍ؟! هل هي التي يعتقد بها العلمانيون؟ أو هي كلّ جديد يطرأ على الساحة المادية المعاصرة؟ فإنْ كانت الحضارة هي المعنى الأول، إذاً يجب أن نعتبر كلَّ ما يرفضه الغربيون العلمانيون هو غير حضاري، فصلاتنا وصومنا وحجّنا غير حضاري لأنه لا يتوافق مع مفاهيم الغرب. وإنْ كانت الحضارة هي المعنى الثاني، إذاً يجب أنْ نلغي كثيراً من الأحكام الشرعيّة القديمة، ونستبدلها بأحكام أكثر تطوراً لتتوافق مع الوضع الراهن، وهو أمر خطير من الناحية الدينيّة، ويستلزم نسف الدين وأحكامه من الأساس، وهو على حدّ الشرك بالله والكفر بشرائعه المقدَّسة.

إنّ الحضارة هي أنْ تلتزم خطّ الدين، إنْ كان في الواجبات أو كان في المستحبات والمكروهات والمباحات، فلا يكون المستحب حضارياً إلاّ إذا توافق مع المصالح الشخصيّة والرّغبات الدنيويّة، ولا يكون حضارياً إذا ما عارضها وصادمها ووقف بوجهها؟!

حضارة الشرق هي بقيمه ومبادئه، وحضارة الدين إنما هي بإقامة أحكامه حتى لو عارضت المصالح والتوجهات والأنانيات، وليست الحضارة هي التي يؤمن بها الغربيون أو تتوافق مع رغبات أولئك المتلونين المشكِّكِين.

إنّ مفهوم الحضارة في وسائل عاشوراء هو ما تمثله تلك الوسائل من التعبير عن الحزن العميق على سيّد الشهداء عليه السلام، والوسائل تختلف بين الأقوام والأديان، فربما يعبّر عن الحزن بلبس السّواد وبوضع إكليل من الورد على قبر فقيد، وربما يُعَبَّر عنه بإلقاء تحيّة عسكريّة على ضريح جندي مجهول، وربما بالصلب على خشبة وما شابه ذلك، فكلّ قوم يتخذون وسيلة للتعبير عن الحزن، ولا أحد ينعتهم بأنهم ليسوا حضاريين، وهل من الحضارة أن لا ننجز أحكام ديننا لأنه لا يلتقي مع الحضارة المادية المعاصرة؟! وهل من الحضارة أن نستبدل بعض المراسم العفوية التي يفعلها المؤمنون الطيبون بوسائل أخرى مصطَنَعة فيها الكثير من الرّياء والتصنّع والزيف والكذب والنفاق والخداع وما إلى ذلك...؟!

إنّ الحضارة هي أنْ نعبّر عن أحاسيسنا ومشاعرنا الإنسانيّة بطريقة عفوية صافية وخالصة من الخداع والمكر والرّياء، فالوسيلة التي نختارها للتعبير بعفوية خالصة للمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي الوحيدة التي تعبِّر عن المفهوم الأصيل للحضارة الإسلاميّة، أي أنّ مفهوم الحضارة هو ذاك التعاطف مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام وما عاناه من ظلم وحيف وكرب من أعداء الأنسانيّة.

فالمعنى الإنساني الّذي تجسّده الوسيلة، والذهنيّة الصافية والرشيدة التي تحتضن ذاك المفهوم، هما القمّة في الحضارتين الدينيّة والماديّة، وهل من الحضارة التي يتغنى بها المرجفون أنْ يشرَّع اللواط والزنا والسحاق والتعري أمام الآلآف من المشاهدين والدعارة

الجماعيّة وما إلى ذلك مما يعتبره الغرب من قمّة الحضارة التي توصل إليها عباقرتهم وسماسرتهم ونساؤهم الداعرات الفاتنات المائلات؟!! فإذا كانت الحضارة هي أنْ ننسف كلّ ما لا يتلائم مع تطورات العصر، فإنّ الزيّ الديني للسيّد المعهود كالعمامة والعباءة والصاية شيئاً غير حضاري لكونه تقليداً قديماً أكل الدهر عليه وشرب، فيُفرَض تبديله بزيٍّ آخر إفرنجي يواكب الحضارات الحديثة، فبدلاً من العمامة، عليه أنْ يضع على راسه القبعة الإفرنجيّة، وبدلاً من العباءة والصاية أو الجُبَّة عليه أنْ يرتدي البنطلون والسترة والجاكيت؛ لأنّ ذلك أقرب إلى الحداثة والتطور من لباس العباءة والعمامة.

ودعواه بأنّ التبرّع بالدّم للجرحى من المجاهدين تحيّة للإمام الحسين عليه السلام وصدقة عن روحه هي آخر صرعات افكاره، إذ إنّ التبرّع **صدقة** عن روح الإمام الحسين عليه السلام يوحي بغفران الذنوب عن الإمام الحسين عليه السلام بسبب إهداء المتبرعين بالدم عن روح الإمام عليه السلام، وهل الصدقة سوى وسيلة من وسائل التطهير من أوساخ الغفلة والذنوب؟! وهل الإمام عليه السلام بحاجة إلى تطهير حتى يكون التبرّع بالدم صدقة عن روحه؟! وهل التبرّع بالدم لبعض المسلمين ـ حسبما أفتى بذلك ـ حتى لو كانوا من ألدّ أعداء مولاتنا فاطمة وأمير المؤمنين عليّ وأولادهما الطاهرين عليهم السلام، فيه ثواب وأجر وطاعة لله ربّ العالمين في حين أنّ التبرّع بالصدقات إلى مواكب التطبير حرامٌ وفيه وزرٌ وعذابٌ أليم؟! اللهمّ اشهد أنهم مفترون...متلونون...متسكعون على أبواب المخالفين الظالمين، وسيعلم الّذين ظلَموا أيّ منقَلَبٍ ينقلبون.



التشكيك الخامس

إنّ التطبير يشوِّه الدّين، ويشهد لهذا ما فعله الشيوعيون في دول الإتحاد السفياتي السابق، حيث منعوا في جمهورية آذربيجان بمحو جميع المعالِم الإسلاميّة بعد تسلطهم على منطقة آذربيجان، فقاموا بتبديل المساجد والحسينيات والصالات الدينيّة إلى مخازن ومراكز حكوميّة وما شابه ذلك ولم يبقوا أي أثر للإسلام والتشيّع ولكنهم أجازوا شيئاً واحداً فقط وهو التطبير! فكان زعماء الشيوعيّة يأمرون جلاوزتهم بمنع المسلمين من إقامة الصّلاة وصلاة الجماعة وقراءة القرآن وإقامة التعزية وجميع الطقوس الدينيّة ولكنهم كانوا يجوّزون التطبير! لماذا؟ لأنّ التطبير في حدّ ذاته كان وسيلة لتشويه الدّين والتشيّع(١٩).

يرد على التشكيك المتقدِّم بوجهين:

(**الوجه الأول**): لم يحارب الشيوعيون التطبير لأنه يشوِّه المذهب، فالمذهب هو رجعية لا أهمية فيه، وكيف يؤمنون بتشويه المذهب بشعيرة التطبير وهم ملحدون لا يعترفون بشيءٍ إسمه دين أو مذهب..؟!! بل إن سبب تركهم لمحاربة التطبير هو عدم قدرتهم على منعه والصدّ عنه، وقد حاولوا كثيراً ضربَ الشعائر الحسينية المباركة بكافة أنواعها لكنهم لم يستطيعوا التغلب والقضاء عليها.

(**الوجه الثاني**) : إذا كان التطبير وسيلةً لتشويه الدين والتشيع، فلماذا سمح القادة الإيرانيون لمواطنيهم عامّة وللعراقيين خاصّة بالتطبير في منطقة أصفهان، كما إنّ ثلّة من

العراقيين كانوا يطبّرون في قم عند الفجر بمرأى من السلطات، أليس التطبير في منطقة أصفهان على وجه الخصوص يثير حفيظة اليهود والنصارى فيها ويبعدهم عن الإسلام؟ وإذا ما كان التطبير بهذه الدرجة من البشاعة، فلماذا لم يستنكر عليها مراجع قم وأصفهان، بل لماذا لم يحرموها على مقلديهم أو على الأقل أنْ يبعدوا الناس عنها عن طريق الإرشاد والنصح؟!!

مضافاً إلى ذلك: إذا كان التطبير بهذه الدرجة من التشويه والبشاعة فلماذا إذن سمح القادة الإيرانيون أن يُشوّه التشيُّع على أراضيهم؟! وهل أنّ تشويه التشيّع في آذربيجان حرام، وفي أصفهان حلال؟ وما وجه الفصل بين الحكمين في بلدين مختلفين في السياسة ومتفقين في التوجه الديني؟ وإذا ما كان التطبير في أصفهان وقم وغيرهما حلالاً لمصلحة ما، فلتكن هذه المصلحة مبرّراً للقادة الآذربايجانيين في السماح للشيعة بالتطبير، مع الأخذ بنظر الإعتبار أنّ النتيجة واحدة وهي تشويه الدّين بسبب التطبير خارجاً وإنْ اختلفت المقاصد في السماح بالتطبير في كِلاَ البلدين ـ إيران وآذربيجان ـ فما دام التطبير يؤدي إلى التشويه فلا يمكن أنْ تغيّره المقاصد والنوايا الحسنة أو السيئة، لأنّ الّذين يطبّرون لا يقصدون تشويه الدّين ولكنّ البعض يصرّ على أنّ التطبير يؤدي إلى تشويه التشيّع، إذن لا دخل للمقاصد في حصول النتيجة السلبيّة المترتّبة على التطبير بحسب رأي هذا البعض.

إنْ قيل: إنّ المسؤولين في الجمهوريّة الإسلامية مقلِّدون للمراجع، وهم يعرفون أنّ الناس كلّهم في إيران يلتزمون بفتاوى مراجعهم، ويرون أنّ لهم الحق بممارسة نشاطهم الديني، ويعرفون أنّه لا يحق لهم منعهم من ذلك.

قلنا: إنّ المِلاكَ ـ عنيتُ به الإلتزام بفتاوى المراجع ـ الّذي استدعى المسؤولون في الجمهوريّة الإسلاميّة أنْ يغضّوا الطرف عن التطبير، يجب أنْ يكون مبرراً أيضاً لعدم

نعت المطبرين بشكل عام بالبدعة ـ حسبما ورد في بعض خطابات قائد الجمهوريّة ـ كما ليس مبرّراً لنعتهم بأنهم العلّة في إبعاد الأجانب عن الإسلام، فما دام المسؤولون الإيرانيون ـ بحسب تصوير الإشكال ـ يقلّدون مراجع يفتون لهم بحلية التطبير، لذا لا يحقّ لهم منعهم من ذلك، كذا فإنّ المطبِّرين خارج إيران يقلّدون مراجع إيرانيين وعرباً يجيزون لهم التطبير، فهل يا تُرى جرّت باء الأخوة الإيرانيين، ولم تجر كلّ حروف الجر لدى غيرهم؟! فكما لا يجوز للمسؤولين في الجمهوريّة الإيرانية منع المؤمنين الإيرانيين الأعزاء من التطبير لأنهم يقلّدون مَن يفتي لهم بحلية التطبير، كذا لا يجوز للحاكم في الجمهوريّة الإسلاميّة أنْ يمنع التطبير في خارج إيران، ولا يحقّ له أن ينعت التطبير بالبدعة أو بأنها تؤدي إلى استهزاء الأعداء بنا، فما دام الأمر يدور مدار التقليد، فلا يسوغ له أن ينعت كلّ الفقهاء العدول بالبدعة، لأنهم وحدهم المسؤولون عن فتواهم لمقلديهم المطبِّرين.

إنْ قيل: إنّ في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة يوجد العديد من الأديان والمذاهب كالنصرانيّة واليهوديّة والزردشتيّة، وفيها الشيعي الإمامي والأشعري المخالِف ووو..إلخ فكما أنّ جميع أتباع الديانات والمذاهب يمارسون أنشطتهم الدينيّة بكلّ حرية وارتياح، فهل يعقل أن تتنكّر الدولة الإسلاميّة للمراسم الحسينيّة، وتترك الحرية لكل هؤلاء في حين إنّها دولة تلتزم بخطّ أهل البيت عليهم السلام، وتعمل على حفظ التشيّع كما يدّعي حكّامها وهي تعلَم بأنّ المراجع العظام يرون مشروعيّة هذه المراسم، والناس ينطلقون في ممارساتهم من مبررات شرعيّة..؟!

قلنا: إنّ عدم تنكر المسؤولين في الجمهوريّة الإيرانية للشعائر الحسينيّة وبالأخص التطبير والضرب بالسلاسل ليس لأجل أنهم يقلّدون فقهاء يفتون بحلية التطبير، بل لأنهم يخافون من نقمة الشيعة عليهم لكونهم سمحوا لليهود وغيرهم بإقامة مراسم دينهم

ولم يسمحوا للشيعة بالتطبير ومتعلقاته، فالسماح بالتطبير ليس من باب مساواة الشيعة بغيرهم من الأديان، بمقدار ما هو خوف من انقلاب الجماهير على الحكّام.

❁❁❁❁❁

التشكيك السادس

إنّ إحياء المراسم العاشورائيّة "كلّ عام يثير مفاهيم خاطئة وعصبيات بائدة، لقد قتل يزيد ـ عبر جنده ـ الحسينَ، فلماذا الدّعوة لثارات الحسين؟ وهل بقي ليزيد أتباع الآن؟ وماذا نستفيد من نبش الماضي وبثّ النعرات...أليس درء المفاسد أولى من جلب المصالح؟ لقد قُتل الزبير في عهد الأمويين في قتلة أبشع من قتل الحسين، وفي مكان هو أقدس مكان للمسلمين؟ بل هناك حادثة تاريخيّة قد تكون أخطر من قتل الحسين، إنها حادثة قتل الخليفة عثمان بن عفان الّذي كان خليفة للمسلمين وقد بايعه الصحابة كلّهم بمن فيهم عليّ والحسن والحسين وكان دمه أول دماء تراق بين المسلمين..قُتِلَ عثمان ولا نجد مَن يقول: يا لثارات عثمان، لقد حان الوقت لكي تتوقف هذه الممارسات كلّ عام وتتوقف معها حالات الشحن الطائفي، حان الوقت لرفض أي تسنّن أموي أو تشيع صفوي، لأننا نريد سنّة وشيعة تعمل على إحياء شريعة

الله وسنّة رسوله دون النظر إلى عصبيات أكل عليها الدهر وشرب ولا تسمن ولا تغني من جوع، في الوقت الّذي تتعرض فيه أمتنا لأقسى حالة من الوهن والتشرذم ولاشدّ هجمة عالميّة..."[٢٠].

وبالجملة: يتلخّص التشكيك بوجوهٍ هي الآتي:

الوجه الأوّل: إنّ عاشوراء تثير المفاهيم الخاطئة والعصبيات البائدة.

الوجه الثاني: لم يبقَ أحد من أتباع يزيد في وقتنا الحاضر، فلماذا الدّعوة لثارات الإمام الحسين؟

الوجه الثالث: لماذا نبش الماضي وبثّ النعرات الطائفيّة؟

الوجه الرابع: لقد قُتل الزبير وعثمان بن عفان ولا أحد ينادي بالأخذ بثارهما.

الوجه الخامس: علينا أن نرفض التسنن الأموي والتشيع الصفوي.

وكلّ هذه الوجوه مخدوشة وموهونة، وفيها الكثير من المغالطات وحرف الحقائق، ولا بدّ من الإيراد عليها بما يلي:

الإيراد على الوجه الأوّل:

حبذا لو ذكر لنا أصحاب النشرة المذكورة المواضيع التي فيها إثارة المفاهيم الخاطئة والعصبيات البائدة حتى لا يتهمنا هؤلاء بالكذب والنفاق؟! فهل أنّ التحدث عن مفاهيم الإمامة والولاية يُعتبر من المفاهيم الخاطئة والعصبيات البائدة؟! وهل أنّ الحديث عن حقّ أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده عليهم السلام بالإمامة من غيرهم يُعَدُّ عصبيّةً بائدة؟! وهل أنّ الحديث حول مظلوميّة الصدّيقة الشهيدة وبعلها وأولادها من المفاهيم المغلوطة والعصبيات المحظورة؟ وهل أنّ الحديث عن فضائل معاوية ومَن نصّبه كأبي بكر وعمر هو من المفاهيم الصحيحة ودونه باطل وضلال؟ وهل أنّ إثارة خلافة أبي بكر وعمر

وعثمان ومدحهم يُعتبر تقدّماً وحضارة؟ يظهر أنّ علماء العامّة يمتعضون من مجالس عاشوراء لأنها تثير فضائل المعصومين عليهم السلام وتُظهر تفوقهم على كل مَن عداهم، وتثبت مظلوميتهم عليهم السلام، فإنْ كان ذكر المظلومية قبيحاً وعصبيةً بائدة ــ بنظر القوم ــ فإنّ ما ألقاه القرآن الكريم لنا من ذكر طواغيت وحكام الأمم المتقدمة وما فعلوه بالمستضعفين، يعتبر أيضاً من المفاهيم الخاطئة والعصبيات البائدة! فلماذا ــ إذن ــ نقرأ في آناء الليل وأطراف النهار قصّة فرعون وهامان والنمرود والسامري وبلعم بن باعورا وقوم عاد وثمود وتُبَّع، وما فعله بنو إسرائيل بموسى وهارون ويوشع بن نون وعيسى وأمه مريم وزكريا ويحيى وداود وسليمان ويونس...إلخ؟!! فلماذا نتعب أنفسنا ونقرأ هذه القصص في القرآن الكريم لأنها تثير المفاهيم الخاطئة والعصبيات البائدة،؛ لأنّ لهؤلاء المذكورين في القرآن أتباع يغضبون إذا ذكرنا شيئاً يمسّ مَن يحبّون وبمن يؤمنون!!! وإذا كان في الحديث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وأحقيتهم بالخلافة ما يثير العصبيات البائدة ويُعَدُّ من المفاهيم الخاطئة، فليكن ما ذكروه مبرراً لنعتنا بالعصبيّة لكونها مما أمر الله تعالى بها، إذ إنّ التجاهر بالحق من صلب دين الإسلام لكنها ليست من المفاهيم المغلوطة كما يدّعون وإلاّ فإنّ علماء العامّة حيث لا يقرّون بخلافة ووصاية أمير المؤمنين على الأمّة بعد ورود الأدلّة القطعيّة عليها لا سيّما حديث الغدير، لذا فهم يثيرون العصبيات البائدة وينشرون المفاهيم الخاطئة التي تثير العصبيات وتعكّر صفو الأقليات؟!!

الإيراد على الوجه الثاني بأمرين:

(الأمر الأول): دعوى أنه لم يبقَ أحد من أتباع يزيد في وقتنا الحاضر، فلماذا النداء بثارات الحسين عليه السلام مردودة ومغلوطة، إذ إنّ حديثهم في هذا المنشور يدلّ على عدم

إنصافهم بحكمهم على قضيّة الإمام الحسين (عليه السلام)، حينما ادّعوا أنّ قتل الزبير وعثمان أبشع من قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فهل منع القاتلون الماء عن الزبير وعثمان؟ هل سبُّوا أباهما وجدّاهما كما فعلوا بالإمام الحسين (عليه السلام)؟ هل قتلوا عيالهما وأطفالهما وأصحابهما بأبشع قتلة؟ هل سَبُوا نساء مَن ذكروا وجلدوهنّ وجعلوهنّ كسبايا الرّوم والترك والديلم ونزعوا عنهنّ الأُزُر والملاحف؟؟ وهل بكت السماء والأرض والأنبياء والجنّ والملائكة على الزبير وعثمان كما بكت على الإمام الحسين (عليه السلام) باتفاق الأخبار بين الخاصّة والعامّة؟ وهل بكى النبي محمّد الزبير وعثمان قبل مقتلهما كما بكى على حفيده المولى الحسين بن عليّ (عليهما السلام)؟!! وهل وهل... فكيف يُقاس ما فُعِل بالزبير وعثمان بما فعلوه بالإمام الحسين (عليه السلام)؟

مضافاً إلى أنّ شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) تختلف بطبيعتها وجوهرها وتوجهاتها عن توجهات عثمان والزبير، فالقاصي والداني يعرف أنّ عثمان حابى بني عمومته وأقاربه على غيرهم من المسلمين، والمستضعفون أمثال محمّد بن أبي بكر وعمّار هم الّذين ثاروا على عثمان، مضافاً إلى أنّ عائشة نفسها تهكّمَتْ على عثمان ونعتته بنعثل وأمَرَتْ بقتله بقولها المعروف: "أقتلوا نعثلاً فقد كفر".

(الأمر الثاني): الّذي نراه هو أنّ أتباع يزيد ازدادوا مراتٍ عن الأوائل، فها هي الأعمال المنكرة للسلفيّة والوهابيّة وحركة طالبان وبن لادن مؤسس تنظيم القاعدة لا ينساها الشيعة في أفغانستان والعراق، مضافاً إلى ما جناه صدّام حسين وزمرته المجرمة على الشعب العراقي وبالخصوص الشيعة والأكراد، فما فعله هؤلاء من اغتصاب الأعراض وسفك الدماء وهدم قبور أئمتنا (عليهم السلام) سواء في البقيع منذ أنْ تأسَّسَتْ الحركة السلفيّة أو في الآونة الأخيرة حيث أراد هؤلاء هدم قبور أئمتنا (عليهم السلام) في العراق،

لا شيء سوى أنّ هؤلاء يكرهون أئمتنا عليهم السلام وكلّ مَن يمتّ إليهم بصلة، عدا عمّا فعله هؤلاء من هتك الأعراض الشيعيّة في أفغانستان حيث كان يتناوب الخمسون رجلاً على المرأة والفتاة الشيعيّة، لا لشيء سوى أنهم شيعة يعتقدون بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، أليس هذا مبرّراً لنا لنرفع شعارات يا لثارات الإمام الحسين عليه السلام؟! فما دمنا نُعْرَض على مذبح اليزيديين وتهتك أعراضنا لانتسابها إلى أهل البيت عليهم السلام، وما دام قبور أئمتنا في غير مأمن فكيف لا تتحرك حميتنا للذود عنها؟ وكيف لا نثور من أجل الحفاظ عليها؟ وإنْ كان علماء العامّة يظنون بأنهم مقصودون بشعاراتنا، فلماذا لا يقفون معنا في ردّ تلكم الحملات عنا ليثبتوا لنا مدى مصداقيتهم وأنهم معنا في دفع الضيم عنا من قِبَل متعصبين منهم؟!!

الإيراد على الوجه الثالث:

ما الضير في ذكر الأحداث التاريخيّة السابقة ليتعظ بها الآخرون ولتكون لهم زاجراً عن الظّلم والفساد؟ وإذا ما كان ثمّة إشكال في استعراض الأحداث التاريخيّة فلِمَ دوّنها علماء العامّة في كتبهم التاريخيّة منذ مئات السنين ويجدّدون طبعها والشروح عليها والتعليق على متونها، فإذا كانت النعرات الطائفيّة بهذه المثابة من الخطورة لكونها تنبش الماضي وتبث النعرات الطائفيّة فلِمَ يثبتونها إذن في كتبهم، فإثباتها يثير حفيظة الشيعة أيضاً، فعلى العامّة أنْ يزيلوها من تلكم المصادر حفظاً لوحدة المسلمين وصوناً لهم من بثّ النعرات ونبش الماضي؟!! وهل باؤهم يجرّ ولا يقسّم الأمّة ولا يبثّ النعرات فيها، وباؤنا لا يجرّ بل يزيد الأمّة ويلات وجرائر؟!! ما هذه الغميضة على الشيعة؟ شنشنة أعرفها من أخزم!

النظر في التاريخ الغابر ضرورة لا غنى عنها، ولا مناص من مزاولتها لأنها وحدها كفيلة بأنْ تطلعنا على حقيقة ما جرى في الماضي لفهم ما يجري في الحاضر.

إنّ التحدّث عن التاريخ قد أكّدت النصوص من الكتاب والسُنّة الشريفة على أهميته، فلو كان التحدّث عنه أمراً غير مألوف أو أمراً قبيحاً مستهجَناً، لَكَان ما ذكره القرآن والسنّة أمراً غير مألوف أو مستهجَناً، وللغى ذكره فيهما، والله ورسوله منزَّهان عن فعل اللغو والعبث.

فلو كان التحدث عن التاريخ عبثاً لا طائل تحته فلماذا ذكر القرآن سُنن الغابرين كفرعون وهامان والنمرود؟! ولِمَ أشار القرآن إلى وجوب السير في الأرض لأخذ العِبرة والعِظة بقوله تعالى:

﴿**لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى...**﴾ (يوسف/١١١).

﴿**يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الّذين من قبلكم..**﴾ (النساء/٢٦).

﴿**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض..**﴾ (آل عمران/١٣٧).

﴿**قل سييروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل..**﴾ (الرّوم/٤٢).

﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين..**﴾ (النمل/٦٩).

إنّ البحث في التاريخ لا سيّما ما جرى على وصيّ الله ورسوله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وزوجته الطاهرة الشهيدة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام وأولادهما المعصومين عليهم السلام هو من صلب ديننا وتاريخنا ولا يمكن أنْ نتغاضى عما جرى عليهم، ولا يمكن أنْ نهادن أو نرضى عمّن أبعدهم عن منازلهم التي رتّبهم الله فيها، إذ مَن رضي بفعل قومٍ كالداخل معهم فيه.

للإمامة بُعدان مهمان:

إنّ البحث عن مفهوم الإمامة والخلافة في الإسلام يكشف لنا عن حقيقة الكثير من المفاهيم الضائعة أو المطموسة، لأنّ كلّ مفاهيم الإسلام مرتبط بنظام الإمامة المتمثّل بالوصيّ الحقيقي لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ــ عنيتُ به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام ــ لذا عندما نثير في عاشوراء مصائب آل البيت عليهم السلام لا سيّما ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وعياله وأخوته وأصحابه عليهم السلام؛ لأنّ ما أصابهم مرتبط مباشرةً بقضايا الخلافة التي انتُزِعَت منهم، وتقمّصها يزيد خلفاً لأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وهو أمر لا يمكن أنْ يتغاضى عنه باحث في التاريخ ومتطلع إلى الحقيقة، وإلاّ كان الباحث مجودع الأنف في تطلعه إلى الماضي ليأخذ منه العظات التي من خلالها يستيقظ النيام والّذين أسكرتهم الزخارف والأماني... إننا نبحث في الإمامة لأنّ فيها بعدين مهمين:

الأوّل: البعد الزماني:

المتجلي في كون أصحاب الحق في فترة زمنية معينة قد اغتصب حقهم عليهم السلام وأُزيحوا قهراً عن مناصبهم التي جعلها الله تعالى لهم، هذا البُعد وإنْ كنّا لا نعيد البحث فيه لتصرُّم تلك الفترة الزمنية وذهاب أعيانها، إلاّ أننا ما زلنا نطالب أتباع مدرسة الشيخين بالإعتراف بأنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام هو صاحب الحق دون سواه ممن جاءوا إلى الخلافة بمرسوم سياسي لا علاقة له بالتشريع والأخلاق ودساتير العِلم والقانون[٢١].

الثاني: البُعد الديني:

أي أنّ الإمامة لها بُعدٌ روحيٌّ ديني باقٍ أثره إلى يومنا هذا، ومن واجب المسلمين الأخذ به وهو أنّ الإمام عليّاً عليه السلام إمام المسلمين وقائد الغرّ المحجلين بنص الأدلة

الدالة على أنه المنقِذ لأحكام وأوامر الشريعة وبسط نفوذها، إضافةً إلى كونه مرجعاً يُرْجَع إليه في حلّ المشاكل التي تطرأ على المسلمين فيما يتعلق في مجالس العقيدة والسلوك، أو فيما يُستجد من موضوعات يترتب عليها حُكْمٌ شرعيٌّ(٢٢).

فإذا غضضنا الطرف عن البحث في الإمامة أو الخلافة وهي بالطبع من التاريخ الماضي ولها علاقة بالحاضر لأنّ إمامة الإمام المهديّ عليه السلام لا تنفصل عن الخلافة ومفهوم الإمامة بل هما توأمان متلاحمان لا يمكن التفكيك بينهما على الإطلاق.

الإيراد على الوجه الرّابع:

قياس قضيّة الزبير وعثمان على قضيّة الإمام الحسين عليه السلام مع ألف فارق، إذ كيف يُقاس بمن بكت لأجله السماء والعرش والفرش والحور والأفلاك، وبكاه الأنبياء والمرسَلون والأولياء قبل أنْ يولد ـ فديته بنفسي ـ كما وقد بكاه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قبل شهادته وهكذا مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام والإمام الحسن المجتبى عليه السلام، بمن لم يبكهما حتى المقربون إليهما والمنتسبون إلى بطانتهما؟! وهل يُقاس الظلام بالنور، والجهل بالعِلْم، والرّذيلة بالفضيلة؟! وهل يُقاس بآل محمّد أحدٌ من الناس؟ كلاّ، فهل يُقاس مَن بذّر بأموال المسلمين بمَن كان يطوي أيامه بلا طعام وقد طلب إليه عبد الله بن زمعة مالاً وهو من شيعته فقال له: إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيءٌ للمسلمين، وجَلْبُ أسيافهم، فإنْ شركتهم في حربهم كان لكَ مثلُ حظّهم وإلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم"(٢٣)، وهل يُقاس عثمان والزبير بعليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام وآله الطاهرين عليهم السلام وهم موضع سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله "ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه..."؟! فلم يخرج الزبير وعثمان من أجل قضيّة إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ولكن كل ما هنالك أنّ الزبير أراد الجاه والشهرة والملك فلم يقدر

عليه فتحصّن بالكعبة ليُظهر النسك والزهد والعبادة أمام الناس، وأمّا عثمان فقد اغتصب الخلافة من أصحابها الشرعيين كما اغتصبها مَن سبقه أمثال أبي بكر وعمر، فلم يأتِ إلى الخلافة بمرسوم إلهي وقرار نبوي، ولو نزلت آية البلاغ والإكمال بعثمان أو من سبقه لاتخذها المخالفون شعاراً ودثاراً على صحّة خلافته، ودليلهم على خلافته أنه ذو النورين وهو حديث مكذوب، مع أنّ أمير المؤمنين عليّاً ذو النور قطعاً لاقترانه بسيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنّة ولا يضاهيه أحدٌ على الإطلاق، لا عثمان ولا من سبقه باعتراف النصوص القطعيّة من مصادر القوم لا حاجة بنا لسردها لطولها، يجدها مَن يطلبها، فليست خافية على ذي عينين،كما لا يمكن أنْ يُقاس الإمام الحسين (عليه السلام) بعثمان والزبير، حيث إنّ روحيّة الإمام الحسين (عليه السلام) لا يضاهيها روحية، وفكره لا يضاهيه فكر، وفضائله لا يضاهيها فضائل، فيكفي ما ورد في حقه عن الرّسول الأكرم أنه قال: "أنا من حسين وحسينٌ منّي"، "الحسن والحسين ريحانتاي.. وهما إمامان قاما أو قعدا" فهل عبّر النبي (صلى الله عليه وآله) عن عثمان والزبير بأنهما ريحانتاه وأنهما إمامان قاما أو قعدا؟! كلا...

إذن علام يساويهما أصحاب المنشور ومَن كان خلفهم بسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) باتفاق الأمّة؟ أليس هذا إجحافاً به (عليه السلام) وتنزيلاً للمقام الّذي جعله الله ورسوله فيه؟!!

فقضيّة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) هي إحياء الدّين وإنعاشه، فقيامه الشريف كان من أجل إرجاع الإسلام إلى مساره الصحيح بعد أنْ تلاعبَتْ به الأهواء الأمويّة وغيرها ممن سبقها، أمّا الزبير وعثمان فلم يثورا على الباطل ولم يقوما على الضلال،

وإنما كان حالهما أنهما اعتزلا الناس بعد هناتٍ صدرت منهما، فكانت عاقبتهما أنْ قُتِلَ عثمان بتحريضٍ من عائشة، وقُتِلَ الزبير بالوشاية عليه عند يزيد.

الإيراد على الوجه الخامس:

أمّا الدعوى إلى رفض التسنن الأموي فحقٌّ لا نقف بوجهه، وأمّا أنْ نرفض التشيّع الصفوي، فهو أوّل الكلام ومحلّ الخصام، إذ كيف نقف بوجه التشيع الصفوي الّذي له فضلٌ علينا، وماذا فعل الصفويون الإيرانيون الطيبون حتى يقف أصحاب المذاهب المبتدعة بوجه تشيعهم؟! ألأنهم شيعة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ أو لأنهم أسسوا دولة بإسم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وحافظوا على كلّ ما يمتّ إلى التشيّع بصلة؟ فلولا الصفويون لَمَا كان ثمّة شيعة في إيران اليوم؟ شيعة إيران اليوم هم امتداد لشيعة الصفويين بالأمس لكنْ شتّان ما بين حكم اليوم وحكم الأمس، وما يفعله الإيرانيون اليوم من مساعداتٍ وإعاناتٍ للتنظيمات والحركات اليساريّة التي تقف موقفاً معادياً للتشيع، لم يفعله أحدٌ من شعوب الدول العربيّة، وعليه؛ فلماذا يقف المسلمون الأشاعرة ضدّ التشيّع الصفوي؟ ألأنّ شيعة إيران لهم باعٌ في المحبّة لأهل البيت عليهم السلام؟!! إنّ مَن يبغض التشيّع الصفوي فلا محالة يبغض الدين، ويبغض أهل البيت عليهم السلام قطعاً.

للصفويين دور عظيم في نشر التشيّع في العالَم وحفظ مقامات أئمتنا عليهم السلام، وتجديد بنائها، ونشر علومهم، من هنا استعانوا بعلماء جبل عامل في تلك الفترة لترويج أخبار وعقائد آل محمّد عليهم السلام، فعلام نقف بوجههم وهم أخواننا وأحباؤنا، يحزننا ما يحزنهم، ويسرّنا ما يسرّهم، قال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة ويُطيعون اللهَ ورسولَه، أولئك سيرحمهم اللهُ، إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ**﴾ (التوبة/٧١).

التشكيك السابع

إنّ مراسم عاشوراء بأغلب مصاديقها تأجّج نار الفتنة، وهي خلاف الوحدة الإسلاميّة التي يسعى إليها الطرفان من الخاصّة والعامّة، في حين نحن بأمسّ الحاجة لحفظ وحدة المسلمين، لذا لا بدّ من توقيفها حفاظاً على الأهمّ وهو الوحدة.

يرد عليه:

إنّ نار الفتنة لا تتأجّج إلاّ في صدور مَن يبيّت البغضاءَ للعِترة الطاهرة عليهم السلام، والعامّة يدّعون أنهم محبّون لعِترة النبيّ صلى الله عليه وآله، فلماذا تتأجّج الفتنة بذكر آل البيت عليهم السلام وبالتعييب على أعدائهم ومبغضيهم؟ فإما أنْ يختاروا عترة النبي عليهم السلام الّتي أوصى الله تعالى بها، أو أنْ يختاروا الفريق الآخر المعادي لهم والمغتصب لحقوقهم... إنّ مفهوم الوحدة الإسلاميّة هو أنْ نقف بوجه الباطل ونعضد الحقَّ، فكلّ ما هو عدوّ لله علينا أنْ نتبرّأ منه حتى لو كان من أقرب الناس إلينا، أمّا أنْ نقف بوجه الحق فهو من أعظم الكبائر عند الله تعالى، ولا يمكن للحق أنْ يتّحد مع الباطل والوحدة التي يزعمون هي وحدة الباطل مع الحق، مع انّ الله تعالى نهانا أنْ نتّحد مع الباطل وأهله وأمرنا أنْ نحبَّ الحقَّ وأهله، فكيف نتّحد مع ما نهانا الله تعالى عنه، ونتفرّق عما أمرنا بمحبته والإنقياد إليه؟!

وعليه؛ فلا بدّ لنا أنْ نكره يزيد وأتباع يزيد وكلّ مَن وافق على أعمال يزيد، ونحن في محرَّم من كلّ سنة نرفض النهج اليزيدي، بل كلّ نهج لا يسير على درب الإمام

الحسين (عليه السلام)؛ لأنّ الحقّ يدور معه حيثما دار، وعلى كلّ عاقل وحرّ أنْ يتبرأ من يزيد وأعماله، وأنْ يكره كلّ عمل لا يصبّ في خانة الإمام الحسين (عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنّة، وبهذا لا نكون قد حقّقنا الوحدة الإسلاميّة التي يسعى إليها دعاتها ومؤسسوها على حساب أهل البيت (عليهم السلام)، بل إنّ الأنضواء تحت لواء الإمام الحسين (عليه السلام) هو رمز الوحدة الإنسانيّة النابعة من فطرة الإنسان السّوي، والمنسجمة مع القيم والمثل العليا التي يسعى البشر لنيلها، ويعملون في سبيل تأكيدها وترسيخها لتأخذ بيد الأفراد والمجتمعات إلى الحياة الحقيقيّة والسّعادة الأبديّة...

إنّ كلّ مَن يزعم أنّ مراسم عاشوراء تؤجج نار الفتنة وتفرق بين جموع المسلمين؛ فإنه في الواقع هو الّذي يؤجج الفتنة ويُشعل أوارها، بل ويتهم الشيعة بالفتنة ويسيء إليهم بحبّ الجريمة وسفك الدماء البريئة.

وكلّ عالِمٍ شيعيٍّ ينسب إلى مراسم عاشوراء بأنها تسيء إلى الآخرين وتزعج خاطرهم، هو في الواقع يثير الفتنة، ويصبُّ الزيت على النار، فعلى القواعد الشعبيّة أنْ لا تصغى إليه، بل عليها اعتزاله ومقاطعته، وكم يوجد على ساحتنا الشيعيّة من أمثال هؤلاء الّذين في قلوبهم مرض، يبتغون عرض هذه الدنيا، وسوف يلاقوا يومهم الّذين يوعَدون، وهكذا الحال مع كلّ عالِمٍ أشعري ينسب إلى مراسم عاشوراء بأنها مضرّة بالوحدة الإسلاميّة فإنه يثير الفتنة، ويصرّح غير ما يدّعي بأنه محبّ لعترة النبي (عليهم السلام) وفي ذات الوقت تأخذه الغيرة على أعداء العترة الطاهرة (عليهم السلام).

إنّ مَن يدّعي أنّ آلَ النبي (عليهم السلام) مع الحق كيف لا تكون دعواه أساساً للوحدة مع الشيعة في كره أعداء عترة النبي (عليهم السلام)، ويكون ذلك منطلقاً صحيحاً للوحدة المنشودة.

فالحاصل أنه ليس في الشعائر الحسينيّة ما يثير الفتنة ويفرّق المسلمين ويورث حزازات طائفيّة بينهم، إنّ الّذي فرّق ومزّق وحدة المسلمين وأثار الحزازات الطائفيّة بين المسلمين هم أولئك العملاء المأجورون من قِبَل الإستعمار وأعداء المسلمين الّذين ينفثون سموم التفرقة بين حين وآخر بواسطة بعض علماء السوء والكتب التي تتحامل على الشيعة بالكذب والإفتراء والتهم والسبّ ونسبة الكفر والشرك إليهم.

إنّ الّذي يفرّق كلمة المسلمين ــ ليس عاشوراء ــ بل الّذين يكتبون عن الشيعة بأنهم طائفة من اليهود وأنهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون للمسلمين جميعاً، فلماذا لا يقف الأشاعرة من هؤلاء موقف الشجب وأنهم واقعاً يثيرون الفتنة ويخلّون بوحدة المسلمين؟!!

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيَّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

*****

التشكيك الثامن

لماذا يحيي الشيعة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام إلى الآن بهذا الشكل من التعظيم بالبكاء واللطم وما شابه ذلك أكثر من غيره من الأنبياء والأوصياء الّذين استشهدوا في سبيل الله وبالأخصّ جدّه وأبيه وأمّه وأخيه؟ وما معنى أنْ يبكيه الشيعة كلّ عام وقد مضت على شهادته قرون طويلة، أليس في هذا مبالغة في إحياء ذكراه؟!

الإيراد عليه بما يلي:

إنّ إحياء الشيعة لمراسم عاشوراء كلّ عام بكلّ هذا الزخم العظيم حيث لا نشاهده في إحياء ذكرى غيره من الأئمّة عليهم السلام لما في ذكراه من إثارة للعواطف الجياشة نحو شخصه الكريم بسبب شدّة مظلوميته وأهل بيته وأصحابه ونسائه، فلم نسمع أنّ أحداً أصيب بمثل ما أصابه عليه السلام من البلاء و القتل والتشريد والسبي لعياله وأخواته، وهي حادثة بمجموعها تعتبر أعظم ما وقع من البلاء الدنيوي على أي مجموعة أخرى من البشر خلال مسيرة التاريخ بأجمعها، من هنا كان ردّ فعلها المأساوي أعظم وأجلُّ من كلّ حادثة أخرى في العالَم مماثلة أو غير مماثلة، من هنا أجاد الشاعر حينما قال عنها:

وحوادث الأيام تبقى مدّة   وتزول، وهي إلى القيامة باقية

وقال آخر:

لقد تحمل من ارزائها محناً   لم يحتملها نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ

وقد أحسن مَن قال:

أحسين فيما أنت قد حمّلته ... أشغلت فكر العالمين جميعاً

يُضاف إلى ذلك: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أعظم داعية للجهاد في سبيل الله وأظهر مثال للثبات والإستقامة على المبدأ، فكلّ مَن أراد العزّة والكرامة والثورة على الباطل والمنكر، عليه أنْ يستنّ ويقتدي بمولى الأحرار الإمام المظلوم عليه السلام، لأنه ـ فديته بنفسي ـ ميزان لتمييز الحق من الباطل، فكلما تذكره الثائر كلما وجد فيه جذوة النور تشدّه نحو السماء والعدالة والحق ضدّ الخلود إلى الأرض والباطل، من هنا قال غاندي: لقد علّمني الإمام الحسين كيف أثور على الباطل.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام يذكّرنا بالله تعالى وبالآخرة وبالحق والعدل والمثُل العليا، وكلما تغافلنا عن شخصه الكريم، فلا محالة سيلتبس علينا وجه الحق وسوف نفقد الموازين الإنسانيّة والمقاييس التي تفرّق وتشخّص الحق من الباطل.

ونؤكّد أيضاً على أننا نبكي على أئمتنا الأطهار عليهم السلام الّذين قُتلوا في سبيل الله وعلى رأسهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث استشهد مسموماً، لكنّ بكاءنا عليهم ليس بذاك المستوى من الإنفعال العاطفي الّذي نبديه إتجاه الإمام الحسين عليه السلام، وإنْ كنتُ شخصياً أميل إلى أنّ مظلوميّة وشهادة مولاتنا فاطمة عليها السلام وما جرى عليها من الحيف والظلم وغير ذلك من داعية الجاهليّة لا يقلّ عما جرى على الإمام الحسين عليه السلام إلا يسيراً، لذا فإنّ إقامة ذكراها الحزينة تذيب الصخر الأصم وتفتّت الفؤاد، إذ إنّ هذه الطاهرة الميمونة عليها السلام لم يُعْرَف قبرها إلى الآن، فهل هناك مظلوميّة أعظم من مظلوميتها؟! هل ظُلِمَتْ إمرأة بالكيفيّة التي جرت على سيّدة النساء عليها السلام؟! فهذه آسية بنت مزاحم قد ظُلِمَتْ من فرعون، لكنه لم يرفسها على بطنها استهانةً بها وبما

تحمله من جنينٍ كريم على الله تعالى، آسية بنت مزاحم أوتدوا في يديها ورجليها المسامير لكنهم لم يصفعوها على خدّها ولم يرفسوها على بطنها إذلالاً لها ولزوجها، ولم يدخلوا دارها عنوةً كما فعلوا بسيّدة النساء عليها السلام؟! إنّ ما جرى على هذه الكريمة لم يجرِ على إنسانٍ قط سوى على الإمام الحسين عليه السلام الّذي يزيدها قليلاً ـ فديتها بنفسي ـ، لذا فإنّ البكاء عليها وإقامة العزاء والذكرى من أجلها لا بدّ أنْ يكون بمستوى عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، وهذا لا يعني أنْ نترك عزاء الإمام الحسين عليه السلام فيما لو أقمنا عزاءها عليها السلام أو فيما قصّرنا في إقامة ذكراها الأليمة أو ذكرى أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الميامين عليهم السلام.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام علّمنا كيف نثور على الباطل من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الفريضة التي تناساها ونسيها الكثير من علماء الدين، وقصّروا في أدائها، فصاروا يتعللون بمعاذير هي في الواقع تسويلات شيطانيّة من قبيل أنه إنْ لم نحتمل التأثير أو لم نأمَن الضرر فيسقط عنّا الأمر بالمعروف مع أنّ ثمّة أياتٍ وأخباراً كثيرة تدلّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يمكن تقييدها بحالة الإحتمال لوجود قرائن صارفة تمنع من التقييد المذكور، منها ما أورده الكليني بسنده إلى:

(١) عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن مُحمّد بن خالدٍ، عن بعض أصحابنا، عن بشر بن عبد الله، عن أبي عصمة قاضي مرو، عن جابرٍ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:: يكُونُ في آخر الزّمان قوم يتبعُ فيهم قوم مُراؤون يتقرّؤون ويتنسّكُون حُدثاءُ سُفهاءُ لا يُوجبُون أمراً بمعرُوفٍ ولا نهياً عن مُنكرٍ إلّا إذا أمنُوا الضّرر، يطلُبُون لأنفُسهمُ الرُّخص والمعاذير، يتّبعُون زلّات العُلماء وفساد عملهم، يقبلُون على الصّلاة والصّيام وما لا

يكلمُهُم في نفسٍ ولا مالٍ، ولو أضرّت الصّلاةُ بسائر ما يعملُون بأموالهم وأبدانهم لرفضُوها كما رفضُوا أسمى الفرائض وأشرفها، إنّ الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تُقامُ الفرائضُ هُنالك يتمُّ غضبُ الله عزّ وجلّ عليهم فيعُمُّهُم بعقابه فيُهلكُ الأبرارُ في دار الفُجّار والصّغارُ في دار الكبار، إنّ الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر سبيلُ الأنبياء، ومنهاجُ الصُّلحاء، فريضة عظيمة، بها تُقامُ الفرائضُ، وتأمنُ المذاهبُ، وتحلُّ المكاسبُ، وتُردُّ المظالمُ، وتُعمرُ الأرضُ، ويُنتصفُ من الأعداء، ويستقيمُ الأمرُ، فأنكرُوا بقُلُوبكُم والفظُوا بألسنتكُم وصُكُّوا بها جباههُم ولا تخافُوا في الله لومة لائمٍ فإن اتّعظُوا وإلى الحقّ رجعُوا فلا سبيل عليهم ﴿**إنّما السّبيلُ على الّذين يظلمُون النّاس ويبغُون في الأرض بغير الحقّ أُولئك لهُم عذاب أليم**﴾، هُنالك فجاهدُوهُم بأبدانكُم وأبغضُوهُم بقُلُوبكُم غير طالبين سُلطاناً ولا باغين مالًا ولا مُريدين بظُلمٍ ظفراً حتّى يفيئُوا إلى أمر الله ويمضُوا على طاعته قال: وأوحى اللهُ عزّ وجلّ إلى شُعيبٍ النّبيّ عليه السلام أنّي مُعذّب من قومك مائة ألفٍ أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم فقال عليه السلام: يا ربّ هؤُلاء الأشرارُ فما بالُ الأخيار؟ فأوحى اللهُ عزّ وجلّ إليه داهنُوا أهل المعاصي ولم يغضبُوا لغضبي(٢٤).

(٢) عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن مُحمّد بن خالدٍ، عن مُحمّد بن عيسى، عن مُحمّد بن عُمر بن عرفة قال: سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقُولُ: لتأمُرُنّ بالمعرُوف ولتنهُنّ، عن المنكر أو ليُستعملنّ عليكُم شرارُكُم فيدعُو خيارُكُم فلا يُستجابُ لهُم(٢٥).

(٣) عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زيادٍ، عن عبد الرّحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حُميدٍ، عن أبي حمزة، عن يحيى بن عُقيلٍ، عن حسنٍ قال: خطب أميرُ المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعدُ فإنّهُ إنّما هلك من كان قبلكُم حيثُ

ما عملُوا من المعاصي ولم ينههُمُ الرّبّانيُّون والأحبارُ عن ذلك وإنّهُم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههُمُ الرّبّانيُّون والأحبارُ عن ذلك نزلت بهمُ العُقُوباتُ، فأمُرُوا بالمعرُوف ونهوا عن المنكر واعلمُوا أنّ الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر لم يُقرّبا أجلًا ولم يقطعا رزقاً إنّ الأمر ينزلُ من السّماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كُلّ نفسٍ بما قدّر اللّهُ لها من زيادةٍ أو نُقصانٍ فإن أصاب أحدكُم مُصيبة في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ ورأى عند أخيه غفيرةً في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ فلا تكُوننّ عليه فتنةً فإنّ المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم يغش دناءةً تظهرُ فيخشعُ لها إذا ذُكرت ويغري بها لئام النّاس كان كالفالج الياسر الّذي ينتظرُ أوّل فوزةٍ من قداحه تُوجبُ لهُ المغنم ويُدفعُ بها عنهُ المغرمُ وكذلك المرءُ المسلمُ البريءُ من الخيانة ينتظرُ من الله تعالى إحدى الحُسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خير لهُ وإمّا رزق الله فإذا هُو ذُو أهلٍ ومالٍ ومعهُ دينُهُ وحسبُهُ، إنّ المال والبنين حرثُ الدُّنيا والعمل الصّالح حرثُ الآخرة وقد يجمعُهُما اللّهُ لأقوامٍ فاحذرُوا من الله ما حذّركُم من نفسه واخشوهُ خشيةً ليست بتعذيرٍ واعملُوا في غير رياءٍ ولا سُمعةٍ فإنّهُ من يعمل لغير الله يكلهُ اللّهُ إلى من عمل لهُ نسألُ الله منازل الشُّهداء ومُعايشة السُّعداء ومُرافقة الأنبياء(٢٦).

(٤) مُحمّدُ بنُ يحيى، عن الحُسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن النّضر بن سُويدٍ، عن دُرُست، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث ملكين إلى أهل مدينةٍ ليقلباها على أهلها فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجُلًا يدعُو الله ويتضرّعُ فقال أحدُ الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الدّاعي؟ فقال: قد رأيتُهُ ولكن أمضي لما أمر به ربّي، فقال: لا ولكن لا أُحدثُ شيئاً حتّى أُراجع ربّي فعاد إلى الله

تبارك وتعالى فقال: يا ربّ إنّي انتهيتُ إلى المدينة فوجدتُ عبدك فُلاناً يدعُوك ويتضرّعُ إليك فقال: امض بما أمرتُك به فإنّ ذا رجُلٌ لم يتمعّر وجهُهُ غيظاً لي قطُّ(٢٧).

(٥) عليٌّ بنُ إبراهيم، عن أبيه، عن النّوفليّ، عن السّكُونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: أمرنا رسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نلقى أهل المعاصي بوُجُوهٍ مُكفهرّةٍ(٢٨).

(٦) عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن يعقوب بن يزيد رفعه قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله(٢٩).

(٧) عليٌّ بنُ إبراهيم، عن هارُون بن مُسلمٍ، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: كيف بكُم إذا فسدت نساؤُكُم وفسق شبابُكُم ولم تأمُرُوا بالمعرُوف ولم تنهوا عن المنكر فقيل لهُ: ويكُونُ ذلك يا رسُول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم وشرّ من ذلك كيف بكُم إذا أمرتُم بالمنكر ونهيتُم عن المعرُوف فقيل لهُ: يا رسُول الله ويكُونُ ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم وشرّ من ذلك كيف بكُم إذا رأيتُمُ المعرُوف مُنكراً والمنكر معرُوفاً(٣٠).

ما نراه اليوم أنّ القاعدين عن الأمر بالمعروف المتعللين بعدم التأثير إنما هو بسبب خوفهم من الناس في أغلب الأحيان، مع انّ مطلقات الآيات والأخبار على العكس من ذلك، منها قوله تعالى: ﴿**الّذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبُنا الله ونِعْمَ الوكيل**﴾ (آل عمران:١٧٣).

فلو أنّ كلّ إنسان يخشى الناس ولا يخشى الله تعالى، فيترك النهي عن المنكر إذاً فلا تقام الواجبات والحدود، فخشية الناس لا تقرب أجلاً ولا تنقص رزقاً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يحقِّرَنَّ أحدكم نفسه أنْ يرى أمراً لله تعالى فيه مقالٌ، فلا يقول: يا ربّ خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أنْ تخشى[٣١].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يحقرن أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله وكيف يحقّر أحدنا نفسه؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يرى أنّ عليه مقالاً، ثمّ لا يقول فيه، فيقول الله (عز وجل) يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشيت الناس! فيقول: فإياي أحق أن تخشى[٣٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أعرفنّ رجلاً منكم علم عِلْماً فكتمه فرقاً من الناس[٣٣]. وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنّك ظالم، فقد تودع منهم[٣٤]. وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يمنعنّ أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا رآه أو سمعه[٣٥].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا لا يمنعنّ أحدكم هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا رآه أن يذكّر بعظم الله، لا يقرّب من أجل ولا يُبعِد من رزق[٣٦].

إذن إنّ شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت من أجل تثبيت هذه الفريضة المقدَّسة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قام بأدائها الإمام ـ فديته بنفسي ـ على أصعب مراتبها وأشدّ صورها وأرفع مستوياتها، لذا فإنّ الله تعالى جعل يومَ الإمام الحسين (عليه السلام) حياً خالداً ليكون حجة على الناس وقدوةً لعامّة المسلمين ومثلاً أعلى لكلّ العلماء في كلّ زمانٍ ومكان في القيام بهذا الفرض العظيم، لأنّ بقيام هذه الفريضة تُقام الشريعة كلّها، لتوقفها على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا يمكن تسميتها بفريضة المحافظة على النظام وضمان تطبيقه، لذا لم تسقط عن أيّ مسلم ومسلمة في أي مستوى كان، لأنّ الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ولا خلاف أنّ الأنبياء والمرسَلين قاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدّوا هذا الواجب العظيم حسب ظروفهم وأحوالهم وإمكانياتهم وقابلياتهم، غير أنّ

الإمام الحسين عليه السلام قام بأداء هذا الواجب على نحو من الصعوبة والمشقّة بحيث لم يسبقه فيه سابق ولن يلحقه لاحق سوى الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام.

أجل، لقد وقف الأنبياء والأولياء في وجه الطغاة والظالمين وكلّفهم ذلك تضحيات كبيرة في أموالهم وأبنائهم وأنفسهم وأهاليهم، ولكن لم يتفق لأحد منهم أنْ ضحّى بكلّ هذه الأشياء وغيرها مجتمعةً وفي آنٍ واحد مثل ما فعل مولانا الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُصب أحد من هؤلاء الأعاظم بمثل ما أُصيب الإمام عليه السلام من الرزايا والخطوب التي آلمت السماء والأرض وكلّ شيء؛ إنّه الصابر القدوة، واين صبر ايوب من صبره؟!! فوالله ما صبر أيوب في جنب صبره عليه السلام سوى قطرة في بحر محيط!!

وعليه كيف لا نقيم له العزاء في كلّ سنة، بل في كلّ أسبوع ويوم، وله فضل علينا، بل له فضل على الإسلام والإنسانيّة، فإذا ما كان المسيحيون يحيون إلى الآن ذكر ميلاد المسيح عليه السلام رغم مرور ألفي سنة على ولادته، وما ذلك إلاّ لعظم شخصيّة المسيح عليه السلام ونورانيته، فليس من السهل أن ينسى التاريخ شخصيّة سيّدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، كما يستحيل على الزمن هضمها ونبذها، لأنّ خلود الشخصيّة إنما يدور مدار آثار تلك الشخصيّة لا مدار مرور الزمن، ولا شكّ أنّ شخصيّة مولى الأحرار سيّدنا ومعلّمنا شهيد الله الإمام الحسين عليه السلام وثورته الحقة ضدّ الباطل يعتبر في قمّة الشخصيات العالميّة من حيث آثارها الجليلة ونتائجها التي غيّرَتْ وأثرت في مجرى تاريخ الإنسانيّة والأمّة الإسلاميّة، وصانت شريعة الله من التحريف والتزييف إذ لم يعد بإمكان المتسترين بالدين أن يخنقوا تعاليمه باسم الدّين لأنّ تلامذة الإمام الحسين عليه السلام يقفون لهم بالمرصاد ليلقنوهم درساً من دروس أستاذهم العظيم الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام.

التشكيك التاسع

ما ذكره المشكِّك المعهود على منبر مسجده مدّعياً أنّ بعض الناس يطبّرون على رؤوسهم في يد، وفي اليد الأخرى سيجارة **marlboro** الأميركيّة، إذ كيف يقيم هؤلاء المطبِّرون ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ويدخّنون سجائر أمريكية التي هي الدّ أعدائنا بل هي أكثر عداءاً من مليون يزيد...

يرد عليه:

إذا كانت العداوة بأنْ نقاطع شرب السيجارة الأميركية، فلماذا لا يقاطع شراء القماش الأميركي حيث يستر به جسمه هو وأولاده وأقرباؤه؟ ولماذا لا يقاطع حتى شراء البنزين لسياراته إذ هي مفلترة بماكينات أميركيّة وصناعة أميريكيّة، بل لعلّها مصنوعة في إسرائيل وبريطانيا التي باعت فلسطين لليهود، فلماذا لا يقف معادياً لبريطانيا العلّة الأساس لمجيء اليهود وسيطرتهم على فلسطين؟! بل إنّ الشاش الملكي المصنوعة عمامته منه هو من بريطانيا، فلماذا يلبس العمامة البريطانيّة والجبّة البريطانيّة ويقتني الدولار الأميركي ووو... أليس مَن يشتري بضائع صناعة بريطانيا التي باعت فلسطين لليهود خائناً ومرتكباً للكبائر بحسب فتواه ودعواه؟؟

إنّ الإرهاصات التي يطلقها عبر وسائل الإعلام لا سيّما من على منبره في بيروت أمام بسطاء وسذَّج استخف بعقولهم فأطاعوه بكلّ ما يقول، وصدق عليهم قوله تعالى حاكياً عن قوم فرعون: ﴿**فاستخفّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾

(الزخرف/٥٤) بل استحوذ عليهم إبليس فصدّهم عن السبيل قال تعالى: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾ (المجادلة/١٩)، وقال تعالى: ﴿**إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ (فاطر/٦).

❁❁❁❁❁

التشكيك العاشر

ثمّة جانبان مهمّان في قضيّة الإمام الحسين عليه السلام لا يكاد يقلُّ أحدهما أهمية على الآخر:

الجانب الأوّل: جانب النعمة والرّحمة بهذا التوفيق الإلهي العظيم للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام بهذه المقامات الرفيعة التي شرّفهم المولى عزّ وجلّ بها، وهو أمر يقتضي الفرح والإستبشار لا الحزن والتألّم لأنّ البلاء الدنيوي كلما كان أكثر، كان الثواب الأخروي أعظم، فيكون الإستبشار والفرح أولى، لذا ورد أنّ بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا مستبشرين كما جاء عن برير بن الخضير رضي الله عنه أنه قال: واللهِ، إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إنّ بيننا وبين الحور العين إلاّ أنْ يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم(٣٧).

وها هو الشاعر يصف المولى الكريم العباس بن عليّ عليهما السلام وقد حارب مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً لا نظير له، وواساه مواساةً لا شريك لها فقال الشاعر:

عَبَسَتْ وجوه القوم خوف الموت

والعبّاس فيهم ضاحكٌ متبسّم

وهكذا المولى عليّ الأكبر عليه السلام عندما لقي أباه الإمام الحسين عليه السلام فسأله: أبه أولسنا على الحق؟ فقال الإمام الحسين عليه السلام مجيباً ولده عليّ الأكبر: بلى يا بني، فقال مولانا عليّ الأكبر ساعتئذٍ: إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا.

الجانب الثاني: جانب الحزن والألم على مصاب الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فلماذا نقدّم الجانب الثاني على الأوّل؟

والجواب بوجهين:

(**الوجه الأول**):إنّ هذين الجانبين ناجزان فعلاً في شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلاّ أنّ الجانب الثاني الأهم مقدَّم على الأوّل، فالجانب الأوّل ينظر إلى النتائج الأخرويّة للإمام عليه السَّلام وأصحابه الميامين، والجانب الثاني ينظر إلى جهة البلاء الّذي عاناه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام لكونه بلاءاً دنيوياً خالصاً لا يشوبه بلاء أخروي إطلاقاً بل له في الدّنيا والآخرة أعلى المقامات وأرفع الدرجات.

مضافاً إلى أنّ الجانب الثاني سببٌ عظيمٌ في تربية الأفراد والمجتمعات تربيةً صالحة أكثر من الجانب الأول، والسّرّ في ذلك أنّ الحزن يولّد الإنكسار واليقظة نحو الآخرة من حيث كونه سبباً للإبتعاد عن الرذائل والشهوات التي هي في الواقع ستائر تحجب عن التذكر والخوف من سوء المصير، مع التأكيد على أنّ الحزن على سيّد الشهداء

يولّد في الحزين تعاطفاً قوياً مع قضيّته ومبادئه بحيث يتحمس لها بكلّ كيانه ووجوده ويكون أكثر إنقياداً لتطبيق أهدافه ومراميه عليه السلام، وأمّا الفرح أو السرور فإنه يزهو بالنفس ويبعدها عن الأهداف لأنّ الفرح بذاته سبب للنشوة التي تُسكر العقل عن الإدراك والفهم، من هنا ذمّ الله الفرحين الّذين تبطرهم النعمة بقوله تعالى: ﴿**إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوأ بالعُصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحبّ الفرحين**﴾ (القصص/٧٦).

(**الوجه الثاني**):إنّ الفهم العام لأيّ ظاهرة بما فيها واقعة الطف إنما هو ظاهرها الدنيوي وليس واقعها الأخروي، فكان من الأفضل توجيه الناس إلى ما يفهمون ويدركون، من هنا ورد بالمتواتر الحثّ على البكاء لأجل الإمام المظلوم عليه السلام لأهمية ذلك وتأثيره في النفوس من حيث الترقي في مدارج الكمال الإنساني لأنّ الدمع على قضيّة كحادثة كربلاء لا تدع درناً في القلب إلاّ غسلته، ولا شيطاناً إلاّ أحرقته، ولا دنيا إلاّ نبذتها، مضافاً إلى أنّ في البكاء عليه إعلاماً مهماً لنصرة قضاياه وأهدافه وتوجهاته كما لا يخفى على الفطن اللبيب، لذا كان التركيز على البكاء لا على الفرح والسرور، من هنا بكى حبيب بن مظاهر رحمه الله على الإمام الحسين عليه السلام قبل موته وبكى مسلم بن عقيل وغيرهما، وما ذلك إلاّ لأنّ البكاء أيضاً يكون سبباً لإقامة الحجّة على الخصوم عندما لا ينفع الكلام والإفهام، فيكون البكاء الأسلوب الصامت والسلبي على الأعداء وهو ما فعلته مولاتنا حجّة الله على خلقه فاطمة الزهراء عليها السلام بعد شهادة أبيها، وفعلته أيضاً الصدّيقة الصغرى عقيلة الهاشميين مولاتنا زينب عليها السلام بعد شهادة أخيها، وفعله مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أبيه عليه السلام.

*****

فذلكة البحث

هذه أعظم الشبهات والتشكيكات على مراسم عاشوراء، وقد فنّدناها واحدةً تلو الأخرى آملين من القارئ الكريم تكرار قراءة الرّدود عليها ليكون على إلمامٍ بها لكونها ضوابط علميّة وقواعد فقهيّة ومنطقيّة يستطيع من خلالها المتطلع إلى الحقيقة الدّفاع عن مراسم عاشوراء المقدَّسة التي حاول الأعداء ولا يزالون النيل منها بكلّ ما أوتوا من قوّة ووسائل إعلاميّة لتضعيفها وإماتتها من نفوس عشاق المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فبذا يكون الأعداء قد خدّروا القواعد الموالية فيسهل الترأس عليها وإملاء المعتقدات والأفكار التي تناسب توجهاتهم السياسيّة والفكريّة الداعية إلى إرجاع عهد الدولة العثمانيّة لكن بإسم آخر وشعار آخر هو شعار الوحدة الإسلاميّة التي لم تجر على الشيعة سوى التنازل عن معتقداتهم بواسطة عملاء لعلماء العامّة الداعين إلى إماتة نهج أهل البيت عليهم السلام وإزالته عن الساحة الإسلاميّة ـ وهؤلاء العملاء لديهم الوسائل المادية والمعنوية الكبيرة، مضافاً إلى عاملَي القهر والقوّة اللَّذَين يطغيان على توجهات تلك الفئة العميلة للجم كلّ فمٍ ينادي بالدفاع عن عقائد أهل البيت عليهم السلام والذود عنها، وينعتون كلّ موالٍ بالعصبيّة وبأنه يشقّ عصا المسلمين.

أيها العلماء والخطباء المشككون... فلتحرك شعائر الإمام الحسين عليه السلام فيكم الحمية والغيرة على الدّين، فإنّ مَن استحى بشعائره لا ينال احتراماً من الآخرين، لأنّكم عندما تستهينون بالشعائر والمقدَّسات فإنّ ذلك يزعزع ثقة الآخرين بكم، مع الخزي والعذاب يوم تشخص فيه القلوب والأبصار.

ولنكن أنصار الله وأنصار المولى الإمام المعظَّم أبي عبد الله (عليه السلام)؛ فإنّ مَن كان لله عزّ وجلّ كان الله معه ﴿**إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**﴾ ﴿**ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصُرُنَّه**﴾، وكما قال الإمام الحجّة المنتظر (عليه السلام) لمن وقع في ضيق "**نصرتنا فنصرناك**".

❁❁❁❁❁

الخاتمة

إنّ مراسم عاشوراء لا سيّما مواكب التطبير لها خصائص وآثار تربويّة من حيث كونها بمثابة نوع من المجاهدات والرياضات الرّوحية التي تصقل الرّوح الإنسانيّة فتعطيها قدرةً على التفاني والإيثار وتقدح في النفس والروح جذوة التضحية في سبيل العقيدة مما يبعث فيها الحب الصافي للإمام (عليه السلام) وصفاء السريرة.

كما ولها أبعاد عرفانيّة وإعلاميّة، إذ إنّ امتزاج عواطف المحبّة الصادقة والخالصة من الشوائب الدنيويّة مع لوعة المصاب والأسى يُنتج عادةً نوعاً من العشق المتصاعد لشخص الإمام الحسين (عليه السلام)، هذا العشق الّذي قد يصل إلى حالة الربط مع المحبوب بحيث لا يمكن فصله عنه، "وما التطبير إلاّ نفثة تجعل العاشق في خيال عشقه قريباً من الواقعة التي يتضوّر قلبه حين يمرُّ خاطرها، وتبقى القلوب المخلصة في طواف مع الإمام الحسين وحوله (عليه السلام)"، مضافاً إلى أنّ مواكب التطبير تصبغ المشاركين والحشود الجماهيريّة الكبيرة بالعاطفة الجياشة وبالتواصل القلبي والعقيدي مع الهدف الّذي عُقدت لأجله مواكب التطبير التي لا تبتغي حملة إعلاميّة انتخابيّة لتيار سياسي أو

تنظيم إجتماعي أو طمعاً بالوصول إلى سلطة معينة، لأنّ كل ذلك يتنافى مع مواكب التطبير ويتعارض مع توجهاتها ومبادئها.

لقد تكاتف الأعداء وأذنابهم في صفوفنا على طمس معالم التطبير والبكاء فلم يزدهما إلاّ تألقاً وازدياداً دون خوف من سلطة أو جهة مهما بذلوا وسعوا للإطاحة بها، إنها سرّ من أسرار الإمام الحسين عليه السلام ووهجٌ بسيط من وهجات نوره المتألق على صحراء كربلاء، هذا النور الّذي آلى الله سبحانه على نفسه إلاّ أنْ يكون ساطعاً على عوالم الإمكان عربون محبّة الله لعبده العاشق المولى الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام.

ولا يحقّ لأيٍّ كان، مهما كان وزنه، أنْ يمنع شعيرة من شعائر عاشوراء لا تحت عنوان الحاكميّة ولا عنوان المصلحة بحجّة أنّ التطبير يوجب نفرة الناس من الإسلام، فكما إنّ الأديان الأخرى والمذاهب المبتدعة عندهم ما يكفيهم من الأمور التي توجب نفرة الشيعة منهم ومن غيرهم، فلماذا لا يشطبون على تلكم الأمور التي توجب النفرة أسوةً بنا نحن الشيعة الّذين يُراد منا أن نشطب على كلّ ما لا يتوافق مع رغبات الأجانب أو الأعداء؟ لماذا يجب علينا أ ن نتنازل دائماً ولا يجب على غيرنا أن يتنازل عن بعض شعائره أو مبادئه حتى يكون مقبولاً عندنا؟! وهل كُتب علينا أن ننبطح على بطوننا من أجل إرضاء العامّة؟ وهل التنازل دفع عن بقيعنا السليب الحزين وصمة العار التي أُلصقت بنا ونحن بالملايين ولا يمكننا أن نبني حجراً على قبور أئمتنا عليهم السلام في الحجاز؟ وماذا فعلت الوحدة لمقاماتنا المقدَّسة في العراق يوم ضربها صدّام ثمّ أعاد الكرّة عليها شذّاذ من الآفاق؟ هل منعت الوحدة من ذبح الشيعة في أفغانستان والعراق وباكستان؟

علينا أن نتمسك بشعائرنا سوآء أَرَضِيَ الأعداء علينا أم سخطوا، وما دمنا في كلّ الحالات مضطهدين لا وزن لنا عند غيرنا فلِمَ نتنازل عن مبادئنا وشعائرنا؟!، بل كلما

تمسكنا بديننا وشعائرنا كلما تغلبنا على الصعوبات التي تعترضنا، فمَن استحى بشعائره لا يمكنه أنْ ينال رضا واحترام الآخرين. إنّ تعظيم الشعائر هو أنْ لا تدع مجالاً لانتقادها من قِبَل الآخرين، لأنّ ذلك مقدّمةً للتهكّم على معتقداتكَ برمّتها، فَصِنْ شعائرك ودافع عنها تكن عزيزاً عند خصومك...

والحمد لله ربّ العالمين وسلامٌ على المرسَلين لا سيّما محمّد رسول الله وآله أولياء الله القادة الميامين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين، وعجِّل اللهمّ فرَجَ المنتقم لكَ من أعدائِكَ واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمدافعين عنه والمستشهدين بين يديه بحقّ الحقّ والقائم بالعدل صاحب الزمان روحي وأرواح العالمين لتراب نعليه الفداء.

محمّد جميل حمّود العاملي

بيروت بتاريخ ١٣ ذي الحجة عام ١٤٤٠ هجري



هوامش الفصل الرّابع

(١) ـ بحار الأنوار: ١٢٧/٥٩ح٥٨.

(٢) ـ بحار الأنوار: ١٢٦/٥٩ح٨١.

(٣) ـ بحار الأنوار: ١٢٦/٥٩ح٨٢.

(٤) ـ بحار الأنوار: ١٢٩/٥٩ح٩٣.

(٥) ـ بحار الأنوار: ١٢٧/٥٩ح٨٦، وصفحة١٣١ح١٠٠.

(٦) ـ كنز العمال: ٨٤/٦ ط. حيدر آباد، رواه بسند صحيح.

(٧) ـ مجمع الزوائد: ٢٣٤/٧ ورجاله صحاح.

(٨) ـ مروج الذهب: ٣٦٦/٢.

(٩) ـ من كلام للسيد محمّد حسين فضل الله في جريدة السفير: العدد٩٧٣٢.

(١٠) ـ نور الثقلين: ٢١٤/٣ ـ ٢١٥ح٤١٧و٤١٨و٤٢١.

(١١) ـ حديث عاشوراء: ١٣٦.

(١٢) ـ حديث عاشوراء١٣٤و٢٤٥، وجريدة السفير الصادرة بتاريخ: ١٩٩٦/٥/٢٧.

(١٣) ـ حديث عاشوراء: ١٠٦.

(١٤) ـ بحار الأنوار: ٩٧/٧٨ح٢.

(١٥) ـ بحار الأنوار: ٣٠٣/٧٥ح٦، وميزان الحكمة: ١٢٩٦/٣.

(١٦) ـ المسائل الفقهيّة: ١٤٥/١.

(١٧) _ من وحي عاشوراء: ٢٠.

(١٨) _ من كلام للسيّد محمّد حسين فضل الله في جريدة السفير: عدد٩٧٣٢.

(١٩) _ صدى الولاية: العدد١١/عام٢٠٠٤م.

(٢٠)_ نشرة المنابر الصادرة عن الجماعة الإسلاميّة في بيروت عام ١٤٢٤هـ_/ آذار٢٠٠٣م.

(٢١) _ أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ٤٧/١.

(٢٢) _ أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ٤٧/١.

(٢٣) _ صبحي الصالح/شرح النهج:٣٥٣ رقم٢٣٢ وصفحة٤٧.

(٢٤) _ فروع الكافي:٥/٥٥ح١.

(٢٥) _ فروع الكافي:٥/٥٥ح٣.

(٢٦) _ فروع الكافي:٥/٥٥ح٦.

(٢٧) _ فروع الكافي:٥/٥٨ح٨.

(٢٨) _ فروع الكافي:٥/٥٨ح١٠.

(٢٩) _ فروع الكافي:٥/٥٩ح١١.

(٣٠) _ فروع الكافي:٥/٥٩ح١٤.

(٣١) _ ميزان الحكمة:٥/١٩٥٢ح١٢٧٩٦ باب النهي عن المنكر خشية الناس.

(٣٢) _ نفس المصدر السابق:ح١٢٧٩٧.

(٣٣) _ نفس المصدر السابق:ح١٢٧٩٨.

(٣٤) _ ميزان الحكمة:٥/١٩٥٢ح١٢٧٩٩.

(٣٥) _ مرآة العقول:٥/١٩٥٣ح١٢٨٠٠.

(٣٦) _ ميزان الحكمة:٥/١٩٥٣ح١٢٨٠١.

(٣٧) _ العوالم للبحراني:١٣/٢٤٥، وأعيان الشيعة:٣/٥٦١، وتاريخ الطبري: ٤/٣٢١.



المحتويات

الفصل الأوّل

عرض الأخبار الدالّة على البكاء والمناشئ المحفزة له

الفصل الثاني

مشروعية البكاء ووجوه حسنه

الفصل الثالث

الإستدلال على مشروعيّة التطبير

الفصل الرابع

شبهات واهية ودحضها

يا قائم آل محمد أغثني يا كهفي الحصين

تمَّ الكتاب بفضل الله تعالى وبركة حججه الأطهار الأنوار صوات ربي عليهم أجمعين